قضايا إسرائيلية

فصلية تصدر عن

مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية
MADAR The Palestinian Forum for Israeli Studies

السنة الواحدة والعشرون
العدد السابع والثمانون / خريف 2022
No. 87

مدير التحرير:
رائـــــف زريـــــق

محرران مشاركان:
هنـــيدة غـــانـــم
وليـــد حبـــاس

الهيئة الاستشارية:
إيمان نحاس
مرام مصاروة
مهند مصطفى
ميخائيل كريني
نبيل الصالح

المراسلات: «مدار» - فلسطين - رام الله - الماصيون - عمارة ابن خلدون

ص.ب: 1959 رام الله
02-2966201
02-2966205
www.madarcenter.org
Madar@madarcenter.org
Markaz.madar
Madarcenter01
Madar_center
Markaz.madar
Madarcenter1
Soundcloud.com/madarcenter

الاشتراكات السنوية: 20 دولاراً للأفراد - 30 دولاراً للمؤسسات (تشمل نفقات البريد)
الاخـراج والطباعـة: مؤسسة الأيام - رام الله - فلسطين

المواد المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو المركز.

الغلاف : حسني رضوان

كلمة في البداية

مـرة أخـرى، نحـاول في «قضايـا» أن نعالـج موضـوع إسرائيـل في الإقليـم، وهـو موضـوع قديـم جديـد، إلا أن التحـولات في السـنوات الأخـيرة جعلـت هـذا الموضـوع أكثـر راهنيـة. تنبـع هـذه الراهنيـة مـن عوامـل عـدة مجتمعـة حصلـت وتحصـل في الإقليـم وفي المنظومـة الدوليـة عمومـاً تـترك ظلالهـا عـلى الاصطفافـات في المنطقـة. لا شـك بـأن هنـاك شـعورًا بوجـود سـيولة معينـة في المنطقـة تسـتدعي وتعـد باصطفافـات جديـدة لا يبـدو واضحًـا كيـف سـتنهي، وأي تشـكلات سـوف تنتهـي إليهـا المنطقـة.

مـن بـين هـذه التحـولات، الخـروج الأميركـي النسـبي مـن المنطقـة، ممـا يتيـح المجـال لقـوى إقليميـة كـي تمـلأ الفـراغ النسـبي الحاصـل. في هـذا السـياق يمكـن فهـم محـاولات السـعودية مثـلاً أن تتخـذ مواقـف تأخـذ مسـافة معينـة مـن أمـيركا.

مـن الناحيـة الثانيـة، أدخـل الربيـع العربـي معظـم دول المنطقـة ومجتمعاتهـا في حـروب منهكـة ومرهقـة أدت إلى انهيـار مـا تبقـى مـن الوحـدة والتنسـيق العربـي الـذي كانـت السـعودية وسـورية تضبطانـه منـذ التسـعينيات.

ثالثًـا، سـؤال النـووي الايرانـي الـذي تحـول إلى موضـوع مسـتمر عـلى الأجنـدة الإقليميـة تسـتثمره إسرائيـل وأمـيركا وإيـران نفسـها لصياغـة توزيـع الأدوار في المنطقـة.

رابعًـا، تعاظـم الـدور التركـي في المنطقـة ومحاولتهـا احتـلال موقـع متميـز في الخارطـة الإقليميـة والعالميـة يخرجهـا ولـو بشـكل نسـبي مـن المظلـة الأطلسـية ضمـن محاولـه لبنـاء علاقـات خاصـه مـع إيـران تـارة وروسـيا مـرة أخـرى.

يضـاف إلى كل ذلـك مشـاريع التطبيـع التـي تصـل مسـتوى التحالـف الإسـتراتيجي بـين بعـض دول الخليـج وإسرائيـل.

تـترك هـذه التغـيرات كلّهـا أثرهـا عـلى طبيعـة التحالفـات الممكنـة في الفـترة المقبلـة وموقـع إسرائيـل ضمنهـا وأثـر ذلـك عـلى القضيـة الفلسـطينية وطبيعـة الـشركاء الممكنـين في المرحلـة المقبلـة.

عليـه تجـدون في هـذا العـدد مقـالات تتعلـق في الـدور الإيرانـي، التركـي، المـصري، وعلاقـات إسرائيـل والصـين والـدور الـروسي في المنطقـة والنـزاع في البحـر الأحمـر ودلالاتـه عـلى المنطقـة برمتهـا. نأمـل أن تسـاهم هـذه القـراءة في فهـم طبيعـة المرحلـة وأخطارهـا وإمكاناتهـا!

مدار
MADAR

المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية - مدار
دعوة الباحثين والباحثات للكتابة في مجلة قضايا إسرائيلية
عدد ٨٨ (شتاء ٢٠٢٢)

«القدس الشرقية: التغيرات الطارئة خلال العقد المنصرم»

شهدت مدينة القدس أحداثًا عديدة خلال العقد المنصرم تستدعي، لكثافتها وتعدد تبعاتها، تخصيص عدد منفرد من مجلة "قضايا إسرائيلية" لتحليلها وتتبع مآلاتها. من جهة، يمكن تقسيم هذه الأحداث من خلال الحقل الذي جرت في داخله. اقتصاديًا، قد يشكل قرار الحكومة ٣٧٩٠ لعام ٢٠١٨ انعطافه (paradigm shift) لدعوته إلى دمج المقدسيين في الاقتصاد الإسرائيلي؛ سياسيًا ودبلوماسيًا كان لنقل السفارة الأميركية إلى القدس، واعترافات دول عدة بالقدس عاصمة لإسرائيل تطورات لا بد من سبر غورها؛ أما على صعيد الصراع والمسألة الفلسطينية فقد شهدت القدس العديد من الهبات التي لم يتم فهم مفاعليها وتبعاتها بشكل كافٍ بعد- ابتداء من انتفاضة السكاكين (٢٠١٤)، وهبة البوابات (٢٠١٧)، وهبات رمضان (٢٠٢١-٢٠٢٢)؛ وعلى صعيد الاستعمار الاستيطاني، تعتبر القدس حيزًا تتكاثف فيها سياسات الاستعمار على تناقضاتها، وتشمل هندسة التوسع الاستيطاني/ وتخطيط الدمج المكاني، بالإضافة إلى سياسات العزل والإقصاء مع سياسات الدمج والاستيعاب. ولعل أحياء مثل كفرعقب، وشعفاط، وعناتا، ورأس خميس، ورأس شحادة تعد أمثلة على هذه التناقضات.

ويمكن النظر إلى هذه المستجدات أو التحولات، بغض النظر عن الحقل الذي تجري بداخله، باعتبارها تنطوي على مستويين لا بد من مفهمة العلاقة بينهما: مستوى التخطيط الإسرائيلي (top-down policymaking) الذي يشمل مخططات بلدية القدس، وقرارات الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، والهندسة الاستعمارية وغيرها، بالإضافة إلى مستوى المواجهة/ التفاعل المقدسي مع هذه السياسات (bottom-up encounters). إن تفاعلات المستويين، تفتح المجال للعديد من الأسئلة التي تحتاج إلى تأطير نظري متجدد تمامًا كما تحتاج إلى إسناد إمبيريقي لفهم القدس من الأسفل.

وعليه، سيخصص "مدار" العدد القادم من مجلة قضايا إسرائيلية (عدد ٨٨-شتاء ٢٠٢٢) حول "القدس الشرقية: التغيرات الطارئة خلال العقد المنصرم". وبناءً عليه، يدعو المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية-مدار الباحثين والباحثات المشاركة في إغناء المحور بمقالات تركز على أحد المحاور التالية:

- الهندسة الاستعمارية لمدينة القدس، سواء بشقها المتعلق بإعادة تنظيم المكان أو بشقها المتعلق بإعادة إنتاج العلاقة مع المقدسيين كمستعمَر متمايز عن باقي الفلسطينيين.

- المخططات الإسرائيلية، سواء الصادرة عن بلدية القدس أو عن الحكومات الإسرائيلية، وما إذا كانت خلال العقد المنصرم تشكل، سوية انزياحًا في العقيدة الإسرائيلية تجاه القدس، أم أنها استمرار للنهج نفسه.
- التعليم في القدس، خصوصًا بعد فرض المنهاج الإسرائيلي على المدارس في شرقي القدس، ومآلات هذه التحول.
- القدس في العقيدة الصهيونية الدينية، سواء من الناحية العملية التنظيمية (كجماعات جبل الهيكل، ميسرة الرايات، لاهافا) أو من ناحية التحولات الميثولوجية المتعلقة بمكانة القدس (تحديدًا "جبل الهيكل") في عقيدة الخلاص الصهيونية الدينية.
- مفهوم الستاتوس كفو، ودور اللاعبين الذي يؤثرون ويتأثرون في الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني في القدس، سواء على الصعيد المحلي (المقدسيين، مؤسسات مقدسية، السلطة الفلسطينية، وزارات وهيئات رسمية ولجان شعبية، المقاومة في قطاع غزة)، أو على الصعيد الإسرائيلي (البلدية، الأجهزة الأمنية، منظمات اليمين)، أو على الصعيد الإقليمي (الدور الأردني، المصري)، أو على الصعيد العالمي (أميركا، اعترافات الدول بالقدس عاصمة لإسرائيل).

على أن يكون يوم ٢٠٢٢/١٢/٢٥ هو آخر موعد لتسليم الأوراق البحثية التي لا يزيد عدد كلماتها على ٦٠٠٠ كلمة للمقالة الكبيرة (article) أو ٣٠٠٠ كلمة للمقالة الصغيرة (essay) مع ضرورة اتباع نظام التوثيق المعمول به في المركز.

مُلاحظة: مُرفق نظام التوثيق وأهم القواعد الشكلية الواجب مُراعاتها في الكتابة/ (نمط الكتابة).

مع تمنّياتنا لكم بدوام الصحة والعافية،

"مدار"

قواعد النشر

- ترحب المجلة بالدراسات والمقالات ومراجعات الكتب التي تكون مواضيعها ذات صلة بالقضايا الاسرائيلية وبالمشهد الإسرائيلي على تنوعاته.
- يشترط في المواد المرسلة الالتزام بمنهج البحث العلمي، ويشترط في المواد أن لا تكون قدمت للنشر في اللغة العربية في أية مجلة أخرى، سواء أتم نشرها أم لم يتم.
- تعرض البحوث على محكمين من ذوي الاختصاص والخبرة، للتقرير بشأن النشر.
- تقدم البحوث باللغة العربية وترسل مرفقة بتعريف موجز للكاتب إلى بريد مدار الإلكتروني: madar@madarcenter.org
- يجب ألا يتجاوز عدد الكلمات في الدراسات المرسلة إلى المجلة ٦٠٠٠ كلمة، بما فيها الملخصات والجداول والمراجع، وأن لا تتجاوز المقالة ٣٠٠٠، ومراجعة الكتاب ٢٠٠٠ كلمة.
- على المواد المرسلة مراعاة قواعد التوثيق والاقتباس بحسب المنهج الأكاديمي المتعارف عليه، وفق نمط التوثيق المعتمد في دعوة الاستكتاب على موقع "مدار".

المحتـويــات

9 العلاقات التركية-الإسرائيلية: المصالح الإستراتيجية أقوى من التوترات السياسية والتباينات الأيديولوجية - مهند مصطفى

20 الإستراتيجية الإسرائيلية في البحر الأحمر وتحولات الصراع على الملاحة - شيماء منير

40 بروز «الصهيو-صينية» وتحايل إسرائيل على أميركا - رزان شوامرة

56 نظرة إلى سياسات الفاعلين في الإقليم الشرق أوسطي: إسرائيل وإيران وتركيا - ماجد الكيالي

71 لماذا تصاعد النفوذ الروسي؟ وما هي تداعياته على الشرق الأوسط؟ - أماني الطويل

82 من الأرشيف: من أرشيف إلياهو ساسون: يوميات حارة اليهود في دمشق - مالك سمارة

مقالات:

89 استقطاب متخيل داخل معسكر التفوق اليهودي - تمير سوريك

96 مسيرة توصيات الأحزاب العربية في إسرائيل على مرشحين فيها لـتشكيل حكوماتها: النقاشات داخل "المشتركة" - وديع عواودة

الزاوية الأدبية -

113 شالوم حانوخ.. أغاني «روك» إسرائيلية لنهاية العالم - مالك سمارة

مراجعات كتب:

121 "الثورة الثالثة" لبائير نهورئي.. عن مخطط الصهيونية الدينية لبلوغ "دولة الشريعة"- نبيه بشير

مراجعة نقدية لرواية "الثالث" ليشاي سريد - عبد الغني سلامة

130 زاوية المكتبة - عبد القادر بدوي

133

مهند مصطفى*

العلاقات التركية الإسرائيلية
المصالح الإستراتيجية أقوى من التوترات السياسية والتباينات الأيديولوجية

لا يهدف هذا المقال إلى عرض تاريخي مفصل للعلاقات التركية الإسرائيلية، فقد كتب عنها الكثير، لكنه يهدف بالأساس إلى التركيز على العقد ونيف الأخيرين من هذه العلاقات (٢٠١٠-٢٠٢٢) والذين يحملان العديد من التغيرات التي قد يكون لها تأثير جوهري على مستقبل العلاقات بين البلدين.[١]

تاريخيًا، كانت تركيا من الدول التي عارضت مشروع تقسيم فلسطين في تشرين الثاني العام ١٩٤٧، لكن بعد توقيع كل من مصر ولبنان على اتفاقيات الهدنة مع إسرائيل في آذار ١٩٤٩، اعترفت تركيا بشكل رسمي بالأخيرة، لتصبح أول دولة إسلامية تقوم بذلك. قَسّمت "عوفرا بنجيو" التاريخ الحديث والمعاصر لهذه العلاقة إلى فترتين رئيستين: الأولى هي فترة التحالف السري للأطراف في نهاية الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، أما الثانية فيطلق عليها فترة الانحياز التام وامتدت منذ الثمانينيات، مروراً بالتسعينيات حتى منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ٢٠٠٤-٢٠٠٥.[٢]

في المرحلة الأولى من تحالف الأطراف السري، جاء التقارب بين إسرائيل وتركيا كردة فعل على بروز عوامل جديدة في السياسة الدولية والإقليمية، مثل ظهور الاتحاد السوفييتي وحركة القومية العربية، التي سبّبت امتعاضًا واضحًا لكل من إسرائيل

* المدير العام لمركز مدى الكرمل: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية – حيفا، رئيس قسم التاريخ في المعهد الأكاديمي العربي ببيت بيرل.

دخلت العلاقة الإسرائيلية – التركية مرحلة تأزم في أعقاب مهاجمة إسرائيل أسطول الحرية المتجه إلى غزة في نهاية أيار ٢٠١٠ لكسر الحصار الإسرائيلي المفروض عليها منذ العام ٢٠٠٦. وكان من نتائج العملية الإسرائيلية قتل تسعة ناشطين أتراك كانوا على متن السفينة التركية "مرمره".

وتركيا لأسباب تاريخية وقومية وسياسية.

كانت انطباعات الدول العربية عن تركيا في ذاك الوقت – خاصة دول الطوق – متأثرة إلى حدّ بعيد بالتركة العثمانية، إضافة إلى الخلافات الحدودية لتركيا في بعض أراضي الدول العربية المجاورة لها خاصة سورية والعراق، وقد تزايدت مساحة الشك والريبة عند الدول العربية من تركيا بعد اعتراف الأخيرة بإسرائيل في العام ١٩٤٩، حيث اعتبرت هذه الخطوة بمثابة طعنة في ظهر العالم العربي، الذي حاولت دوله نزع الشرعية عن إسرائيل في المحافل الدولية.

حافظت تركيا وإسرائيل على علاقات وصلات سرية في هذه المرحلة نتيجة لعداء القوى الإقليمية الأخرى، وبسبب رغبة القادة العسكريين والمسؤولين الأمنيين في البلدين بهذا التوجه السري، إذ كانت هناك اجتماعات دورية كل ستة شهور لتبادل المعلومات والمعطيات والتحليلات السياسية، خاصة بين رؤساء الاستخبارات العسكرية في البلدين. وقد وصف إسحق رابين، رئيس أركان الجيش الإسرائيلي في بداية ١٩٦٠، العلاقة مع تركيا بأنها خاصة وقريبة جدًا ووثيقة، تعتمد على تبادل المعلومات والتقنيات العسكرية ووسائل الاستخبارات.

ومع انتهاء الحرب الباردة التي كان تحالف الأطراف السري للأطراف حرّكه الخطر الشيوعي والتحدي القومي العربي، ففقد قام الانحياز الإستراتيجي لفترة ما بعد التسعينيات على أساس الوقوف في وجه المخاطر الأصولية الإسلامية. ما ميز هذه المرحلة من العلاقة التركية – الإسرائيلية هو علنية الاتفاقيات التي وقعت، والاجتماعات التي نظمت، نتيجة عوامل متعلقة بتركيا أكثر منها بإسرائيل، ومن هذه العوامل نهاية الحرب الباردة، وبروز أميركا كقوة عظمى رئيسة، وضعف المحيط العربي العام خاصة بعد حرب الخليج الأولى.

في تسعينيات القرن الماضي، وصلت العلاقة التركية الإسرائيلية إلى درجة كبيرة من التعاون والتنسيق، وجاء ذلك نتيجة طبيعية لتغيرات عميقة في السياسة الخارجية الإسرائيلية حيث تجسد هذا التغير من خلال تتبع الخطوات الآتية من جانب إسرائيل:

استعداد إسرائيل لوقف دعم نشاطات حزب العمال الكردستاني العامل ضد تركيا في جنوب البلاد وشرقها، لذلك تضمنت بعض الاتفاقيات الثنائية بين البلدين إشارات إلى محاربة الإرهاب.

تبني إسرائيل رسميًا للموقف التركي من قضية مذبحة الأرمن في العام ١٩١٥، ورفض إسرائيل الاعتراف بهذه المذبحة.

طمأنة إسرائيل لتركيا من أن أي معاهدة سلام مع سورية لن تكون على حساب علاقاتها وشراكتها مع تركيا، خاصة أن هناك شكلًا من أشكال الالتفاف حول سورية، بحكم خلافات سورية مع تركيا في تلك الفترة حول الإسكندرونة، ومع إسرائيل حول الجولان. كان هناك تخوف تركي من أن تسهم عملية سلام حقيقية بين سورية وإسرائيل بتفعيل الدور الإسرائيلي في إزالة سورية من قائمة الدول الداعمة للإرهاب والراعية له، لا سيما في ظل الدعم السوري المتواصل لحزب العمال الكردستاني، واستضافتها لعبد الله أوجلان.

تفهم إسرائيل لتبعات العلاقة الخاصة التي تربط سورية باليونان وأرمينيا، وتبعات ذلك على تركيا، بحيث وقعّت إسرائيل صفقة بقيمة ١٦ مليار دولار لتحديث أسلحة الجيش اليوناني، إلا أن الصناعات الجوية الإسرائيلية أهملت الصفقة، وقامت بدلًا من ذلك بتحديث ٤٠ طائرة من طراز F-4 وعدم إكمال

باقي الصفقة، والاكتفاء ببيع أسلحة غير حساسة لليونان.[٣] وهذا جاء خوفاً من أن يؤثر ذلك على العلاقة الخاصة مع تركيا على اعتبار أنها حليف إستراتيجي لإسرائيل، وأكثر فاعلية في المحيط الإقليمي خاصة في الشرق الأوسط والقوقاز وآسيا الوسطى.

شكل التحالف الإستراتيجي العسكري بين البلدين عاملًا جوهريًا في علاقاتهما، وقد تضمن اتفاق العام ١٩٩٦ برنامجًا خاصًا للتدريب العسكري والزيارات الميدانية العسكرية، والمناورات العسكرية المشتركة، ونقل الخبراء العسكريين والمراقبين، وتبادل التكنولوجيا العسكرية، كما تضمن الاتفاق إعطاء فرص كبيرة لسلاح الجو والبحر لإجراء تمارين عسكرية مشتركة، لكن إن حصل وتواجدت قوات عسكرية لأحد البلدين فوق أراضي الدولة الأخرى، فإنها لا تدخل في نزاع مع طرف ثالث أو تتدخل في النزاعات الطائفية والانفصالية الداخلية. شكل الاتفاق التركي الإسرائيلي خطرًا إستراتيجيًا يهدد دول المنطقة مثل سورية وإيران واليونان، وجاء الاتفاق أيضًا في سياق قمة شرم الشيخ في آذار ١٩٩٦ لمحاربة الإرهاب، وكان القمة عقدت في أعقاب العمليات التي نفذتها حركة حماس في العمق الإسرائيلي، إلا أن الاتفاق لم يكن وليد هذه القمة فقط، بل جاء ضمن مصالح مشتركة إسرائيلية تركية، توجتها زيارة الرئيس التركي سليمان ديميريل إلى واشنطن وقبلها إلى إسرائيل، ويأتي في سياق انتهاج كل من إسرائيل وتركيا سياسة خارجية أكثر تشددًا لاعتبارات أمنهما القومي.[٤]

في فترة ١٩٩٦-٢٠٠٣، جرت مناورات عسكرية جوية مشتركة بمعدل ثماني مرات كل عام، مدة كل تمرين أسبوع كامل، وقد سنحت الفرصة للطائرات الإسرائيلية من خلال هذه التمارين المشتركة إلى استكشاف منطقة البحر المتوسط، وزيادة الخبرة القتالية والمعرفة الجغرافية، وتحسس مصدر المخاطر المستقبلية. وأجرى سلاح البحر في البلدين مناورات عسكرية في ١٩٩٦و ١٩٩٨ حيث كان الأسطول الأميركي جزءًا من تمرين ١٩٩٨ مما أعطاها أبعادًا إستراتيجية وتكنولوجية خاصة. وتكثفت مثل هذه التمارين العسكرية والمناورات المشتركة في هذه الفترة ربما تطبيقًا للاتفاق العسكري بين البلدين الموقع عليه في العام ١٩٩٦.

على صعيد آخر، تدرب الطيارون الإسرائيليون في طائرات F-16 على كيفية تجنب اصطدام الطيور المهاجرة بالطائرات أثناء التحليق في الأجواء المنخفضة، وإتباع إجراءات سلامة خاصة، كما خطط سلاح الجو في البلدين لنصب شبكة رادار خاصة على أراضيهما لمراقبة هجرة الطيور عبر البحر المتوسط وشمال أفريقيا، لا سيما في فصلي الخريف والربيع من كل عام، ولهذا الغرض تم نصب سبع محطات رادار داخل الأراضي التركية والإسرائيلية.

سفينة مرمرة وقطع العلاقات الإستراتيجية

استمرت العلاقات التركية الإسرائيلية كالمعتاد حتى بعد صعود حزب العدالة والتنمية برئاسة أردوغان للحكم، ولم تؤثر مواقف الحزب من الموضوع الفلسطيني على هذه العلاقات، بيد أن هذا الوضع لم يستمر طويلًا. فقد دخلت العلاقة الإسرائيلية – التركية مرحلة تأزم في أعقاب مهاجمة إسرائيل أسطول الحرية المتجه إلى غزة في نهاية أيار ٢٠١٠ لكسر الحصار الإسرائيلي المفروض عليها منذ العام ٢٠٠٦. وكان من نتائج العملية الإسرائيلية قتل تسعة ناشطين أتراك كانوا على متن السفينة التركية "مرمره" التي كانت جزءًا من أسطول الحرية المكون من ست سفن. لاقت هذه الخطوة الإسرائيلية الدموية رد فعل تركي غاضبًا إذ قامت تركيا باستدعاء سفيرها في تل أبيب، وأبلغت السفير الإسرائيلي في تركيا رسالة احتجاج قوية، كما ألغت الحكومة التركية مناورات مشتركة مع الجانب الإسرائيلي، فضلًا عن إلغاء صفقات سلاح وتعطيل التنسيق الأمني والتعاون العسكري. وقد هددت تركيا في أعقاب حادثة سفينة "مرمرة" بتقليل مستوى العلاقات بين البلدين إلى أدنى مستوى، لا بل هددت أيضًا بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل إذا لم تقم إسرائيل بالاعتذار لتركيا عن قتل مدنيين أتراك في المياه الدولية، وأصرت تركيا إلى جانب ذلك على أهمية إقامة لجنة تحقيق دولية، وعارضت لجنة فحص أقامتها الحكومة الإسرائيلية في أعقاب الضغط الدولي عليها. تعتبر حادثة "مرمرة" حدثًا مهمًا وذروة لا مثيل لها في تأزم العلاقات بين البلدين.

إسحق هرتسوغ في أنقرة في آذار الماضي (٢٠٢٢). (وكالات)

استمر مشهد العلاقات مع تركيا كما هو عليه منذ حادثة سفينة مرمرة، وعلى الرغم من الأنباء التي تسربت عن انفراج في العلاقة بين البلدين، فإن تركيا عادت ووضحت موقفها من الموضوع، بأن لها شروطًا لعودة العلاقات الدبلوماسية كما كانت عليه، وتتمثل هذه الشروط بالآتي: اعتذار إسرائيلي عن قتل المدنيين الأتراك وتعويض أهالي القتلى والجرحى، ورفع الحصار عن قطاع غزة، والتقدم نحو إقامة دولة فلسطينية. جاء التأكيد التركي على هذه الشروط على الرغم من التوقعات بانفراج محتمل بسبب انسجام مواقف الدولتين من الأزمة السورية، والحاجة إلى الشراكة في مرحلة ما بعد بشار الأسد. ظل الموقف التركي واضحًا وصريحًا في شروطه على الرغم من تراجع حدة الخطاب التركي تجاه إسرائيل، ربما بسبب الأزمة السورية، ولكننا نرجع ذلك بالأساس إلى سياسة ضبط النفس التي اتبعتها إسرائيل وقتها حرصًا منها على الحفاظ على الحد الأدنى من العلاقات مع تركيا، والتي كانت بالنسبة لإسرائيل إستراتيجية، وهو الوضع الذي سيتغير مع صعود ترامب وتعزيز مكانة إسرائيل الإقليمية، وذروة ذلك توقيع اتفاقيات تطبيع مع دول عربية، حيث تراجعت مكانة تركيا في نظر إسرائيل، أيضًا بسبب تحول إسرائيل إلى مصدر للطاقة (الغاز) وتورط تركيا في الإقليم.

البحث عن حلف إقليمي جديد

يلعب الغاز الإسرائيلي عاملًا مهمًا في السياسة الخارجية حتى مع تركيا، وذلك في أعقاب تعزيز التعاون بين إسرائيل وقبرص في مجال الغاز. وقبل ذلك، لا بد من القول إن إسرائيل عززت علاقتها مع اليونان وقبرص اليونانية بعد تأزم العلاقات التركية الإسرائيلية قبل سنوات، كرد فعل دبلوماسي على توتر العلاقة مع أنقرة، وتخفيض الأخيرة مستوى العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في أعقاب أحداث سفينة مرمرة. فقد صرح نائب وزير الطاقة التركي "مورات مركان"، أن التعاون بين إسرائيل وقبرص في

تشير تقديرات إسرائيلية، أن إسرائيل لا تزال تستصعب رسم مسار واضح للتقارب مع تركيا. ففي عدد من اجتماعات التقييم في وزارة الخارجية الإسرائيلية، وفي مجلس الأمن القومي الإسرائيلي والموساد، كان التوجه السائد هو التقارب مع تركيا بشكل تدريجي، وتحويل العلاقات معها من "علاقات جامدة إلى علاقات باردة".

مجال الغاز الطبيعي سيشكل عائقًا أمام مشروع لتصدير الغاز الإسرائيلي إلى تركيا بواسطة أنبوب غاز تحت الماء، يمكن أن يشكل حلقة وصل لتصدير الغاز الإسرائيلي إلى أوروبا أيضًا. ففي مؤتمر عقد في إسطنبول حول الطاقة، طالب مندوب خاص لوزارة الخارجية الإسرائيلية "ميخائيل لوطم" لقاء "مركان" إلا أن الأخير رفض لقاءه بسبب تخفيض العلاقات الدبلوماسية، لكن "مركان" أوضح بطريقة غير رسمية للمندوب الإسرائيلي أن عدم لقائه لا ينبع فقط من العلاقات المتوترة بين البلدين، بل أيضًا بسبب التعاون بين إسرائيل وقبرص في مجال الغاز الطبيعي. ففي حقل غاز اكتشف في المياه الإقليمية لقبرص اليونانية تبين أنه يمتد إلى حقل غاز في المياه الإقليمية لإسرائيل، وقد أعلنت تركيا أنها ستقاطع أي شركة تشارك في البحث عن حقول الغاز حول الجزيرة القبرصية، وقد هددت تركيا مرارًا باستعمال القوة العسكرية لمنع ذلك، إلا أن توقعات حدوث ذلك ضئيلة.[٥]

أدركت تركيا أن التقارب الإسرائيلي القبرصي ليس تقاربًا اقتصاديًا فقط، بل هو تقارب سياسي وإستراتيجي أيضًا جاء بعد توتر العلاقات مع إسرائيل، ففي شباط ٢٠١٢ زار نتنياهو قبرص، وهي أول زيارة لرئيس وزراء إسرائيلي للجزيرة، وتم تسريب معلومات في أعقاب الزيارة، لم يتم تأكيدها، عن إمكانية وجود دائم لقوات إسرائيلية على الجزيرة أو خلال الأزمات على الأقل. وفي العام نفسه وقعّت كل من إسرائيل وقبرص واليونان على تفاهمات حول فحص إمكانية الشروع في إنجاز مشروع لربط شبكة الكهرباء الإسرائيلية مع القارة الأوروبية.

محاولات للانفراج بين البلدين

بدأت مرحلة جديدة - قديمة في العلاقات الإسرائيلية التركية مع زيارة باراك أوباما لإسرائيل في آذار ٢٠١٣، ودفعه لحل الأزمة بين البلدين، من خلال إقناع نتنياهو بالاعتذار لتركيا.[٦] ونقول مرحلة جديدة - قديمة لأنها شكلت بداية انفراج في العلاقات بين الدولتين في أعقاب قيام نتنياهو بالاعتذار هاتفيًا لرئيس الوزراء التركي أردوغان على مقتل مواطنين أتراك في سفينة مرمرة، إلا أنها لم تسجل عودة إلى العلاقات الطبيعية الكاملة التي كانت بين البلدين قبل أحداث مرمرة. جرت هذه المحادثة الهاتفية بعد ثلاث سنوات من المحادثات المباشرة وغير المباشرة بين الطرفين للخروج من الأزمة، وكان أفيغدور ليبرمان هو المعارض المثابر لأي اعتذار إسرائيلي لتركيا، وكان يضع معارضته دائمًا أمام هذه الخطوة، فإسرائيل حتى قبل زيارة أوباما كانت على قناعة بضرورة الاعتذار لتركيا لأهمية العلاقات بالنسبة لإسرائيل، إلا أن ليبرمان استطاع أن يمنع ذلك وأن يزج الحكومة الإسرائيلية ونتنياهو في زاوية خطاب الكرامة الوطنية.[٧]

بعد الاتصال الذي جرى بين نتنياهو وأردوغان بوساطة أوباما، بدأت في نيسان ٢٠١٣ عملية تطبيع العلاقات بين البلدين، ففي زيارة قام بها مندوبا نتنياهو إلى تركيا (يوسف تشخنوفر، ومستشار الأمن القومي يعقوب عميدرور)، تم التفاوض على إطار تطبيع العلاقات ويشمل الاتفاق على قضية تعويضات قتلى سفينة مرمرة، مقابل الالتزام التركي بوقف كافة الإجراءات القانونية ضد إسرائيل.[٨]

بعد الاعتذار، بقيت مسألة تعويضات قتلى وجرحى السفينة محل خلاف، ففي أيار ٢٠١٣

صرح نائب رئيس الوزراء التركي، بولنت ارينتش، أن الخلاف الأساسي بين الدولتين يعود إلى مطالبة تركيا إسرائيل بتقديم التعويضات مع تحملها المسؤولية للأحداث، بينما تريد إسرائيل دفع التعويضات دون الإقرار بمسؤوليتها عن الأحداث. وانتهى هذا الملف بالاعتذار للضحايا الأتراك وتعويضهم.

وجد المعارضون الإسرائيليون للاعتذار الإسرائيلي لتركيا الكثير من الدلائل التي تدعم موقفهم، فبعد الاعتذار لم يجر تحسن ملحوظ (على المستوى العلني على الأقل) بين الدولتين، وكانت مجمل التحسينات شكلية، فقد استمرت التصريحات التركية المنتقدة لإسرائيل، ووصلت ذروتها في اتهام أردوغان في آب ٢٠١٣ إسرائيل بأنها تقف وراء الانقلاب العسكري ضد محمد مرسي في مصر، وهي تصريحات وصفها نتنياهو بأنها "سخيفة ولا تستحق الرد"،[٩] ووصف ليبرمان أردوغان في أعقاب ذلك بأنه يكمل طريق غابلس مسؤول الدعاية في الحزب النازي، قائلًا: "كل من سمع أقوال الكراهية والتحريض الذي أدلى بها أردوغان، سيفهم بلا شك أن الحديث عن شخص يكمل طريق غابلس وفرياته على غرار محكمة درايفوس وبروتوكولات حكماء صهيون".[١٠] وظهر ذلك في اتهام نائب رئيس الوزراء التركي للجالية اليهودية في تركيا بأنها تقف وراء الأحداث في "بارك غازي". ومما أدى إلى زيادة التوتر بين البلدين خلال الفترة التي أعقبت الاعتذار هي المعلومات التي كشفت عنها صحيفة "الواشنطن بوست" عن تسليم تركيا إيران أسماء عملاء إسرائيل في إيران.

استمر تدهور العلاقات بين البلدين، بعد الحرب الإسرائيلية على غزة في صيف ٢٠١٤، حيث أعادت الحرب العجلة إلى الوراء. جاء التدهور بمبادرة من تركيا وليس إسرائيل التي تتبع سياسة عدم الرد على التدهور التركي في العلن، وهي سياسة اتبعتها إسرائيل بعد نقطة الانكسار في العلاقات بين البلدين عام ٢٠٠٨-٢٠٠٩ في أعقاب الحرب على غزة، ووصلت ذروتها بعد قتل مواطنين أتراك على سفينة مرمرة. برز التدهور في تصريحات شديدة أطلقها أردوغان خلال الحرب مثل اتهامه إسرائيل بارتكاب ابادة جماعية منهجية للشعب الفلسطيني، "تمارس إسرائيل أعمالًا بربرية أكثر من هتلر، تقتل إسرائيل النساء الفلسطينيات حتى لا يلدن أطفالًا"، وفي أحد تصريحاته قال أردوغان إن العلاقات مع إسرائيل لن تتحسن ما دام هو بالحكم.[١١] في المقابل تبنى ليبرمان وزير الخارجية حينذاك خطًا واضحًا علنيًا تجاه تركيا، فخلال الحرب على غزة أرجع ليبرمان الدبلوماسيين الإسرائيليين من أنقرة وأبقى التمثيل الدبلوماسي في مستوياته الدنيا، احتجاجًا على الهجوم على السفارة الإسرائيلية خلال الحرب في شهر تموز، وأضح بيان وزير الخارجية الرسمي أن الهجوم على السفارة كان نتيجة تحريض أردوغان ضد إسرائيل.[١٢]

بعد الحرب على غزة في العام ٢٠١٤، استمرت الجهود الأميركية لتوقيع اتفاق مصالحة بين تركيا وإسرائيل، وتابع هذا الملف بشكل خاص نائب الرئيس الأميركي، جو بايدن، الذي تواصل مع قيادة الدولتين لإتمام اتفاق المصالحة. فقد التقى بايدن بنتنياهو في المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس في هذا السياق، وبعدها سافر إلى تركيا لإكمال المشاورات حول الاتفاق.[١٣] ويبدو من تحليل العلاقات التركية الإسرائيلية، أن إسرائيل باتت مترددة في توقيع اتفاق مع تركيا لارتباطها بتحالفات جديدة قد تعيق إتمام اتفاق المصالحة، أو تضع قيودًا عليه لا تنسجم من الموقف التركي، ويدخل في هذه الارتباطات العلاقة الإسرائيلية مع مصر واليونان وقبرص. تعتبر إسرائيل أنها باتت أكثر ثقة بنفسها في المناورة مع تركيا حول اتفاق المصالحة، فتحالفها مع مصر واليونان من جهة، وتعقيد المكانة التركية في أعقاب الأزمة السورية من جهة ثانية، يجعل إسرائيل تعتقد أنها في موقع القوة خلال المحادثات مع الطرف التركي. ويضع كل من الطرفين شرطان من الصعوبة تجاوزهما لإتمام الاتفاق، فإسرائيل تطالب تركيا بوقف نشاط حركة حماس من أراضيها، بينما تطالب تركيا برفع الحصار عن قطاع غزة، أو تخفيفه على الأقل. وأشارت تقارير أن وزير الدفاع الإسرائيلي حينذاك، بوغي يعلون، تحفظ على المصالحة مع تركيا، ويضع شرطين لإتمامها: إغلاق مقر حماس في تركيا، وتسليم حماس جثامين الجنود لديها في قطاع غزة، حيث يقترح يعلون أن يكون إرجاع الجثامين ضمن إطار الاتفاق مع تركيا وليس مع حماس.[١٤]

خلقت الاتفاقيات الإبراهيمية واقعًا إقليميًا جديدًا في المنطقة، ساهم في إضعاف النفوذ التركي، لذلك ترى تركيا أن تقاربها مع إسرائيل سيساهم في كسر حالة العزلة التي تمر بها. وينسجم ذلك مع التقارب التركي الإماراتي الأخير سياسيًا واقتصاديًا.

محاولات تركيا التقارب مع إسرائيل

في المرحلة الحالية نشهد عملية معاكسة تتمثل في محاولات تركيا التقارب مع إسرائيل على عكس المرات السابقة. وأرسلت تركيا رسائل متكررة منذ العام ٢٠٢٠ عن جديتها في إنهاء التوتر والقطيعة مع إسرائيل وعودة العلاقات إلى سابق عهدها.

في هذه الفترة، شهدت العلاقات التركية الإسرائيلية توترًا في أعقاب حادثة اعتقال زوج إسرائيلي في صيف ٢٠٢١، بتهمة تصوير القصر الذي يعيش فيه الرئيس التركي رجب طيب أردوغان. كان الانطباع الإسرائيلي الأوليّ أن الاعتقال هو مسألة عابرة سيُعاقب عليها الزوج من خلال طردهما من الأراضي التركية فقط، بيّد أن قرار المحكمة التركية تمديد اعتقالهما حتى محاكمتهم، دون تحديد مدة الاعتقال أو تحديد تاريخ المحاكمة، أعطى الحادثة بُعدًا سياسيًا في إسرائيل. وبدأت إسرائيل تؤطرها كاعتقال تركي متعمد أو على الأقل استغلال تركي لاعتقال الزوج وتصعيده بشكل متعمد. لذلك لم تنحصر متابعة قضية الاعتقال في وزارة الخارجية على المستوى المهني القنصلي، بل تابع الموضوع رئيس الحكومة نفتالي بينيت شخصيًا الذي عقد اجتماعًا خاصًا لنقاش الحادثة وتقييمها، كما تابعه شخصيًا وزير الخارجية لبيد الذي أرسل مسؤولة الخدمات القنصلية في وزارة الخارجية لمتابعة الموضوع عن قرب في تركيا. كما تدخل رئيس الموساد الإسرائيلي دادي برنيع في القضية وأجرى محادثات مع نظيره التركي حول اعتقال الزوج الإسرائيلي هدفه التأكيد أن الزوج ليسوا عملاء للموساد، ولم يكونوا في مهمة تجسس في تركيا.

انتهت الأزمة بالإفراج عن الزوج الإسرائيلي في ١٨ من تشرين الثاني، بعد تحركات دبلوماسية حثيثة في السر، وربما بتدخل دولة ثالثة لعبت دورًا في إنهاء الأزمة. في السياق نفسه ذكرت، وسائل إعلامية تركية أن رئيس الحكومة بينيت ووزير الخارجية لبيد توجهوا بالشكر لأردوغان على دوره في الإفراج عن الزوج الإسرائيلي. كما تحدث رئيس الدولة إسحق هرتسوغ مع أردوغان وشكره شخصيًا على جهوده للإفراج عن المواطنيّن الإسرائيليّين.

ترتبط هذه الحادثة مع حادثة اعتقال شبكة تجسس في العام نفسه، زعمت تركيا أنها تعمل لصالح الموساد الإسرائيلي، وهي شبكة لم تنف الأجهزة الأمنية الإسرائيلية أو تؤكد صحة الادعاء التركي بخصوصها، لذلك فإن تركيا وجهت للزوج الإسرائيلي تهمة التجسس ضمن سياق مرتبط مع الكشف عن الشبكة.

يُمكن الإشارة إلى تفسيريّن للسلوك التركي في هذا الملف. وذلك إذا صحت الادعاءات الإسرائيلية أن الاعتقال تحول لاعتقال سياسي مقصود. يرجع التفسير الأول إلى فشل محاولات تركيا ترميم العلاقات مع إسرائيل، وذلك على الرغم من المؤشرات التي أطلقتها تركيا في الفترة الأخيرة حول ذلك، ولم تحظ باهتمام أو رد إسرائيلي، فجاء الاعتقال الأخير والكشف عن الخلية التجسسية كتذكير لإسرائيل وعقابها على تجاهلها. أما التفسير الثاني فيعود إلى محاولة النظام التركي وأردوغان شخصيًا تحسين صورته أمام الرأي العام التركي من خلال تأزيم العلاقة مع إسرائيل، لا سيّما على ضوء تدهور الاقتصاد التركي، ومحاولة إشغال الرأي العام بمثل هذه القضايا، تارة بالقبض على شبكة تجسس وتارة باعتقال إسرائيليّين بتهمة التجسس. ولكن نميل أن الهدف الأساسي هو استفزاز إسرائيل للقبول بالمصالحة مع تركيا بعد توجهات تركية

متكـررة بهـذا الشـأن.

ففـي كانـون الأول ٢٠٢٠ صرح أردوغـان أنـه معنـي بتحسـين العلاقـات و"فتـح صفحـة جديـدة" مـع إسرائيـل، لكنـه أشـار إلى أن لديـه مشـكلة مـع القيـادة الإسرائيليـة آنـذاك، أي بنيامـين نتنياهـو. وخـلال العـام ٢٠٢١، كانـت تركيـا تفحـص فكـرة إعـادة السـفير التركـي لإسرائيـل، بيّـد أن المواجهـة بـين إسرائيـل وحركـة حمـاس في أيـار ٢٠٢١ منعـت ذلـك. وبعـد تشـكيل الحكومـة الجديـدة في إسرائيـل، جـرت المحادثـة الأولى بـين رئيـس الدولـة هرتسـوغ وأردوغـان، وبعثـت تركيـا مُلحقًـا ثقافيًـا لإسرائيـل لأول مـرة خـلال العقـد الأخـير.[١٥]

في المقابـل، صرح رئيـس الحكومـة الإسرائيـلي آنـذاك نفتـالي بينيـت في مقابلـة لـه مـع صحيفـة "هآرتـس"، بأنـه "لا يوجـد لـديّ أوهـام بالنسـبة للعلاقـة مـع تركيـا، رأيـت مـا حـدث في فـترات الأزمـة مـع تركيـا".[١٦] في المقابلـة نفسـها، أكـد بينيـت مـن الجهـة الأخـرى، أن قضيـة اعتقـال الـزوج الإسرائيـلي في تركيـا، وتدخـل الرئيـس التركـي ومعالجتـه للأمـر سريعًـا، بالإضافـة إلى حاجـة إسرائيـل للنظـر إلى البيئـة الإقليميـة بشـكل شـامل، وخاصـة في مـا يتعلـق بإيـران، وهـي العـدو المركـزي لإسرائيـل، "تجبرنـا عـلى تعزيـز الحـوار، فـلا أعـارض لقـاء بـين رئيسـنا وأردوغـان".[١٧] وأكـد بينيـت أن عـلى إسرائيـل اسـتغلال كل الجسـور للعلاقـات مـع دول المنطقـة، وفي بعـض الأحيـان "بنـاء جسـور جديـدة". موضحًـا أنـه أوكل مهمـة التواصـل مـع تركيـا للرئيـس الإسرائيـلي هرتسـوغ.

تشـير تقديـرات إسرائيليـة، أن إسرائيـل لا تـزال تسـتصعب رسـم مسـار واضـح للتقـارب مـع تركيـا. ففـي عـدد مـن اجتماعـات التقييـم في وزارة الخارجيـة الإسرائيليـة، وفي مجلـس الأمـن القومـي الإسرائيـلي والموسـاد، كان التوجـه السـائد هـو التقـارب مـع تركيـا بشـكل تدريجـي، وتحويـل العلاقـات معهـا مـن "علاقـات جامـدة إلى علاقـات بـاردة".[١٨] كان التخـوف الأسـاسي في هـذه الاجتماعـات مـن أن أردوغـان يسـعى للتقـارب مـع إسرائيـل مـن أجـل التخلـص مـن الأزمـة الاقتصاديـة التـي تعانـي منهـا تركيـا، وفي اللحظـة التـي سـتنفجر فيهـا أزمـة بـين إسرائيـل والفلسـطينيين، فـإن علاقـة تركيـا مـع إسرائيـل سـوف تتغيـر. هـذا ويظهـر خـلاف في الحكومـة الإسرائيليـة تجـاه التقـارب مـع تركيـا، فهنالـك تيـار في الحكومـة يقـوده بالأسـاس وزيـر القضـاء غدعـون سـاعر الـذي يرفـض التقـارب مـع تركيـا بـكل ثمـن، وعـارض في السـابق سياسـات نتنياهـو (عندمـا كان في حـزب الليكـود) تجـاه تركيـا، واعتـبر تركيـا دولـة معاديـة للسـامية. في المقابـل هنالـك التوجـه الـذي قـاده نفتـالي بينيـت الـذي يعتـبر أنـه يجـب اسـتغلال الفرصـة لتحقيـق المصالـح الإسرائيليـة مـن خـلال التقـارب مـع تركيـا. عـلاوة عـلى ذلـك، فـإن مسـتقبل سـورية يشـكل عامـلًا مشـتركًا بـين الطرفـين، حيـث ترغـب إسرائيـل في التوصـل إلى تفاهمـات مـع تركيـا في مـا يتعلـق بمسـتقبل سـورية، لا سـيّما وأن لكل منهمـا دور في المشـهد السـوري، فإسرائيـل تهـدف إلى منـع الوجـود الإيرانـي في سـورية، في المقابـل فـإن تركيـا تعمـل للتأثـير عـلى المشـهد السـوري في المسـألة الكرديـة تحديـدًا. حيـث اتهمـت تركيـا إسرائيـل في السـابق بأنهـا كانـت تسـاعد الأكـراد عـلى إقامـة دولـة لهـم في شـمال سـورية. لذلـك تشـير تقديـرات إسرائيليـة أن إسرائيـل وتركيـا يمكـن لهمـا التنسـيق بشـأن مسـتقبل سـورية بحيـث يتـم الحفـاظ عـلى مصالـح الطرفـين، ومنـع إيـران مـن تعزيـز وجودهـا في سـورية والـذي تتفـق معـه تركيـا أيضًـا، وتأمـين الحـدود التركيـة ومصالحهـا القوميـة.[١٩]

يمكـن الإشـارة إلى مجموعـة مسـائل تؤثـر عـلى موقـف إسرائيـل في مـا يتعلـق بسياسـة التقـارب مـع تركيـا، وأهمهـا:

أولًا: دعـم تركيـا حركـة حمـاس: تحولـت تركيـا إلى مركـز سـياسي لحركـة حمـاس، لا سـيّما بعـد صفقـة شـاليت، حيـث أن أغلـب قيـادات حمـاس المهمـة التـي خرجـت مـن السـجن عـلى أثـر الصفقـة غـادرت إلى تركيـا ومنهـم: صـلاح العـاروري، حسـام بـدران وهمـا قياديـان مهمـان في المكتـب السـياسي لحمـاس. لـم تكتـف تركيـا باسـتضافة هـذه الشـخصيات وغيرهـا، بـل سـمحت لهـم بالعمـل السـياسي في تركيـا، وتنظيـم عمليـات عسـكرية ضـد إسرائيـل في الضفـة الغربيـة. ومـع أن تركيـا اسـتجابت للطلـب الإسرائيـلي بمنـع ممارسـة حمـاس نشـاطًا عسـكريًا مـن أراضيهـا، مقابـل عـدم التعـرض لقيـادات حمـاس في أراضيهـا، بيـد أن إسرائيـل تطالـب تركيـا أيضًـا بمنـع حمـاس – تركيـا مـن تمويـل نشـاطها في الضفـة الغربيـة والقـدس.

تشـير تقديـرات إسرائيليـة أن أردوغـان اتخـذ مجموعة

من الخطوات في الفترة الأخيرة لتقييد نشاط حركة حماس في تركيا.[٢٠] ومنها منع إقامة ثابتة لقيادات حماس في تركيا، ومنع نشاط حماس في ما يتعلق بالتخطيط لعمليات في الضفة الغربية.

ثانيًا: النشاط التركي في شرق القدس: فقد استثمر النظام التركي في مجموعة من المشاريع في القدس الشرقية، فضلًا عن نشاط مؤسسات وجمعيات تركية في القدس، علاوة على فتح مراكز جماهيرية تعليمية وثقافية لها أنشطة سياسية في شرقيّ القدس. ترى إسرائيل أن النشاط التركي الرسمي والأهلي في القدس الشرقية يزيد من التوتر الأمني في المدينة.

ثالثًا: التحالف الإسرائيلي- القبرصي- التركي: وهو التحالف الذي كان أحد أهدافه الإستراتيجية (فضلًا عن الاقتصادية) محاصرة تركيا، وبناء حلف ضدها في حوض البحر المتوسط، ومنع تركيا من توسيع نفوذها وحدودها المائية داخل الحوض المتوسط، واستغلال مخزون الغاز الكبير في هذه المنطقة.

أسباب الرغبة التركية بالتقارب من وجهة نظر إسرائيلية

تشير التقديرات الإسرائيلية إلى أن محاولات تركيا التقارب مع إسرائيل، تعود للأسباب الآتية:

أولًا: محاولة تركيا تعزيز علاقاتها مع المحور السعودي – الإماراتي - المصري، الأمر الذي حدث في الفترة الأخيرة.[٢١]

ثانيًا: الاتفاقيات الإبراهيمية: خلقت الاتفاقيات الإبراهيمية واقعًا إقليميًا جديدًا في المنطقة، ساهم في إضعاف النفوذ التركي، لذلك ترى تركيا أن تقاربها مع إسرائيل سيساهم في كسر حالة العزلة التي تمر بها.[٢٢] وينسجم ذلك مع التقارب التركي الإماراتي الأخير سياسيًا واقتصاديًا.

ثالثًا: التقرب من إدارة بايدن: ترى تركيا أن تحسين علاقتها مع إسرائيل، لا سيّما مع الحكومة الجديدة في إسرائيل سيساهم في تحسين علاقتها المتوترة مع إدارة بايدن.

رابعًا: تغيير الحكومة في إسرائيل: فقد اعتبر أردوغان أن لرئيس الحكومة الإسرائيلي الحالي "توجه ايجابي"، مشدّدًا على توجه الحكومة الجديدة هو نحو تجديد العلاقات مع تركيا.[٢٣]

خامسًا: العلاقة مع قبرص واليونان: ترى تركيا في التحالف الثلاثي الإسرائيلي – اليوناني - القبرصي جزءًا من محاولة محاصرتها وعزلها اقتصاديًا وسياسيًا. لا سيّما في ما يتعلق بالحدود المائية في البحر الابيض المتوسط، لذلك فإن التقارب مع إسرائيل يهدف إلى كسر هذا الحصار.

خامسًا: العامل الاقتصادي: تشير تقديرات إسرائيلية أن العامل الاقتصادي يلعب دورًا في توجه تركيا لتحسين علاقتها مع إسرائيل.[٢٤] وتشير هذه التقديرات أن تركيا ترى في إسرائيل مصدرًا للطاقة. وكانت تركيا قد عبّرت عن قلقها من التحالف الثلاثي الإسرائيلي – القبرصي - اليوناني المتعلق بخط الغاز من إسرائيل لأوروبا (استمد). فقد صرح أردوغان، "نحن معنيون بتسيير الغاز الإسرائيلي لأوروبا".[٢٥]

سادسًا: العامل العسكري، حيث أن لتركيا مصلحة بتجديد علاقتها الاقتصادية مع إسرائيل كما كان في السابق، حيث كان للتحالف الإستراتيجي بين البلدين دور مهم في تعزيز القدرات العسكرية التركية، فضلًا عن استثمار ذلك في تعزيز العلاقات العسكرية مع الولايات المتحدة الأميركية. في هذا الصدد كانت تركيا مصدرًا مهمًا للصادرات العسكرية الإسرائيلية في مجال الطائرات بدون طيار، والتكنولوجيا العسكرية الإسرائيلية.

خاتمة

وفي المجمل، يمكن القول إن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي يلعب دورًا كبيرًا في بلورة العلاقات الإسرائيلية التركية في فترة حكم أردوغان، فالعلاقات بين البلدين تدخل طور التوتر والتصعيد في لحظات الصراع مع الفلسطينيين، ظهر ذلك في كل الحرب التي شنتها إسرائيل على غزة خلال فترة حكم أردوغان، ولم تكن الحرب الأخيرة مختلفة عن ذلك، كما أن الساحة الإقليمية تساهم في توتر العلاقات بين البلدين، فمثلًا ترتبط إسرائيل بعلاقات جيدة من الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، ورأت في الدور المصري دورًا مركزيًا في الحرب الأخيرة على غزة، سواء في ما يتعلق بموقف مصر تجاه حركة حماس، أو الدور المصري في حل الأزمة، حيث أعلنت إسرائيل أنها لا تقبل بغير الدور المصري للتوصل

إلى وقف إطلاق للنار. في المقابل فإن تركيا تناصب العداء الشديد لنظام السيسي، ولم تنحصر تعقيبات أردوغان الشديدة على إسرائيل فحسب، بل طالت السيسي حينها تعقيبات مماثلة إن لم تكن أشد، حيث اعتبرت تركيا نظام السيسي نظامًا غير شرعي، وقاطعته وشنت حملات ضده من خلال إيواء قيادات الإخوان المسلمين في تركيا، وخلال الحرب على غزة حاولت تركيا تهميش الدور المصري وإعلاء دورها والدور القطري، إلا أن إسرائيل رفضت ذلك وفضلت الدور المصري، حتى أن وزير خارجية إسرائيل ليبرمان اتهم تركيا بإفشال وقف إطلاق النار في منتصف تموز.

علاوة على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، فإن التحولات الإقليمية لا تزال تؤثر على العلاقة بين الدولتين باتجاه التوتر أو التقارب حسب القضايا والمصالح المشتركة، ويمكن في هذا السياق التمييز بين فترتين، الفترة الأولى وكانت فيها وجهات النظر بين البلدين في الأحداث الجارية في العام العربي متقاربة وخاصة في سورية، وفترة ثانية، وصلت ذروتها العام المنصرم، تميزت بتباعد وجهات النظر حول التحولات في العالم العربي، وخصوصًا في أعقاب تصريح نتنياهو تأييد إسرائيل دولة كردية وهو ما تعارضه تركيا بشدة. في الفترة الأولى كانت وجهات النظر متقاربة بالنسبة للثورة السورية وأهمية إسقاط نظام الأسد لصالح الطرفين، فكانت لكل دولة مصالحها بالنسبة لمستقبل الثورة السورية، واشتركا في الهدف، إلا أن تعقيدات الثورة وتحولها إلى حرب أهلية جعلت الموقف الإسرائيلي مركّبًا أكثر من الموقف التركي، فالأخير لا يزال مثابرًا على ضرورة إسقاط بشار الأسد، بينما إسرائيل لم تعد صريحة في هذا الشأن، وربما ترى أن من صالحها إبقاء حال الصراع الأهلي والطائفي مشتعلًا في سورية لاستنزاف أعدائها جميعًا (النظام، ايران، حزب الله والقوى الجهادية)، كما هنالك تباين واضح في مواقف الدولتين بالنسبة للنظام المصري الحالي، حيث اعتبره أردوغان فاقدًا للشرعية ويرفض التعامل معه، بينما ترى فيه إسرائيل حليفًا إستراتيجيًا. ووصلت ذروة هذه الخلافات، في تأييد إسرائيل حل مشكلة الأكراد من خلال إقامة دولة كردية مستقلة، الأمر الذي يعتبر خطًا أحمر بالنسبة لتركيا. وكانت تركيا قد قاطعت مؤتمر ميونخ للأمن في شباط ٢٠١٥ بسبب المشاركة الإسرائيلية في المؤتمر، واعتبر ليبرمان أن هذا السلوك التركي نابع من الاعتذار الإسرائيلي لتركيا على أحداث سفينة مرمرة.

تعتبر العلاقات بين تركيا وإسرائيل مُركبة، فعلى الرغم من تقلب العلاقات السياسية بين البلدين، فإن العلاقات التجارية استمرت في النمو، وبقي نوع من التعاون الأمني الاستخباراتي. وهذا السبب ربما يُفسر عدم توجه الدولتين، وخاصة تركيا، لقطع العلاقات نهائيًا مع إسرائيل.[٢٦]

على المستوى السياسي، فإن إسرائيل وتركيا يجمعهما حلف مشترك مع أذربيجان. حيث أن العلاقات الإسرائيلية الآذرية هي علاقات إستراتيجية، بسبب الحدود المشتركة بين أذربيجان وإيران، وخلال الحرب مع أرمينيا في العام ٢٠٢٠ استعملت أذربيجان أسلحة إسرائيلية وتركية في حربها مع أرمينيا، مما جعل هنالك تعاونًا إسرائيليًا تركيًا غير مباشر في أذربيجان[٢٧]. كما تجمع الدولتان ملفات مشتركة، وإن تباينت مواقفهما منها، لكن وجود علاقات بينهما يسمح لهما بالتفاهم حولها، أو عدم منح الطرف الآخر فوزًا قاطعًا فيها، لا سيّما الملف السوري، والإيراني، وملف الغاز، والتحالفات الإقليمية المختلفة في المنطقة.

تشير محاولات تركيا التقارب مع إسرائيل، والحذر الإسرائيلي من عودة العلاقات بشكل كامل وطبيعي كما كان قبل أحداث مرمرة، إلى صعود قوة إسرائيل الإقليمية بعد اتفاقيات التطبيع مع دول عربية، فقد استطاعت إسرائيل بناء تحالفات قلّلت من شأن تركيا الإستراتيجي بالنسبة لها. التحالف الإسرائيلي العربي، التحالف الإسرائيلي القبرصي اليوناني، التحالف الإسرائيلي المصري، فضلًا عن صعود مكانة إسرائيل في مجال الطاقة. في المقابل تراجعت مكانة تركيا في البيئة الإقليمية، فقد توترت علاقات تركيا مع الدول العربية، وتعقد تدخلها في سورية، وخسرت حليفها في مصر بعد سقوط الإخوان المسلمين، والأزمة الاقتصادية التي تعاني منها، وتوتر علاقتها مع الولايات المتحدة الأميركية. وترى تركيا في إعادة العلاقات مع إسرائيل مدخلًا لتحسين علاقتها مع البيئة العربية والولايات المتحدة والمشاركة في تطور قطاع الطاقة في البحر المتوسط.

الهوامش

١ للمزيد والاستزادة عن تاريخ العلاقات التركية الإسرائيلية بما يفي حاجة الباحث انظر إلى: أيمن يوسف ومهند مصطفى، سياسية إسرائيل الخارجية مع القوى الصاعدة، (رام الله: مركز مدار، ٢٠١١).

2 Ofra Bengio, "The Historical Evolution of the Israeli-Turkish Relations", in Bruce Maddy Weitzman and Asher Susser (ed.), **Turkish- Israeli Relations in Trans-Atlantic Context: Wider Europe and Greater Middle East**، Moshe Dayan Center for Middle Eastern and African Studies، Tel Aviv University، 2005، P. 51-53

3 Amikam Nachmani, The Remarkable Turkish- Israeli Tie, **Middle East Quarterly**, June 1998, available on: http://www.meforum.org/394/the-remarkable-turkish-israeli-tie.

٤ محمد نور الدين، **تركيا في الزمن المتحول: قلق الهوية وصراع الخيارات**، دمشق: دار الريس، ١٩٩٧، ص: ٢٧٧.

٥ ايتي تريلنيك، "دبلوماسي تركي: تعاون إسرائيل مع قبرص سيمنع تصدير الغاز عبر تركيا"، **ذا ماركر**، ٢٠١٣/١/٢٧، ص:١٦.

٦ براك ربيد، "بوساطة أوباما، نتنياهو هاتف أردوغان واعتذر عن مقتل المواطنين الأتراك"، (هآرتس، ٢٠١٣/٣/٢٢).

٧ براك ربيد يوهنتان ليس، "ليبرمان عن الاعتذار: غلطة قاسية ستضرب كرامتنا"، (**هآرتس**، ٢٠١٣/٣/٢٢).

٨ براك ربيد، "مندوبو نتنياهو سيصلون لتركيا لإجراء محادثات حول تطبيع العلاقات"، (**هآرتس**، ٢٠١٣/٤/٤)، ص: ١٢.

٩ موقع واي-نيت، "مصدر في مكتب رئيس الحكومة: تصريحات أردوغان حول مسؤولية إسرائيل بالانقلاب في مصر سخيفة"، (موقع واي نيت: ٢٠١٣/٨/٢١)، انظر الرابط:

١٠ يوهنتان ليس، "ليبرمان: أردوغان هو مكمل طريق غابلس"، (**هآرتس**، ٢٠١٣/٨/٢١).

١١ غيليا لاندشتراوس، من الجرف الصامد للهاوية العميقة في علاقات إسرائيل- تركيا، في: عنات كورتس وشلومو بروم (محرران). **الجرف الصامد:** انعكاسات ودروس، (١٥٣-١٥٦)، (تل أبيب: مركز دراسات الأمن القومي، ٢٠١٤)، ص: ١٥٣.

١٢ وزارة الخارجية الإسرائيلية، وزير الخارجية ليبرمان أمر بإرجاع عائلات الدبلوماسيين الذين يخدمون في تركيا، (موقع وزارة الخارجية، ٢٠١٤/٧/١٨)، انظر الرابط:
http://mfa.gov.il/MFAHEB/PressRoom/Pages/Riots_in_front_of_Israeli_consulates_in_Turkey_-_Diplomatic_families_would_be_returned_to_Israel_180714.aspx.

١٣ براك ربيد، بايدن ونتنياهو تحدثوا حول مباحثات المصالحة بين إسرائيل وتركيا، **هآرتس**، ٢٠١٦/١/٣١، ص: ٥.

١٤ براك ربيد، مكتب نتنياهو: هنالك تقدم في محادثات المصالحة بين إسرائيل وتركيا، **هآرتس**، ٢٠١٦/٢/١٢.

١٥ رامي دانيال وغاليا ليندشطراوس، علاقات إسرائيل تركيا بعد إطلاق سراح السياح الإسرائيليين: أردوغان فتح الشباك وإسرائيل مترددة، **مجلة مباط عال**، عدد ١٥٣٨، ٢٠٢١/١١/٣٠، انظر الرابط: https://bit.ly/3MokKya

١٦ يوسي فيرتر، "نتنياهو هددني، سأحرك ضدك جيشي"، **هآرتس**، ٢٠٢٢/١/٢٨، ص: ٣.

١٧ المصدر السابق.

١٨ يهوناتان ليس، إسرائيل لا تريد علاقة جمود مع تركيا، بل باردة، **هآرتس**، ٢٠٢٢/١/٣٠، ص: ٤.

١٩ رامي دانيال وغاليا ليندشطراوس، مصدر سبق ذكره.

٢٠ يهوناتان ليس، إسرائيل لا تريد علاقة جمود مع تركيا، بل باردة، مصدر سبق ذكره.

٢١ اون دغان، ما هي خلفية التقارب مع تركيا؟، **موقع سيحا مكوميت**، ٢٠٢٢/١/١٥، أنظر الرابط: https://bit.ly/3rOX9xi

٢٢ رامي دانيال وغاليا ليندشطراوس، مصدر سبق ذكره.

٢٣ يهوناتان ليس، مصدر سبق ذكره، ص: ٤.

٢٤ دين شموئيل الماس، ليس العجز المالي فقط: لماذا يريد أردوغان تحسين العلاقات مع إسرائيل؟، **غلوبس**، ٢٠٢٢/١/٢٠، أنظر الرابط:
https://www.globes.co.il/news/article.aspx?did=1001399192

٢٥ المصدر السابق.

٢٦ رامي دانيال وغاليا ليندشطراوس، علاقات إسرائيل تركيا بعد إطلاق سراح السياح الإسرائيليين: أردوغان فتح الشباك وإسرائيل مترددة، **مجلة مباط عال**، عدد ١٥٣٨، ٢٠٢١/١١/٣٠، أنظر الرابط: https://bit.ly/3MokKya

٢٧ المصدر السابق.

شيماء منير *

الإستراتيجية الإسرائيلية في البحر الأحمر وتحولات الصراع على الملاحة

أدركت إسرائيل أهمية البحر الأحمر منذ وقت مبكر، حينما سعى واضعو الإستراتيجية الصهيونية إلى احتلال النقب في جنوب فلسطين، لإيجاد موطئ قدم لهم على البحر الأحمر باحتلال أم الرشراش - على الرغم من أن السيطرة عليها تعتبر من قبل الأمم المتحدة، ومن الوجهة القانونية أمرًا غير مشروع - ليكون هدفها الرئيس بعد ذلك التصدي لمحاولات تحول البحر الأحمر إلى بحيرة عربية يمكن حال قيام حرب مستقبلية غلق نقاطه الإستراتيجية في وجه الملاحة من إسرائيل وإليها، وهو ما دفعها إلى تعزيز تواجدها في جنوب البحر الأحمر عند باب المندب، عبر توثيق علاقتها مع الدول الأفريقية، والآسيوية.

ثم استطاعت إسرائيل توظيف حالة الضعف والتمزق العربي بعد أزمة الخليج من أجل دعم وجودها العسكري في البحر الأحمر. كما شكل تصاعد خطر أعمال القرصنة وتأثيرها على حرية الملاحة، مبررًا قويًا لتدخلها، بالإضافة إلى انعكاسات الثورات العربية التي اندلعت منذ العام ٢٠١١، وتصاعدت على إثرها الأهمية الجيوستراتيجية للبحر الأحمر؛ حيث أضحى مسرحًا للتنافس الإقليمي والدولي من أجل بسط النفوذ والهيمنة.

شكل اندلاع النزاع اليمني منذ استيلاء الحوثيين على السلطة في العام ٢٠١٤، والدعم الإيراني للحوثيين كأداة ضغط على الصعيدين الإقليمي والدولي، خاصة مع التصعيد الحوثي ضد أهداف تخص دول الخليج، بالإضافة إلى اشتعال حرب السفن بين إسرائيل وإيران في البحر الأحمر، في وجود مصالح مشتركة بين إسرائيل

* باحثة متخصصة في الصراع العربي الإسرائيلي بمركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، ومدير تحرير دورية الملف المصري.

ارتكزت نظرية الأمن الإسرائيلي على ألا يكون البحر الأحمر بحيرة عربية، حتى لا يتم توظيفه ضد مصالح إسرائيل في المنطقة، والعمل على كسر طوق الحصار العربي، وحماية تجارتها الخارجية مع الأقطار الأفريقية والآسيوية. لذلك دفع إغلاق مضيق باب أثناء حرب أوكتوبر 1973 إسرائيل للبحث في أعقاب الحرب عن سبل تعزيز تواجدها في الجزر القريبة من باب المندب عسكريًا.

ودول الخليج من أجل التوافق حول ضرورة التصدي لتمدد النفوذ الإيراني، والخطر الحوثي. وقد شكلت قمة النقب الوزارية التي عقدتها إسرائيل في صحراء النقب في آذار ٢٠٢٢، تجسيدًا لمساعي إسرائيل وواشنطن لإيجاد أرضية للتعاون الأمني العربي الإسرائيلي ضد تمدد المشروع الإيراني، من خلال البحث عن آلية تعاون أمنية إقليمية لمواجهة التهديدات الجوية والبحرية والقرصنة في البحر الأحمر، وهو ما أطلق عليه "ناتو شرق أوسطي" تكون إسرائيل عضوًا فاعلاً فيه.

وهنا يمكن التنويه إلى أهمية اتباع اقتراب "المصلحة الوطنية" في التحليل؛ حيث يساهم في فهم كيف تسعى إسرائيل - ونجحت إلى حدّ كبير - في تذويب أسس الصراع العربي الإسرائيلي تدريجيًا على قاعدة المصالح الوطنية "القطرية"، من خلال ترسيخ هوية "تعددية" للإقليم، وتدشين علاقات تعاون إسرائيلي عربي؛ وذلك على أسس من الروابط الاقتصادية والتهديدات الأمنية المشتركة. وقد وضع أسس ذلك التعاون وقواعده الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، من خلال اتفاقيات أبراهام، التي تعكس تراجع مكانة القضية الفلسطينية، وتحييد النظرة إلى إسرائيل كدولة احتلال واستيطان، مقابل النظر إلى إيران كمصدر تهديد مشترك، من خلال تحريف بوصلة الصراع من عربي إسرائيلي إلى عربي إيراني بدعم إسرائيلي.

تجسد ذلك على أرض الواقع في مشاركة إسرائيل وبعض الدول العربية في المناورات العسكرية التي جرت في البحر الأحمر خلال العام ٢٠٢٢، كنتيجة لاتفاقات أبراهام، التي ساهمت في نقل إسرائيل من منطقة عمليات القيادة الأُورُوبية للقوات الأميركية إلى منطقة عمليات القيادة المركزية لتسهيل التعاون الأمني الثنائي والإقليمي، وتقاسم الأعباء في منطقة الشرق الأوسط والبحر الأحمر.[1]

وفي سياق ما سبق، تسعى المقالة إلى مناقشة الإستراتيجية الإسرائيلية في البحر الأحمر، من خلال أربعة محاور: الأول، معرفة الأهداف الإسرائيلية في البحر الأحمر من منظور جيوستراتيجي، من أجل فهم دوافع الأطماع الإسرائيلية، وحدود تمسك إسرائيل بمخططاتها التوسعية في البحر الأحمر. الثاني، محاولة فهم كيف أدارت إسرائيل الصراع مع الدول العربية لنزع صفة العروبة عن البحر الأحمر بذريعة دعم الأمن عند باب المندب، وتطويق الدول العربية من خلال مد نفوذها نحو أفريقيا ودول آسيا. أما الثالث، يسعى للكشف عن كيفية توظيف إسرائيل مقاربة السلام الاقتصادي لـ "شمعون بيريس" التي طرحها في كتاب "الشرق الأوسط الجديد"، من أجل طرح مشاريع اقتصادية تحفز التعاون العربي الإسرائيلي انطلاقًا من "إيلات"، مع تناول أبرز المخططات الإسرائيلية الساعية لمنافسة قناة السويس، وما يشكله ذلك من مخاطر إستراتيجية محتملة على الأمن القومي المصري، خاصة مع ضلوع رأس المال الدولي الحامي لتلك المشاريع في إطار مبادرة الحزام والطريق الصينية.

والمحور الرابع، يسعى لفهم هدف اتفاقات أبراهام في شقها الأمني، والتي تسعى إلى إعطاء التعاون الأمني بين إسرائيل والدول العربية مبررًا على قاعدة مواجهة التهديدات المشتركة من جانب عدو مشترك "إيران". يأتي ذلك في إطار ترتيبات واشنطن لإدماج إسرائيل داخل منظومة شرق أوسطية جديدة على أنقاض ما بقي من النظام الإقليمي العربي، يكون الحاكم الرئيس في تفاعلاتها المصالح الوطنية "القُطرية" لكل دولة على حدة.

أولًا: الأهداف الصهيونية في البحر الأحمر من منظور جيوستراتيجي

تأتي أهمية التعرف على منطقة البحر الأحمر جيوسياسيًا مع التطرق إلى أهميته الجيوستراتيجية، وعدم الاقتصار على تناوله جغرافيًا، من أجل فهم نطاق

من مناورة بحرية إيرانية. (إ.ب.أ)

الحركة الإسرائيلية ودوائرها في البحر الأحمر وحدود تفاعلها مع بعض القوى الإقليمية والدولية المتنافسة لتحقيق مصالحها، وكذلك النظم الإقليمية التي ترتبط بالبحر الأحمر. من الناحية الجغرافية، يقصد بالبحر الأحمر تلك المنطقة التي تشمل الساحل الشرقي الآسيوي، الذي يضم كلاً من: اليمن، والسعودية، والأردن، وإسرائيل من جهة، والساحل الغربي الأفريقي، والذي يضم كلاً من: مصر، والسودان، وإثيوبيا، وإريتيريا والصومال، وجيبوتي من جهة أخرى. ويحد البحر الأحمر خليجيًا العقبة والسويس في أقصى الشمال، كما يحده مضيق باب المندب المنفتح على خليج عدن، ثم على البحر العربي، فالمحيط الهندي في أقصى الجنوب.[٢]

ويتسع المفهوم الجيوسياسي للبحر الأحمر ليشمل الوحدات السياسية المرتبطة به سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا مثل: منطقة القرن الأفريقي، وحوض نهر النيل، ومنطقة المحيط الهندي وكذلك الأمر بالنسبة لمنطقة الخليج العربي. مع العلم أن الخليج العربي والبحر الأحمر يُعدان نظامين فرعيين لنظام إقليمي أوسع هو النظام الشرق أوسطي، كما يمثل الاثنان عنصرين مهمين في النظام الإقليمي العربي.[٣]

كما أن هناك الوحدات السياسية التي لديها مصالح اقتصادية في المنطقة مثل: الاتحاد الأوروبي وفرنسا واليابان، وهناك قوى كبرى مثل: الولايات المتحدة التي تمتلك إستراتيجية كونية كاملة يقع البحر الأحمر في القلب منها. ويرتبط النظام الإقليمي للبحر الأحمر بنظم إقليمية مثل إقليم الشرق الأوسط الذي يضم الأول ضمن إطاره الجيوسياسي، والذي بات يشهد سلسلة من التطورات والتحولات والأزمات خلال العقد الأخير.[٤]

ويتميز البحر الأحمر بموقع جيوسياسي فريد يضفي نوعًا من التعقيد على العلاقات الإقليمية والدولية، فهو يقع عند نقطة التقاء قارات ثلاث: أفريقيا من الغرب، وآسيا من الشرق وأوروبا من الشمال، ليصل الشرق بالغرب. وهو أيضًا يربط البحر العربي والمحيط الهندي بالبحر الأبيض المتوسط بواسطة مضيق باب المندب في الجنوب وقناة السويس في الشمال، وبهذا يصبح همزة وصل إستراتيجية لكثير من الطرق المائية.[٥]

وعلى الصعيد الجيوستراتيجي، فقد ارتبطت أهمية البحر الأحمر تاريخيًا بالميزات الناتجة عن السيطرة العسكرية على الممرات المؤدية إليه، بما يضمن حرية

الملاحة فيها، ومحورًا مهمًا في الإستراتيجيات العسكرية بالمنطقة، وفي أي عملية عسكرية محتملة في منطقة الشرق الأوسط؛ حيث تلعب الجزر الواقعة فيه - ٣٧٩ جزيرة - دورًا مهمًا في مضاعفة قيمته الإستراتيجية والعسكرية.[٦] وذلك وفقًا لنظرية "القوة البحرية" لـ ألفريد ماهان (A. T. Mahan)، الذي قصد بالقوة البحرية "القوة العسكرية" ورأى أن التحكم في البحار يعني التحكم في القواعد البرية التي تتميز بالمواقع الإستراتيجية المتحكمة في النقل البحري، والقواعد البحرية التي تحميها أشكال السواحل من جهة، وعمق خلفيتها الأرضية من جهة ثانية.[٧]

إلا أن التطورات التي شهدها العالم منذ نهاية الحرب الباردة ساهمت في خروج "الجيوستراتيجية" من المعنى "العسكري" التقليدي نحو تفسير أكثر شمولًا للسياسة الإقليمية والعالمية، والأمن في سياق العديد من المحددات المختلفة؛ الطبيعية، والأيكولوجية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية – الاجتماعية.[٨] على النحو الذي ساهم في ظهور ما يسمى بـ "الجيوستراتيجية الحديثة" MODERN GEOSTRATEGY التي تضع في الحسبان ثلاثة عوامل رئيسة: أولها، تأثير تغير الزمن في الأهمية النسبية للجغرافيا بالنظر إلى مدى توافر الموارد الطبيعية ومستوى كفاءة المورد البشري فيها، وثانيها، أهمية الموقع الجغرافي في تحقيق السيطرة على تكنولوجيا تدفق المعلومات والاتصالات وثالثها، التغير في المصالح والتهديدات مع تغير توازن القوى في المنطقة الجغرافية محط الاهتمام (البحر الأحمر)؛ حيث باتت تتشكل في منطقة البحر الأحمر بيئة جيوستراتيجية جديدة NEW GEOSTRATEGIC Landscape [٩] وذلك مع التغير اللافت في خارطة التحالفات، كنتيجة للتغير في إدراك المخاطر وظهور مهددات جديدة واحتدام التنافس الإقليمي والدولي، عقب سلسلة اكتشافات النفط في دول الخليج العربي والقرن الأفريقي، وتصاعد أهمية الأمن البحري لقطاعي النفط والغاز، حتى صار البحر الأحمر طريقًا نفطيًا إستراتيجيًا،[١٠] على النحو الذي يمكن القول إنه وفقًا لنظرية "قلب العالم"، أضحت على ضوئها منطقة البحر الأحمر قلب العالم الحديث.[١١]

ونظرًا لكون جيوستراتيجية الموقع تبحث في الإمكانات المتاحة التي يمكن استثمارها في مجال الدفاع والهجوم والسيطرة على طرق المواصلات لعرقلة تحركات العدو[١٢] فقد استند واضعو الإستراتيجية الصهيونية

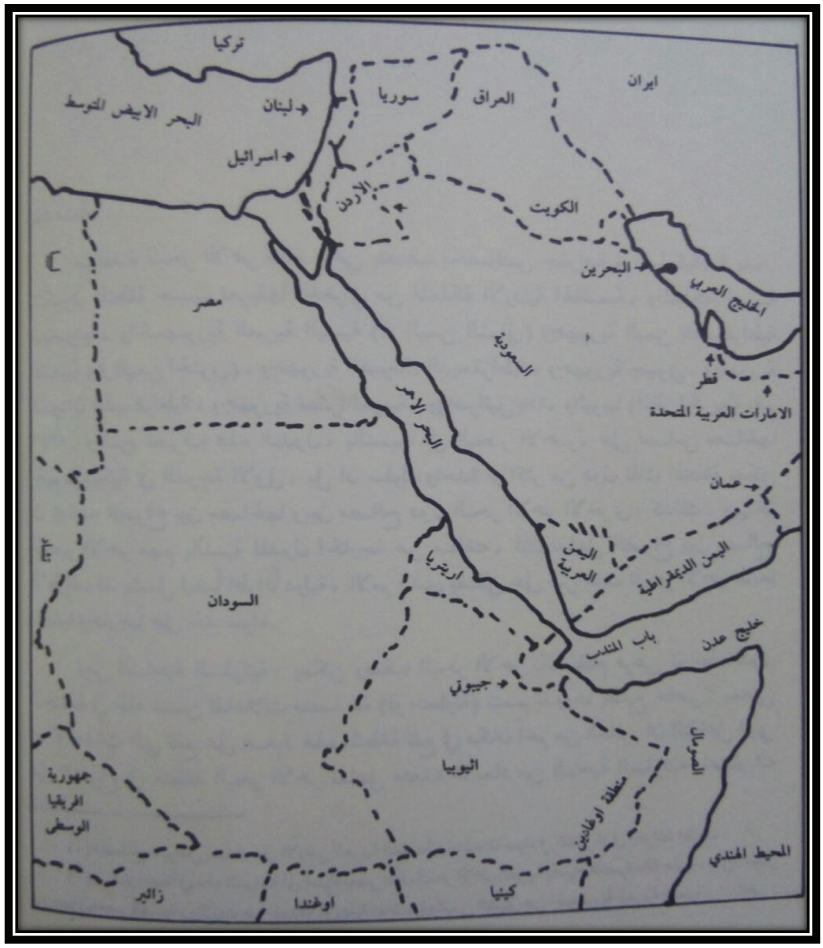

خريطة رقم (١): منطقة البحر الأحمر جيوسياسيًا *

* د. عبد الله عبدالمحسن السلطان، «**البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي .. التنافس بين استراتجيتين**»، (مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (٧) الطبعة الأولى، آب ١٩٨٤، ص٢٤.

استندت الإستراتيجية الإسرائيلية على اعتبار جنوب إسرائيل في منطقة النقب، وميناء إيلات، وخليج العقبة وحدة (متكاملة)، وبالتالي فإن نظرية الأمن القومي الإسرائيلية قامت على فكرة الردع العسكري، الذي يعتبر حرية الملاحة في البحر الأحمر من وإلى إيلات أمرًا إستراتيجيًا بالمعنى السياسي، والعسكري؛ وليس لأهداف اقتصادية فقط، وإنما لأهداف الأمن القومي التي تؤكد على إبراز رموز السيادة الإسرائيلية على هذه المنطقة.

في صياغتهم لها إلى النظريات الجيوسياسية التي تركز على أهمية التحكم في المواقع المطلة على البحار، خاصة مع إدراك القادة الصهيونيين أن إسرائيل التي ستقام في المنطقة العربية ستكون معزولة ومحاصرة ومحاطة ببيئة ترفض التعامل أو التعايش معها. لذلك ركزت أوساط صهيونية واسعة قبل إنشاء كيانها على المزايا التي يمكن تحقيقها في حالة السيطرة على موقع على البحر الحمر. فعلى سبيل المثال، دعا بن غوريون إلى سيطرة إسرائيل على نقاط في البحر الأحمر ذات أهمية قصوى، لأن هذه النقاط سوف تساعدها على التحرر من أي محاولات لمحاصراتها وتطويقها كما ستشكل قاعدة انطلاق عسكرية لمهاجمة أعدائها.[١٣] كما يساهم هذا الموقع في الوصول إلى آسيا وأفريقيا واحتلال موقع عليه يسهم في خلق حاجز بشري واستيطاني وجغرافي يعزل المشرق العربي عن مغربه مع ما يترتب على ذلك من آثار إستراتيجية واقتصادية وسياسية، ومنه تنطلق تجارة الدولة إلى أسواق أفريقيا وآسيا لتصريف منتجاتها واستيراد المواد الأولية التي تحتاج إليها.[١٤]

وقد اعتمدت الصهيونية على عدد من الروايات لتبرير أحقيتها في البحر الأحمر، مثل ما تضمنته أسفار العهد القديم بشأن النشاط التجاري الذي قام به سليمان بن داود في البحر الأحمر كعميل تجاري للفينيقيين، وعميل تجاري، وسياسي للمصريين، فهناك عبارات في الإصحاح العاشر من سفر الملوك الأول تُشكل عند الصهيونية بذرة الحق التاريخي لليهود في التواجد الأصيل في البحر الأحمر. كما تشير روايات أسفار العهد القديم إلى الملاحة التجارية في البحر الأحمر، ثم الشواطئ العربية الجنوبية المُطلة على المحيط الهندي، والتي تُشكل أوفير واحدة من موانئها القديمة على ساحل عمان.[١٥]

وهنا تتضح أهمية آراء "جيرتجان ديجكينك" gert-jan dijkink" حينما تناول فكرة الإقليم المقدس أو الأرض المقدسة، التي تؤسس لعناصر "الجيوبوليتيكا الدينية"، فاليهود يعتقدون بأنهم شعب الله المختار، وهبهم الله الأرض المقدسة (فلسطين) بموجب وعد قطعه على نفسه لأنبياء بني إسرائيل بأن يهب لهم أرضًا عاصمتها القدس، وتمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات. وقد رأى قادة الصهيونية أن هدف الوصول إلى البحر الأحمر يقتضي السيطرة أولًا على النقب، لذلك قامت إستراتيجية الاستيطان الصهيوني في نهاية الثلاثينيات، والأربعينيات على ضرورة السيطرة على النقب؛ إدراكًا بأن الوصول إلى البحر الأحمر يتطلب السيطرة على النقب سيطرة شاملة.

وقد أكد بن غوريون على تلك الأهمية في خطته الاستيطانية عام ١٩٣٦ إلى الوكالة اليهودية، التي استهدفت الزحف إلى النقب؛ وذلك بعبارات واضحة وحازمة عندما قال: "هناك أهمية كبيرة لسيطرتنا على رأس جسر في خليج إيلات؛ فهذه السيطرة ستُمكننا من إنشاء ميناء للتصدير من أجل تصدير كنوز، ومناجم النقب؛ وليكون جسرًا يربط بين إسرائيل، والعديد من الأقطار" بالإضافة إلى بسط السيطرة على شمال أفريقيا، وشرق وجنوب شرق شبه الجزيرة العربية، والمحيط الهندي. وفرض رقابة على الأنشطة الحيوية لبلدان مثل؛ مصر، والسعودية، واليمن، والإمارات، والكويت، وقطر، والبحرين، وإيران، وباكستان، وحتى الهند، بالإضافة إلى استخدامه كشريان إسرائيلي عوضًا عن قناة السويس، وتفكيك روابط العالم العربي القومية.[١٦]

أضف إلى ما سبق، فقد تحدث عن أهمية (إيلات) "ايغال ألون" قائد المنطقة الجنوبية قبل تنفيذ حملة (عوفاديا)؛ حيث قال: "لا بد من السيطرة على منطقة النقب بأكملها، وخاصة منطقة رأس النقب، والوصول إلى ساحل البحر الأحمر، والسيطرة على أم الرشراش لنصل إلى منفذ بحري على البحر الأحمر لتكون لنا رئة نتنفس منها، ونطل بها على العالم في الشرق، وتسير من خلالها أساطيلنا البحرية".[١٧]

خريطة رقم (٢): ميناء إيلات على خليج العقبة *

لذلك استندت الإستراتيجية الإسرائيلية على اعتبار جنوب إسرائيل في منطقة النقب، وميناء إيلات، وخليج العقبة وحدة (متكاملة)، وبالتالي فإن نظرية الأمن القومي الإسرائيلية قامت على فكرة الردع العسكري، الذي يعتبر حرية الملاحة في البحر الأحمر من وإلى إيلات أمرًا إستراتيجيًا بالمعنى السياسي، والعسكري؛ وليس لأهداف اقتصادية فقط، وإنما لأهداف الأمن القومي التي تؤكد على إبراز رموز السيادة الإسرائيلية على هذه المنطقة.[١٨]

وبالتالي كان احتلال إسرائيل لمنطقة رأس النقب، وقرية "أم الرشراش" الواقعة على خليج العقبة في العملية العسكرية التي قادها إسحق رابين، وأطلق عليها عملية (عوفاديا)؛ وذلك في شهر آذار ١٩٤٩؛ بداية تنفيذ الإستراتيجية الإسرائيلية في البحر الأحمر؛ حيث باتت إسرائيل بمقتضاها تتمتع بمنفذ على البحر الأحمر، وأسست على أنقاضها ميناء إيلات على خليج العقبة.[١٩]

وحرصت إسرائيل بعد سيطرتها على إيلات على توظيف موقعه الجغرافي، واللوجيستي من خلال اتباع إستراتيجية تعتمد على "المرحلية" في التنفيذ، والتي تُعد جزءًا من الإستراتيجية الصهيونية الكبرى للسيطرة على البحر الأحمر.[٢٠] حتى صارت إيلات مدينة سياحية، ومركزًا لمحطات التجارب، ومعسكرات العمل في أقصى جنوب النقب، ووادي العربة، كما قامت بتحصينه من أجل تلبية كافة المتطلبات الحربية.[٢١] وأصبح الميناء يقوم بدور محوري، وحيوي في تجارة إسرائيل الخارجية، وتم ربط مدينة إيلات بمدينة بئر السبع، وميناءي أسدود، وعسقلان على البحر المتوسط بطرق رئيسة تخترق إقليم النقب، وتنقل البضائع عبر هذه الطرق بالشاحنات الضخمة، كما تم ربط إيلات بمنشآت البوتاس في أسدود، وبمركز المفاعل النووي في ديمونة بطرق رئيسة معبدة أخرى تخترق وادي عربة، وتربط إيلات أيضًا بمناجم الفوسفات في النقب.[٢٢]

ثانيًا: تأمين نطاق الأمن الحيوي الجنوبي لإسرائيل

ارتكزت نظرية الأمن الإسرائيلي على ألا يكون البحر الأحمر بحيرة عربية، حتى لا يتم توظيفه ضد مصالح إسرائيل في المنطقة، والعمل على كسر طوق الحصار العربي، وحماية حرية تجارتها الخارجية مع الأقطار الأفريقية والآسيوية. لذلك دفع إغلاق مضيق باب المندب - الذي يعد واحدًا من أهم الممرات المائية في

* د. صبري فارس الهيتي، سلسلة الدراسات الإستراتيجية (٢)، «المكانة الجيوستراتيجية للبحر الأحمر والأطماع الدولية»، (الطبعة الأولى ٢٢٠٢، ١ دار إريتيريا للنشر والتوزيع)، ص١٦

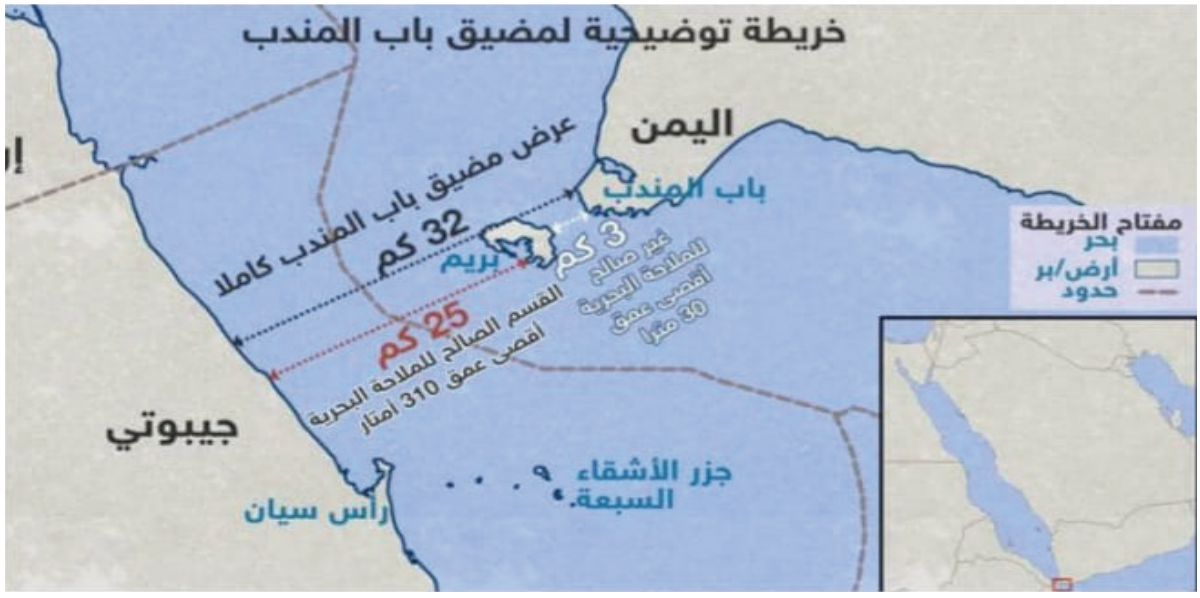

خريطة رقم (٣): مضيق باب المندب *

العالم، تجاريًا وعسكريًا - أثناء حرب السادس من أوكتوبر ١٩٧٣ إسرائيل للبحث في أعقاب الحرب عن سبل تعزيز تواجدها في الجزر القريبة من باب المندب عسكريًا حتى لا تكون هناك أي سيطرة منفردة على البحر الأحمر من جانب الدول العربية المطلة عليه، وتضمن حريتها الملاحية.[٢٣]

ومن أجل تحقيق ذلك الهدف، حظيت منطقة القرن الأفريقي بأهمية كبيرة في التخطيط الإستراتيجي الإسرائيلي لمنطقة البحر الأحمر، من أجل رصد التحركات البحرية في مضيق باب المندب؛ لذلك حرصت على إقامة تحالفات مع إثيوبيا وأريتريا وتطبيع علاقاتها مع دول القرن الأفريقي، كما قامت بتدشين علاقات ثنائية طويلة الأمد، بما في ذلك شراكات استخباراتية وأمنية قوية[٢٤] من أجل التمركز العسكري في بعض الجزر المطلة على باب المندب في البحر الأحمر، واستخدام موانئها والجزر التابعة لها لأغراض عسكرية، وتأمين خطوط تجارتها من ميناء إيلات وإليه. حتى أصبحت تقيم في دهلك أكبر قاعدة بحرية لها خارج حدودها، وتُعد مركزًا لها للرصد والمراقبة في البحر الأحمر ومراقبة السعودية واليمن والسودان وحركة ناقلات النفط، وتعد أيضًا محطة لتشغيل الغواصات الإسرائيلية المزودة بالصواريخ النووية التي تقوم بحركة الملاحة عند مضيق باب المندب.[٢٥]

كما استغلت إسرائيل علاقاتها بإريتريا لإنشاء ثلاث قواعد عسكرية في كل من: جبل حامد، وجبل مهكلاي في غرب أريتريا، وجبل هقر في شمال أريتريا، كما أقامت قاعدة عسكرية في ميناء "مصوع" عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر.[٢٦]

كذلك، استأجرت جزيرتي "حاليب وفاطمة" الواقعتين جنوب غرب البحر الأحمر" وبنت قاعدة عسكرية في كل منهما، ولم تكتف بذلك، حيث حصلت أيضًا على جزيرتي "سنتيان وديميرا" المشرفتين على مضيق باب المندب،[٢٧] كما أن لإسرائيل قاعدة تنصّت على قمة أعلى جبل في أريتريا "أمبا سواره"، الذي يرتفع عن سطح البحر نحو ثلاثة آلاف متر، كما وضعت عينها على بعض الجزر اليمنية، مثل: زقر، وميون، وجبل الطير، وحنيش، وحاولت احتلال بعضها أو ساندت احتلال البعض الآخر من قبل حلفائها.[٢٨]

كما استفادت إسرائيل من تعزيز أمريكا من ثقلها في منطقة البحر الأحمر بحجة حماية طرق الملاحة الدولية في إطار حملتها الدولية على ما يعرف بالإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١؛

* د. صبري فارس الهيتي، سلسلة الدراسات الإستراتيجية (٢)، «المكانة الجيوستراتيجية للبحر الأحمر والأطماع الدولية»، مرجع سبق ذكره، ص١٢

الجزر الموجودة فى البحر الأحمر

الدولة	الامتداد الساحلي للدول على البحر الأحمر	الامتداد الساحلي للدول على البحر الأحمر	إجمالي عدد الجزر
	طول الساحل بالميل البحري	عدد الجزر	
المملكة السعودية	٩٣٠	١٤٤	
مصر	٧٥٠	٢٦	
السودان	٤٠٠	٣٦	
إريتريا	٤٣٠	١٢٦	
الصومال			
جيبوتي	٢٠	٦	
اليمن	٣٠٠	٣٩	
الأردن	١٣		
إسرائيل	٤	-	
إجمالي عدد الجزر			

٣٧٧

جدول رقم (١): طول الحدود المطلة على البحر الأحمر وعدد الجزر التابعة لكل دولة *

حيث أصبح هناك تمركز إسرائيلي إلى جانب التمركز الأميركي في أرض الصومال وجيبوتي، وخصوصًا بعد تفجير الفندق المملوك لإسرائيل في مومباسا في كينيا عام ٢٠٠٢، الأمر الذي تذرعت به إسرائيل لتعزيز وجودها في البحر الأحمر والقرن الأفريقي.[٢٩]

أضف لما سبق، سعت إسرائيل لتدويل البحر الأحمر، تحت ذريعة مواجهة القرصنة في البحر الأحمر؛ حيث تذهب بعض التقديرات إلى وجود مسؤولية إسرائيلية تجاه القرصنة خلال العقد الماضي؛ وذلك بهدف تدشين مشروعية للوجود العسكري الدولي.[٣٠]

أصبح لإسرائيل ثقل في القرار الأفريقي وإمكانية تأثير فيه، وبالتالي تحويل وجهة دول القرن الأفريقي ومواقفها من مواقف مؤيدة للقضايا العربية إلى مواقف مؤيدة للمشروعين الصهيوني والأميركي في المنطقة، وتأكيد الحضور الإستراتيجي في دول حوض النيل، فضلاً عن امتلاك أوراق تأثير في دوائر تمس الأمن القومي المصري والسوداني والمساومة بها في ملفات ثنائية وإقليمية، خاصة مع أزمة السد الإثيوبي، ووجود شواهد تؤكد استفادة إثيوبيا من الخبرات التكنولوجية الإسرائيلية في ما يتعلق بسد النهضة، وقضايا المياه عمومًا.[٣١] إلا أن التحدي الأهم الذي تواجهه مصر هو إنشاء منظومة دفاع صاروخية إسرائيلية لحماية سد النهضة، وفقًا لموقع "ديبكا" الإسرائيلي، وهو الأمر الذي سيترتب عليه امتلاك إثيوبيا لأوراق ضغط إضافية داخل إقليمي البحر الأحمر، وحوض النيل.[٣٢]

ثالثًا: السلام الاقتصادي وسبل توظيف "إيلات" لدعم نفوذ إسرائيل الإقليمي

لم تغفل إسرائيل يومًا منذ احتلال أم الرشراش "إيلات" عن البحث في كيفية توظيف موقعه من أجل الحصول على اعتراف دولي بمكاسب جيوستراتيجية جديدة، سواء من خلال طرح مشاريع اقتصادية تحفز على التعاون العربي الإسرائيلي، تحت مسمى السلام الاقتصادي، أو من خلال طرح مشاريع بديلة أو منافسة لقناة السويس، ويأتي ذلك تنفيذًا للأهداف الصهيونية، التي سبق وطرحها رئيس الوكالة اليهودية حاييم وايزمان- أول رئيس لإسرائيل بعد إنشائها - وهي فكرة توصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط عبر البحر الميت عام ١٩١٤ ضمن أفكار أخرى لتشجيع

* . أماني الطويل، «أمن البحر الأحمر: التطورات الراهنة والخيارات المصرية» دورية بدائل (مركز الأهرام للدراسات السياسية ٢ والإستراتيجية، العدد٦٣، تشرين الأول ٢٠١٩)، ص٢٢

بريطانيا على استصدار وعد بإقامة دولة يهودية في فلسطين. وتشير الوثائق البريطانية إلى مخاطبة وايزمان حكومة بريطانيا قائلًا: "إنكم تريدون مصر بسبب قناة السويس. في وسعنا أن نعطيكم قناة بديلة لا تحمل أثقال متاعبكم مع مصر، وذلك بشق قناة بين خليج العقبة، والبحر الميت، كمرحلة أولى، ثم من البحر الميت إلى البحر المتوسط كمرحلة ثانية". وفي خمسينيات القرن الماضي طُرحت فكرة القناة بوضوح في الأوساط الاستعمارية، والصهيونية؛ وذلك بعد انسحاب القوات البريطانية من مصر، وتأميم قناة السويس، وفشل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦؛ وذلك بعد إحكام السيطرة المصرية على قناة السويس، ومضائق تيران، ومنع السفن الإسرائيلية من عبور القناة، والبحث في إمكانية شق قناة تربط البحر المتوسط بخليج العقبة، وتكون قناة بديلة للقناة المصرية.[٣٣]

ثم تجدد طرح فكرة شق قناة عريضة بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر عبر صحراء النقب في العام ١٩٦٨ لتكون بديلًا عن قناة السويس[٣٤] بعد محاولة إغلاق مضائق "تيران"، التي كانت من الأسباب المركزية وراء نشوب حرب ١٩٦٧، الأمر الذي اعتبرته إسرائيل اعتداء مباشر على حرية الملاحة في البحر الأحمر؛ حيث اضطرت إسرائيل آنذاك لاستخدام الجسر البري في النقب كبديل للقناة، بحيث يكون بديلاً للشحن بين البحر الأحمر، والبحر الأبيض المتوسط. وظلت تلك المنطقة الإستراتيجية محل توتر أمني كبير طوال حرب الاستنزاف وبناء على ذلك، تم إنشاء جسر بري في العام ١٩٧٠ على الخط البحري الإسرائيلي (زيم)، لتوفير خدمة الشحن بين أشدود، وميناء إيلات. وفي الوقت نفسه، تم وضع أنبوب نفط قطره ٤٢ بوصة بسعة تعادل ٦٠ مليون طن سنويًا عبر النقب من إيلات إلى أشدود.[٣٥]

إلا أن حالة الصراع والحروب مع الدول العربية شكلت عائقًا أمام تنفيذ إسرائيل طموحاتها، وظل ذلك الوضع حتى انطلاق عملية السلام في الشرق الأوسط بعد مؤتمر مدريد للسلام عام١٩٩١، والذي أتاح الفرصة لإسرائيل لإحياء العديد من المشاريع التي يمكن تنفيذها إقليميًا.[٣٦] وقد ساهم تصاعد الأهمية الاقتصادية للبحر الأحمر في تطوير الوظيفة الإقليمية لإسرائيل، من خلال مقاربة السلام الاقتصادي، التي تدعي أن التعاون الاقتصادي سيدفع بالسلام السياسي على الأرض من خلال طرح المصالح المشتركة لكل الأطراف؛ حيث أوضح شمعون بيريس، في كتابه "الشرق الأوسط الجديد" أن الخلاص لن يأتي من تسويات سياسية فارغة تتجاهل جذور المشكلة، بل من خلال بناء اقتصاد حديث.[٣٧]

وتلخصت محصلة الإدراك الإسرائيلي في أن العمل العسكري – مهما كانت طاقاته وقدراته – سيظل عاجزًا عن تحقيق بعض الأهداف الحيوية للحركة الصهيونية، وأن التوسع السياسي، وهدف السيطرة

خريطة رقم (٤): أهم الجزر اليمنية الواقعة في البحر الأحمر *

* القبطان علي حميد شرف، «الجزر والفنارات اليمنية في البحر الأحمر- خليج عدن- البحر العربي» الطبعة الثانية، كانون الثاني ٢٠٠٢، ص٤٠.

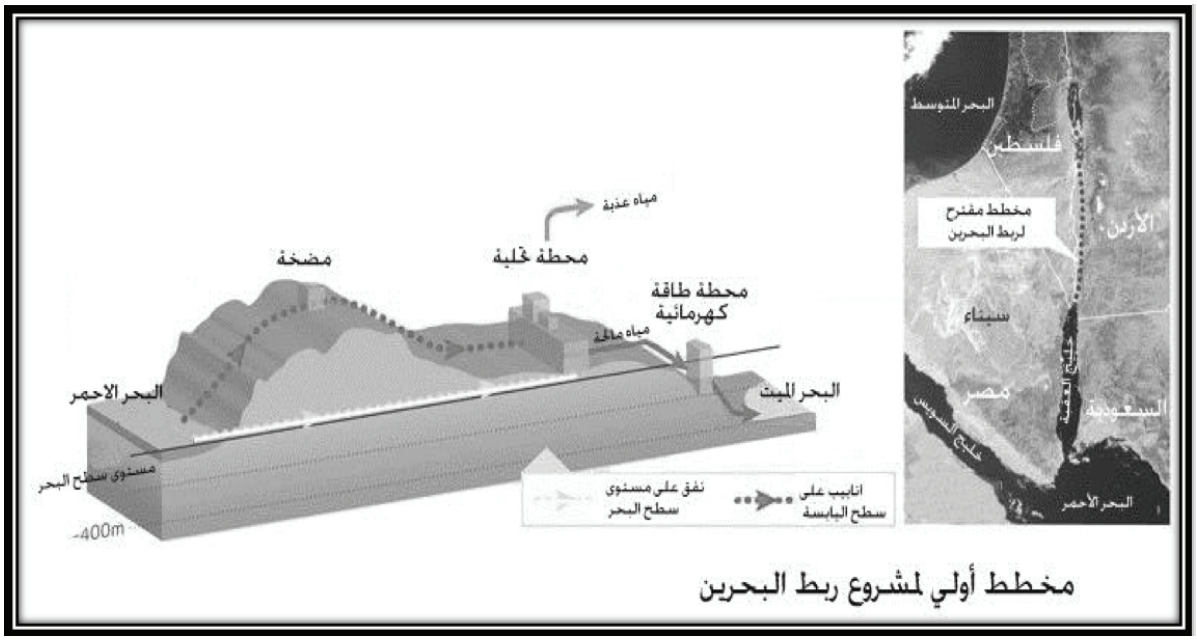

شكل رقم (١): مخطط أولي لمشروع ربط البحرين (الأحمر والميت) *

على المنطقة والتحكم في أجوائها ومياهها، ومنافذها الإستراتيجية يتطلب فرض (النفوذ الناعم) من خلال المدخل الاقتصادي من أجل التوسع الإقليمي، وتدشين شبكة من العلاقات الاقتصادية "الآمنة".[٣٨]

وتحدث بيريس عن أهمية البحر الأحمر وسبل توظيف ميناء إيلات من خلال طرح فكرة مشروع قناة البحرين (الأحمر – الميت) ورأى أنه بدلًا من الحرب حول مياه نهر الأردن يمكن توفير مياه إضافية توزع لفائدة الجميع، كما أن التعاون في هذا المشروع بين الأردن والفلسطينيين وإسرائيل سيؤدي إلى إعادة إنعاش البحر الميت، ويحوله إلى مصدر هائل للدخل[٣٩] وقد بدأ البحث في المشروع بشكل جدي بتاريخ ٢٥ تموز ١٩٩٤ بعد توقيع معاهدة السلام الأردنية – الإسرائيلية؛ حيث تم التوصل في شهر تموز ٢٠١٧ إلى اتفاق ثلاثي؛ فلسطيني-إسرائيلي – أردني، في مجال المياه، يقضي بأن تبيع إسرائيل ما يصل إلى ٣٣ مليون متر مكعب، إلى السلطة الفلسطينية، وفقًا لخطة يرعاها البنك الدولي؛ بشأن بناء خط أنابيب بطول ٢٠٠ كيلومتر، تمتد من البحر الأحمر، وحتى البحر الميت، إضافة إلى إنشاء محطة لتحلية المياه في ميناء العقبة الأردني.[٤٠]

وقد تعرض ذلك المشروع لبعض المعوقات، من بينها توتر العلاقات بين الأردن وإسرائيل، إلا أنه في أعقاب اتفاقات أبراهام بين إسرائيل والبحرين والإمارات، قررت وزارة التعاون الإقليمي في الحكومة الإسرائيلية إعادة النظر في استئناف العمل في المشروع، ورفعت توصية بعمل ذلك إلى وزير التعاون الإقليمي أوفير أكونيس.[٤١]

من المهم التنويه في هذا السياق إلى أنه على الرغم أن بعض الدراسات استبعدت قدرة إسرائيل على شق قناة لربط البحرين الأحمر والميت، أو البحر الأحمر بالمتوسط؛ وذلك إما لصعوبات فنية أو بسبب الحالة السياسية الموجودة في المنطقة، أو لأنها تبدوا ظاهريًا أكبر بكثير من حجم إسرائيل وقدراتها وإمكانياتها، فإن الفكرة لم تندثر لأنها تمثل هدفًا صهيونيًا إستراتيجياً، كما أنه لا يجب النظر إلى تلك المشاريع بنظرة اقتصادية بحتة؛ لأنها تصبح رؤية قصيرة النظر؛ لأن الاقتصاد الإسرائيلي، وتلك المشاريع الكبرى، لا تقوم إسرائيل بدعمها ذاتيًا، بل تدعمها الصهيونية - كحركة عنصرية واستعمارية واستيطانية - بالإضافة إلى دعم الرأسمالية العالمية، وعدد من الدول الغربية. كما يعود ذلك إلى

* معين حداد، السلطة الفلسطينية تنضم إلى مشروع «قناة البحرين» المائي، «إسرائيل» وافقت على زيادة مبيعات المياه للسلطة الفلسطينية،١٣/٧/٢٠١٧ **الخليج أونلاين** http://alkhaleejonline.net/articles ، «قناة البحرين: إشكاليات» ص١٤ دراسة متوافرة على الرابط الآتي:https://uneautregeographie.files.wordpress.com/2016/09/kanat-al-bahrein.pdf

البراغماتية الصهيونية التي تختار التوقيت المناسب وفقًا للصبر الإستراتيجي دون إلغاء أهدافها.[٤٢]

وفي ما يخص أطماع إسرائيل في منافسة قناة السويس، وتزامنًا مع مساعيها لاستكمال أنبوب البحرين (الميت/ الأحمر) يأتي مشروع بناء سكة حديد تصل بين ميناء إيلات (على البحر الأحمر) وميناء أشدود (على البحر المتوسط) لربط البحرين[٤٣] استكمالًا لمساعي إسرائيل لمنافسة مصر في موقعها؛ حيث أقرت حكومة نتنياهو في شهر أيار عام ٢٠١٢، إنشاء المشروع بالإجماع، وفي شهر تموز وقع يسرائيل كاتس، وزير النقل الإسرائيلي، مذكرة تفاهم مع نظيره الصيني، معلنًا انخراط الصين في إنشاء خط سكة الحديد.[٤٤]

يأتي ذلك ضمن مبادرة الحزام والطريق الصينية، وتصاعد الأهمية الإستراتيجية لموانئ البحر الأحمر، التي يعد البحر الأحمر مكونًا أساسيًا فيها؛ حيث فازت الصين بمناقصة بقيمة ٢ مليار دولار لبناء خط سكة حديد "ميد ـــ ريد".[٤٥]

وعن المميزات التي تحاول إسرائيل تسويقها بالنسبة لمشروع (ميد – ريد)، فعلى الرغم من أن المسافة بين إيلات، وأشدود نحو ١٩٠ ميلًا، فسيتم قطعها بواسطة هذا القطار(ميد – ريد) في نحو ٤ ساعات فقط، ومن ثم فإن عملية الشحن، والتفريغ كاملة سوف تستغرق نحو ٢٠ ساعة فقط.[٤٦] ومن منظور جيوستراتيجي فإن إسرائيل ستتمكن من الوصول إلى الأرض (عبر أوراسيا)، وربط البحرين الأبيض المتوسط والأحمر،[٤٧] وبالتالي، يتبين كيف تسعى إسرائيل لتوظيف مزايا موقع إيلات، حتى تصبح جسرًا يربط طرق التجارة الصينية من الشرق الأقصى حتى أفريقيا إلى الشرق الأوسط، وإلى أوروبا. ومن هذا التصور فإن إسرائيل تطمح إلى أن تصبح جزءًا أساسيًا من النظام التجاري العالمي.[٤٨]

ومن الجدير بالذكر أن إسرائيل تروج وتدعي بأن هذا المشروع ليس منافسًا لقناة السويس، بل مجرد طريق فرعي مكمل، خصوصاً في أوقات الطوارئ لقناة السويس التي تعتمد عليها الصين الآن بشكل كامل لشحناتها إلى أوروبا، ومن ثم لن تصبح بحاجة إلى أن تعتمد على مسار واحد للنقل متمثلًا في قناة السويس، وسيكون بمقدورها أن تتجنب مخاطر انقطاع الشحن.[٤٩] وهذا ما تم تجدد مناقشته إثر حادثة جنوح السفينة "إيفرجيفين" بقناة السويس في آذار ٢٠٢١؛ حيث تحدثت تقارير إسرائيلية عن عودة دراسة تنفيذ المشروع الإسرائيلي، مع احتمال تعرض الملاحة البحرية في البحر الأحمر من مخاطر، إذا تعرض مخرجه الشمالي للخطر.

ومن منظور تعزيز القدرات التنافسية لهذا المشروع مع قناة السويس فإن إنشاء هذا الخط من وجهة النظر الإسرائيلية يتطلب إحداث حركة تطوير واسعة تتجاوز مينائي أشدود وإيلات، وستكون الخدمة البحرية مرتبطة بحركة السفن العالمية، وإنشاء مناطق الترانزيت التجاري الدولي التي ستكون قائمة في أشدود وإيلات، وهو مفهوم اقتصادي مازال يجرى بحثه، وكيفية استغلاله بحيث تكون إحدى الوظائف الأساسية لخط السكك الحديدية الإسرائيلي المقترح إنشاؤه هو؛ إمداد السفن التجارية، والعملاقة بكل احتياجاتها من السلع، والبضائع سواء أكان استيرادًا أم تصديرًا، بحيث لا تضطر سفن المتوسط أن تصل بحمولتها إلى ميناء إيلات، وإنما سيتم ضغط المرحلة البحرية لتستكمل من خلال مرحلة السكك الحديدية الإسرائيلية التي تصل بالبضائع إلى موانئ البحر الأحمر، والعكس صحيح. وبالإضافة إلى حرص المشروع على توظيف ميناء إيلات على البحر الأحمر ليكون نافذة على الدول العربية الآسيوية، فإنه يعطي كذلك أهمية كبيرة لأفريقيا، ومن أجل ذلك فهناك دول أفريقية عدة سيتم فيها نشر مراكز التسويق، والتجارة لميناء إيلات، بالإضافة إلى دخول مؤسسات إسرائيلية، وأميركية في نطاق المكاتب الكبرى للاستيراد والتصدير؛ أي إنشاء حركة تجارية قارية واسعة النطاق بين أفريقيا، ونظيراتها الأوروبية، والأميركية من خلال المؤسسات الإسرائيلية، والأميركية التي ستصب جميعها في ميناء إيلات على البحر الأحمر.[٥٠]

وإدراكًا من جانب مصر للمخاطر المستقبلية في حال تنفيذ تلك المشروعات، فقد حرصت على تطوير مرفق القناة وتزويده بأحدث الإمكانات وتعزيز مكانته، مع تنفيذ مخطط كبير لتطوير الموانئ المختلفة وربطها ببعضها البعض، بالإضافة إلى خطوط برية مهيأة لاستيعاب حركة النقل بمختلف أنواعه، فضلاً عن تزويد الموانئ بأحدث التجهيزات اللوجستية؛ مما يجعلها مهيئة لاستقبال أكبر السفن والحاويات في العالم، والتعزيز من الميزات التنافسية التي توفرها مصر في ما يتعلق بنقل البضائع والحاويات، وحتى على مستوى الاستثمار وجذب رؤوس الأموال الأجنبية".[٥١]

ثالثًا: اتفاقيات أبراهام (Abraham Accords): تحولات على قاعدة المصالح "القُطرية"

شكلت التغيرات الجيوسياسية في المنطقة نتيجة الثورات العربية، التي اندلعت منذ كانون الثاني ٢٠١١

والتي تحولت في بعض الحالات إلى صراعات مسلحة، وانهيار الدولة القومية أو فشلها في حالات أخرى، عوامل دفعت إسرائيل لإعطاء الساحة البحرية المزيد من الاهتمام في عقيدتها الأمنية، خاصة بعد امتداد التنظيمات المتطرفة نحو منطقة القرن الأفريقي في السنوات الأخيرة، وهشاشة الدولة الصومالية، ورفع مستوى التهديدات الأمنية بالبحر الأحمر، على النحو الذي أثر في أمن هذه المنطقة الحيوية المتحكمة في مسار التجارة العالمية عبر البحر الأحمر.[٥٢] أضف إلى ما سبق تصاعد حدة التنافس بين القوى الإقليمية، والدولية خاصة مع اندلاع النزاع اليمني في العام ٢٠١٤ ومساعي إيران لاستكمال الدوائر المفرغة من "الهلال الشيعي"، من خلال السيطرة على مضيق باب المندب الذي أصبح أقل الممرات المائية استقراراً في العالم. وذلك عبر دعم قوة "أنصار الله" وتعزيزها كقوة عسكرية حليفة لإيران، بتكنولوجيات الأسلحة الإيرانية، خصوصًا الطائرات المسيرة والصواريخ الباليستية والألغام البحرية، على النحو الذي تعتبره إسرائيل تهديدًا لأمنها القومي من الجبهة اليمنية، سواء من خلال قدراتها الصاروخية والطائرات المسيرة القتالية، أو من خلال امكانية مهاجمة السفن الإسرائيلية على طول منطقة البحر الأحمر[٥٣]. حيث هددت حركة "أنصار الله" إسرائيل بأن ميناء إيلات ليس بعيدًا عن مرمى الصواريخ اليمنية، وأن لديها بنك أهداف إسرائيلي برًا وبحرًا.[٥٤]

ومؤخرًا يُعد تجدد هجمات حركة الشباب في الداخل الصومالي، في تموز ٢٠٢٢، وما يشكله ذلك من تهديدات لأمن البحر الأحمر، خاصة مع تمدُّد نشاطها في الجوار الإقليمي، عوامل دفعت نحو إعادة التموضع الأميركي في الصومال لدعم الرئيس الصومالي في محاربة الإرهاب وحركة الشباب، التي تعززت قوتها العسكرية والاقتصادية خلال الأعوام الماضية، بعد أن قرر الرئيس السابق دونالد ترامب سحب قواته من الصومال قبل انتهاء ولايته مطلع ٢٠٢١.

ومن ثم يمكن القول إن إسرائيل تعد تلك التطورات تحديات أمنية، فمن ناحية، تشكل تهديدًا لحرية ملاحة السفن الإسرائيلية، من إسرائيل وإليها، وبالتالي تهديدًا لمصالحها الاقتصادية، خاصة أن إسرائيل تعتمد على الشحن البحري في معظم تبادلاتها التجارية، فوفقًا لصحيفة "هآرتس"، تجري ٩٠٪ من واردات وصادرات إسرائيل عبر البحر، و١٢٪ من هذه العمليّات تمرّ في مضيق باب المندب. ومن ناحية أخرى، إسرائيل قلقة من أن يصبح اليمن نقطة وسيطة للتهريب إلى حماس والجهاد الإسلامي في قطاع غزة.[٥٥]

ومن ثم وضعت إسرائيل حرب اليمن على قائمة التهديدات المباشرة لأمنها القومي، مما دفع الجيش الإسرائيلي لوضع منطقة البحر الأحمر ضمن خططه الأمنية والعسكرية الملحة.[٥٦] كما تصاعدت كذلك أهمية البحر الأحمر كساحة قتالية بالنسبة لإسرائيل بعد أن انتقلت حرب الظل مع إيران في ما يخص ردع قدراتها النووية العسكرية - والتي اشتملت على سلسلة الاغتيالات التي استهدفت مقتل علماء نوويين إيرانيين، وتفجيرات غامضة في منشآت نووية إيرانية - إلى "الساحةَ البحرية". ومن ثم باتت البحرية الإسرائيلية، تلعب دورًا رئيسًا في ما تعتبره اثنين من المصالح القومية الإسرائيلية الأساسية: أولهما، تقليص المشروع النووي الإيراني، وكيفية تجهيز القدرات البحرية، لتوجيه ضربة إلى إيران في حال حصولها على سلاح نووي، بالإضافة لما يشكله خطر الدعم الإيراني للحوثيين. وثانيهما، تأمين إمدادات الطاقة الإسرائيلية؛ حيث استطاعت إسرائيل منذ العام ١٩٩٩، الحصول على تسع غواصات تقليدية من فئة Dolphin و Da-kar، وبحلول العام ٢٠٢٠ قامت بتكليف ستة منها، تم إنتاجها في ألمانيا، ويُعتقد إلى حد كبير أنها يمكن أن تحمل صواريخ كروز مع القدرة على إيصال سلاح نووي.[٥٧]

على صعيد ارتدادات الحرب اليمنية إقليميًا، تصاعدت حدة التهديدات الأمنية منذ تشرين الأول ٢٠١٧ حين تم استحداث الضربات الصاروخية، وانتشار الألغام البحرية اللاسلكية التي زرعتها الميليشيات الحوثية، فضلاً عن تنفيذ ضربات ضد القطع البحرية الخليجية بواسطة طائرات دون طيار[٥٨] واستهداف بُنًى إستراتيجيةٍ في السعوديّة والإمارات بواسطةِ الطائرات المسيّرة والصواريخ، كان أبرزُها الهجومَ النوعيَّ على منشآت شركة أرامكو للنفط السعوديّة في أيلول ٢٠١٩، بواسطة صاروخ "قدس ٢" المجنّح، والذي يعد نقلة نوعية في قدرات الحوثيين الصاروخية.[٥٩]

وقد سعت واشنطن وإسرائيل لتوظيف عامل (التهديدات الأمنية المشتركة)، والدمج بين مسرح العمليات بين الخليج العربي والبحر الأحمر، كمدخل من أجل إيجاد أرضية للتعاون العربي مع إسرائيل، والعمل على تشكيل حلف ضدّ طهران، ومحاولة فرض معادلة اشتباك متعدّدة الأطراف، باعتبار أن النزاع في البحر الأحمر لم يُعد مقتصرًا على كل من

أصبح لإسرائيل ثقل في القرار الأفريقي وإمكانية تأثير فيه، وبالتالي تحويل وجهة دول القرن الأفريقي ومواقفها من مواقف مؤيدة للقضايا العربية إلى مواقف مؤيدة للمشروعين الصهيوني والأميركي في المنطقة، وتأكيد الحضور الإستراتيجي في دول حوض النيل، فضلاً عن امتلاك أوراق تأثير في دوائر تمس الأمن القومي المصري والسوداني.

إيران وإسرائيل، وإنما بات يشمل أيضاً انخراط أطراف خليجية في المعادلة، ومن ثم ضرورة العمل من أجل تأمين مصالحها الإستراتيجية مثل تأمين تجارة النفط في البحر الأحمر، واستثماراتها في دول المنطقة.[٦٠]

وبالتالي، رأت واشنطن أن التصدي عالي المصداقية للتهديدات الإيرانية، يتطلب التعاون بين الدول العربية واسرائيل، وانعكس ذلك في حرص إدارة ترامب قبل مغادرتها البيت الأبيض أن يصبح التطبيع علنيًا وليس سريًا وتحويله إلى علاقات رسمية، وذلك بتوقيع اتفاقات أبراهام مع كل من الإمارات والبحرين والمغرب والسودان. ومن ثم شرعنة وجود إسرائيل كدولة في محيطها الإقليمي، وانتفاء وصفها كقوة احتلال للأراضي الفلسطينية المغتصبة. ومن المهم التنويه إلى الرسائل التي يشملها توقيع السودان اتفاق أبراهام في ٦ كانون الثاني ٢٠٢١، لأي دولة عربية أو أفريقية أو إسلامية تمانع التطبيع مع إسرائيل، خاصة وأنه كان يمثل رمز الصمود العربي حينما سبق وانطلقت منه اللاءات الثلاث الرافضة للتعامل مع إسرائيل في القمة العربية الرابعة في آب ١٩٦٧. أما على المستوى الأمني، فإن إسرائيل تسعى لتوظيف موقع السودان على البحر الأحمر من أجل صدّ أي محاولة إيرانية لتهديد إسرائيل، والمساعدة في دفع الأخطار البحرية عنها من خلال التنسيق الأمني مع الخرطوم. وقد أكد على ذلك وزير الاستخبارات إيلي كوهين، حينما أكد على أهمية اتفاق التطبيع مع السودان أمنياً، إذ رأى أنه يمثل ضربة لوجستية لإيران، لأنها تحول دون استخدام السودان معبراً لدعم القدرات العسكرية لحركة "حماس"، كما يساهم في مد النفوذ الإسرائيلي إلى عمق مصر الإستراتيجي الجنوبي، وبالتالي يعزز من الوجود الإسرائيلي في تلك المنطقة الجيوستراتيجية التي تمثل بُعداً رئيساً في منظومة الأمن القومي المصري.[٦١]

أما على صعيد تطبيع العلاقات بين إسرائيل والإمارات والبحرين فسوف يجعل عمليات انتشار البحرية الإسرائيلية المستقبلية في الخليج العربي أسهل.[٦٢] لذلك رحبت إسرائيل بتأسيس قاعدة عسكرية إماراتية في إحدى جزر أرخبيل سقطرى اليمنية؛ حيث تتحكم بشكل كامل بالخط الذي يمر من الهند إلى الغرب، وتتوغل في أفريقيا، مما يشكل لإسرائيل موقعًا إستراتيجيًا. وبالتالي تستفيد إسرائيل من القواعد الإماراتية المنتشرة بهذه المناطق، وما تقدمه من تسهيلات عسكرية لإسرائيل، في السيطرة على هذه المنافذ البحرية الدولية.[٦٣]

ومن ثم يتضح هنا حدوث تحول إستراتيجي في طبيعة الصراع العربي الإسرائيلي، فبعد أن كانت قناة السويس ومضايق تيران وباب المندب عوامل دفعت بصورة مباشرة إلى نشوب حروب وصراعات بين إسرائيل والعرب، فقد شكلت التهديدات المشتركة، التي باتت تواجهها بعض الدول العربية الخليجية واسرائيل، دافعًا للتعاون الأمني ضد الخطر الإيراني، خاصة بعد تأجيج الصراع في اليمن، الذي صار بموقعه الجيوسياسي في قلب معادلات الصراع في المنطقة.

وفي خطوة مكملة لاتفاقات أبراهام، في شقها الأمني، وفي إطار مساعيها لتعزيز تحالف إقليمي بمشاركة الدول العربية وإسرائيل ضد تهديدات إيران والجماعات المتطرفة، فقد قررت إدارة الرئيس السابق "ترامب" نقل إسرائيل من منطقة القيادة الأميركية الأوروبية (EUCOM) إلى القيادة المركزية الأميركية (CENTCOM)، في ١٥ كانون الثاني ٢٠٢١، والتي تضم ٢٠ دولة وهي (أفغانستان، البحرين، جيبوتي، مصر، إريتريا، إثيوبيا، الأردن، إيران، العراق، كينيا، الكويت، عمان، باكستان، قطر، السعودية، الصومال، السودان، الإمارات، اليمن، سيشل)، لتصبح إسرائيل الدولة رقم (٢١). ووفقًا للبنتاجون، فإن "اتفاقيات إبراهام" Abraham Accords ساهمت في تمهيد الطريق لنقل إسرائيل إلى القيادة المركزية الأميركية. وفي هذا الشأن يقول "أوديد بيركويتز"، محلل الاستخبارات في

مجموعة "ماكس سيكوريتي" الاستشارية للمخاطر، أن علاقات إسرائيل مع جيرانها "أجبرتها" على أن تكون تحت القيادة الأميركية الأوروبية (إيكوم) طيلة السنوات الماضية، لكن الوضع تغير في الأعوام الأخيرة، خاصة السنة الماضية (٢٠٢١). فعلى مدار عقود كانت إسرائيل جزءًا من (إيكوم) بسبب الطبيعة العدائية لعلاقاتها بالعديد من الدول العربية، الأمر الذي جعل من الصعب على القيادة المركزية أن تعمل مع الجانبين في الوقت نفسه. إلا أن اتفاقات "أبراهام" سوف تمكن إسرائيل من الولوج العملياتي بدون قيود في البحر والجو، وبإمكانها إرسال سفنها إلى البحر الأحمر وبحر العرب وحتى الاقتراب من خليج عمان"، و"بإمكانها أيضًا استخدام أجواء الدول المجاورة، بتسهيل من القيادة المركزية، بعد أن كانت لا تستطيع استخدام أجواء هذه الدول".[٦٤] وبذا سيكون من السهل على الجيش الإسرائيلي الحفاظ على الاتصالات العسكرية مع دول المنطقة؛ والحصول على دعم عسكري من الولايات المتحدة في الاتصالات مع الجيوش المجاورة، بما يُحسن الاستجابة الإقليمية للتهديدات المشتركة.[٦٥]

وقد دخل أمن البحر الأحمر مستوى أعلى من الاشتباك العسكري بعد تعرض السفينة الإيرانية "سافيز" التي كانت متمركزة في البحر الأحمر قبالة إريتريا لأضرار من جراء هجوم بلغم إسرائيلي في ٦ نيسان ٢٠٢١، حيث يعتقد أن هذه السفينة كانت بمثابة غرفة عمليات استخباراتية متنقلة تابعة للحرس الثوري، وتعمل لمصلحة الحوثيين وإيران، وأنها ضالعة في أنشطة تجسس في منطقة البحر الأحمر.[٦٦] وفي إطار التصعيد المتبادل بين إيران وإسرائيل، فقد تعرضت ناقلة النفط "ميرسر ستريت" "MT Mercer Street" التي تشغلها شركة إسرائيلية لهجوم في خليج عمان في ٢٩ تموز ٢٠٢١، مما أسفر عن مقتل اثنين من طاقمها. وقد أشارت التصريحات غير الرسمية الإيرانية إلى أن الهجوم على السفينة "MT Mercer Street" جاء على خلفية القصف الإسرائيلي لموقع في منطقة القصير السورية. وفي اليوم التالي، تعرضت سفينة سعودية تابعة للتحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن لمحاولة استهداف فاشلة من المليشيا الحوثية، وفي ٣ آب ٢٠٢١، تعرضت سفينة "Princess Asphalt" لمحاولة اختطاف "غامضة".[٦٧]

وعلى صعيد تنفيذ الشق الأمني في اتفاقات أبراهام، فقد أجرت القيادة المركزية للقوات البحرية الأميركية (الأسطول الخامس) تمرينًا متعدد الأطراف على عمليات الأمن البحري في البحر الأحمر، يوم ١١ تشرين الثاني ٢٠٢١؛ وذلك بمشاركة قوات إماراتية وبحرينية وإسرائيلية، ليعد ذلك أول تدريب من نوعه يُعلن عنه بين إسرائيل والبلدين الخليجيين اللذين وقعا اتفاقًا لتطبيع العلاقات معها، ليمثل ذلك رسالة ردع عالية المصداقية لإيران وأنصار الله، خاصة أن المناورة ذات طابع هجومي.[٦٨]

وفي رسالة ردع أخرى لإيران، نظمت في١٧ شباط ٢٠٢٢، القوات البحرية التابعة لـ"القيادة المركزية الأميركية" (سنتكوم)، النسخة السابعة من المناورة الضخمة التي تحمل اسم "آي أم أكس ٢٢"، والتي تجرى كل عامين منذ أن انطلقت فعالياتها للمرة الأولى في العام ٢٠١٢، حيث شاركت إسرائيل في المناورة إقليميًا لأول مرة. وقد ضمت أكثر من ٦٠ دولة منها دول لديها علاقات مع إسرائيل ومنها دول لم تقم علاقات معها؛ حيث تعد أكبر تمرين من حَيثُ الأنظمة البحرية العسكرية للأجهزة المسيَّرة عن بعد مع أكثر من ٨٠ نظاماً لطائرات من دون طيار. ومن ثم هناك رسائل سياسية وراء تعدد المناورات وتوسيع قاعدة المشاركين فيها لتشمل إسرائيل؛ حيث وصلت إلى أكثر من ١٨ مناورة عسكرية منذ بداية العام ٢٠٢٢. ويأتي ذلك في إطار الحشد والضغط على إيران، وطمأنة حلفاء واشنطن إزاء التهديدات التي تشكلها إيران والحوثيون في البحر الأحمر، وجدية واشنطن وقدرتها على ضمان أمن هذه المنطقة الحرجة من العالم.

واستكمالًا للخطط الأميركية ومساعيها بشأن ترتيبات الأمن الإقليمي، الهادفة لتأمين باب المندب، يأتي قرار القيادة البحرية الوسطى الأميركية إنشاء فرقة العمل متعددة الجنسيات CTF-١٥٣، في ١٣ نيسان ٢٠٢٢، لتعزيز الاستقرار والأمن في البحر الأحمر والمنطقة، والتي ستتمركز CTF-١٥٣ بشكل رئيس في القطاع الجنوبي من البحر الأحمر عند مدخل باب المندب وخليج عدن، لتعد في هذا التوقيت رسالة ردع لإيران والحوثيين.[٦٩]

وعلى صعيد مساعي إيران لتعزيز ردعها لإسرائيل وواشنطن، فقد حرصت على المشاركة مع روسيا والصين في تدريبات "الحزام الأمني البحري ٢٠٢٢"، التي أجريت في شمال المحيط الهندي، تلك المنطقة التي تحظي بأهمية جيوسياسية كبيرة لوجود مجارٍ مائية ومضائق باب المندب ومالاكا، وهرمز؛ حيث تعد المناورات الثالثة منذ إجرائها عام ٢٠١٩,[٧٠]

وبالتالي، يتبين كيف تسعى إسرائيل لتوظيف مزايا موقع إيلات، حتى تصبح جسرًا يربط طرق التجارة الصينية من الشرق الأقصى حتى أفريقيا إلى الشرق الأوسط، وإلى أوروبا. ومن هذا التصور فإن إسرائيل تطمح إلى أن تصبح جزءًا أساسيًا من النظام التجاري العالمي.

وفي إطار تصاعد الأهمية الجيوستراتيجية للبحر الأحمر، فإن إيران بالطبع سوف تكون من المستفيدين من مساعي روسيا لتعزيز تواجدها فيه، تأسيسًا للعقيدة البحرية الروسية الجديدة التي أعلن عنها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، خلال الكلمة التي ألقاها في سان بطرسبرغ بمناسبة يوم الأسطول الحربي الروسي، في ٣١ تموز ٢٠٢٢، عند توقيعه على مرسوم رئاسي يقر بموجبه العقيدة البحرية الروسية الجديدة، التي تتضمن خطط موسكو لإنشاء قواعد بحرية في البحر الأحمر والمحيط الهندي، باعتبار أن الحفاظ على الوجود البحري الروسي في منطقة الخليج العربي، وإقامة مراكز دعم لوجستية في البحر الأحمر والمحيط الهندي، من أولويات السياسة البحرية الروسية.[٧١]

وفي إطار تعزيز قدراتها البحرية، كشفت طهران، في ٢١ آب ٢٠٢٢، عن وجود مدمرات عسكرية بحرية تابعة لها في البحر الأحمر؛ حيث قال قائد بحرية الجيش الإيراني، الأدميرال شهرام إيراني، إن وجود المدمرات التابعة للقوة البحرية الإستراتيجية للجيش على بعد ٢٢٠٠ كم من حدود البلاد بالبحر الأحمر، يعد الضامنَ لأمن الحدود الاقتصادية للبلاد. وشدد "إيراني"، خلال مراسم استقبال المجموعة البحرية الـ٨٣، التابعة للقوة البحرية الإستراتيجية للجيش بقيادة المدمرة "جماران" أنها تقوم حاليًا في نطاق منطقة مضيق باب المندب إلى شمال البحر الأحمر وقناة السويس، بتنفيذ المهمة الموكلة لها المتمثلة بتأمين الشريان الاقتصادي للبلاد وحماية مصالح إيران.[٧٢]

أضف إلى ما سبق، فإن حصول طهران على العضوية الكاملة في منظمة شنغهاي للتعاون في أيلول ٢٠٢٢ يعد خطوة مهمة للدفع نحو تعزيز التعاون الأمني والعسكري والاقتصادي، مع كل من (روسيا والصين والهند) وبمثابة رسالة رادعة لإسرائيل وحلفائها.

وترتيبًا لما سبق، وفي إطار التطورات اللافتة والتحولات في طبيعة العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل التي باتت تؤسس لعلاقات مصلحية "قُطرية"، فإن الواقع الإستراتيجي في البحر الأحمر وباب المندب والعقبة بات يشير إلى أن إسرائيل أصبحت حقيقة في الإقليم[٧٣] ومن ثم فإنه من غير المستبعد أن تطمح إسرائيل من أجل المشاركة في مشروع "نيوم" الذي أعلن عنه الجانب السعودي في تشرين الأول ٢٠١٧، والذي يعد نموذجًا للتعاون الإقليمي بين ثلاث دول عربية مشاطئة للبحر الأحمر (السعودية ومصر والأردن).[٧٤]

كما أن إسرائيل ستسعى من أجل الانضمام إلى مجلس الدول المطلة على البحر الأحمر والخليج الذي أسس في ٦ كانون الثاني ٢٠٢٠، ويضم (مصر والأردن واليمن وإريتريا وجيبوتي والصومال والسودان والمملكة السعودية)، خاصة مع رفضها لأي منظومة أمنية للبحر الأحمر تستبعدها وتقتصر على الجانبين العربي والأفريقي، في مقابل طرحها لتصور خاص بإنشاء كيان يُعرف بدول البحر الأحمر عبر منتدى أو تجمع اقتصادي/إستراتيجي، بما يخدم مصالح الدول المطلة على البحر الأحمر، ويقف في مواجهة التهديدات الإيرانية. ويمكن اعتبار "قمة النقب" التي استضافتها إسرائيل في صحراء النقب في آذار ٢٠٢٢، وضمت وزراء دول كل من: مصر والإمارات والمغرب والبحرين وإسرائيل والولايات المتحدة، خطوة تستهدف إسرائيل من ورائها تشكيل آلية تعاون أمنية إقليمية لمواجهة التهديدات في البحر الأحمر. على النحو الذي يتسق مع مساعي واشنطن لدمج إسرائيل في المنطقة، وهذا ما أكد عليه "إعلان القدس" الذي وقعه الرئيس الأميركي جو بايدن ورئيس الوزراء الإسرائيلي الانتقالي يائير لبيد خلال زيارة الأول إلى إسرائيل في تموز ٢٠٢٢ ليعلن بوضوح عن رغبته في تعميق التطبيع ومشاريع دمج إسرائيل في المنطقة.

استخلاصات

يتضح مما سبق التقدم الذي أحرزته إسرائيل في تنفيذ مخططاتها في البحر الأحمر، ويأتي في مقدمتها أنه لم يُعد فعليًا بحيرة عربية، فبالإضافة إلى حصولها على حق المرور في خليج العقبة ومضائق تيران وقناة السويس، استطاعت كبناء قواعد عسكرية لها بالقرب من المدخل الجنوبي للبحر الأحمر بحيث أضحى باب المندب تحت التهديد الإسرائيلي. واتضح أيضًا التحول في طبيعة الصراع في ساحة البحر الأحمر، فبعد أن ربطت إسرائيل اهتمامها بالبحر الأحمر وسياستها التوسعية، بمواجهة الإستراتيجية العربية فيه، فقد سعت إسرائيل لتوظيف المهددات المشتركة، مثل ظهور الحركات الجهادية، وأعمال القرصنة، وتمدد النفوذ الإيراني، وأخيرًا بروز النفوذ الحوثي كرقم مهم في معادلة الأمن البحري، من أجل تذليل آفاق التعاون العربي الإسرائيلي، من مدخل المصالح الوطنية "القُطرية".

وعلى الرغم من تلك النقاط التي تُسجل لصالح إسرائيل في البحر الأحمر، فإن عقبات عدّة تعترض مساعي تشكيل ناتو شرق أوسطي بقيادة إسرائيلية لمواجهة إيران عسكريًا تحت ذريعة التهديدات المشتركة. فمن ناحية، ترجح السعودية إدارة الخطر الإيراني سياسيًا، فعلى الرغم من تلاقي تشاركها مع إسرائيل في الإحساس بالخطر النووي الإيراني، وكذلك التهديدات التي يشكلها الحوثيون في المنطقة - كان آخرها الهجوم الحوثي يوم ٢٥ آذار٢٠٢٢ على السعودية، الذي تسبب في اندلاع حريق هائل في منشأة نفطية تابعة لشركة أرامكو في مدينة جدة- فإن السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي لا تدعم توجيه ضربة عسكرية ضد إيران؛ نظرًا لانعكاساتها على أمن دول التعاون. من ناحية أخرى، هناك عائق آخر أمام تشكيل ناتو عربي إسرائيلي لمواجهة إيران، يتمثل في اختلاف رؤية الدول المشاطئة للبحر الأحمر وإدراكها للتهديدات التي تشكلها إيران، وطرق التصدي لها وأولوياته، خاصة مع الأخذ في الاعتبار ارتفاع كُلفة معالجتها عسكريًا. على سبيل المثال، فبالنسبة لمصر، فعلى الرغم من وجود توافق خليجي مصري حول مخاطر المشروع الإيراني التوسعي في الإقليم، وانعكاساته على أمن دول الخليج، فإن نظرة القاهرة لنشاط طهران لا تحمل المخاوف نفسها الموجودة لدى دول الخليج.

كما أن مصر على الرغم من وجود علاقات رسمية مع إسرائيل، بناء على اتفاقية السلام بين البلدين، فإن إسرائيل لا تزال تشكل على المستوى الاستراتيجي خطرًا يهدد المصالح المصرية، في ملفات إقليمية عدة؛ فعلى صعيد شمال البحر الأحمر، تأخذ مصر بعين الاعتبار مخططات إسرائيل الساعية لمنافسة قناة السويس، وتعدها تهديدًا 'ستراتيجيًا مستقبليًا محتملًا لمصالح مصر، وإن تراجعت إسرائيل تكتيكيًا في تنفيذ بعضها، فإنها تظل هدفًا صهيونيًا أصيلاً لن تتنازل عنه. هذا فضلاً عن ما يشكله التطبيع الإسرائيلي بشكل خاص مع السودان من تهديد لعمق مصر الإستراتيجي الجنوبي. كما تعطي مصر الأولوية لتسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، باعتبار القضية الفلسطينية ركيزة من ركائز الأمن القومي المصري.

وبالتالي، فإن إسرائيل في مقابل تلك العقبات المُشار إليها، سوف توظف مزايا نقلها إلى منطقة عمليات القيادة المركزية لتسهيل التعاون مع دول المنطقة لحماية مصالحها في منطقة الشرق الأوسط، والبحر الأحمر، مع العمل على توظيف التخوف المشترك من الخطر النووي الايراني المحتمل الذي تروج له إسرائيل على الرغم مما تمتلكه من ترسانة نووية، لاستخدامه كفزاعة لدول الخليج، من أجل الحفاظ على السير قدمًا في اتفاقات أبراهام. لذلك فإن إسرائيل تسعى لعرقلة العودة إلى الاتفاق النووي، من خلال الترويج بأنه سيئ ليس فقط بالنسبة لإسرائيل، بل كذلك بالنسبة للدول العربية الصديقة وللعالم. وقد عبّر عن ذلك مستشار الأمن القومي السابق، وصاحب الدور الأكبر في توقيع اتفاقيات إبراهام، وأحد كبار الباحثين في معهد الأمن القومي، مئير بن شبات، حينما قال "إن العودة إلى الاتفاق النووي قد تشكل خطرًا على مسيرة التطبيع القائمة". ومن ثم فإن إسرائيل يمكن أن تعطي نفسها، وحلفاءها المبرر بأن تواصل عملياتها السرية ضد إيران دون الاشتباك العسكري.

وكما أوضحنا من قبل، هناك تقاطع عدة دوائر جغرافية جيوسياسًا مع البحر الأحمر، واتساع أهميته الجيوستراتيجية، فإن مآلات التصعيد الإسرائيلي الإيراني في البحر الأحمر، سوف تكون رهن تطورات عدة. فعلى الرغم أن حالة اللايقين باتت المسيطرة على التفاعلات الإقليمية والدولية الراهنة، فإنه يمكن القول إن ثمة ثلاثة محددات رئيسة ترجح من احتمالات احتواء التصعيد وعدم الوصول إلى حافة الهاوية بتفجير حرب إقليمية، تؤثر على الأمن البحري، أولها، يخص الموقفين (الأميركي والأوروبي)؛ حيث تقتضي الأولوية عدم نشوب حروب في المنطقة، مع احتدام الحرب الأوكرانية الروسية، وتداعياتها على الطاقة والنفط ومخاطر

التلويح الروسي بالتصعيد النووي، فضلًا عن مخاطر أن تصبح تايوان الساحة المقبلة للمواجهة، وبالتالي الرغبة في تحييد منابع الطاقة في السعودية والإمارات عن نيران الصواريخ البالستية والطائرات المسيرة اليمنية، مع الحرص كذلك على تأمين طرق الطاقة، وتحديدًا عبر مضيق باب المندب. واتضح ذلك في معالجة واشنطن سلميًا لحادث الاحتكاك البحري في البحر الأحمر مع إيران، يوم ٢/٩/٢٠٢٢، خاصة وأن أي قرار إسرائيلي أو أميركي بتوجيه ضربة عسكرية ضد إيران سيكون له عواقب من خلال أنصار إيران في المنطقة. لذلك فعلى الرغم من التوتر بين واشنطن والسعودية نتيجة قرار خفض إنتاج النفط يوم ٥ تشرين الأول ٢٠٢٢ من خلال تحالف "اوبك بلاس"، واتهامات واشنطن بأن أوبك بلاس "متحالفة مع روسيا"، وتزايد التوتر في العلاقة بين واشنطن والسعودية، فإن واشنطن سوف تحتوى التصعيد مع السعودية لأسباب عدّة، تأتي في مقدمتها خشية أن يتحول موقف السعودية المحايد من الحرب الأوكرانية إلى مؤيد، على النحو الذي يتسبب في خسارة حليف إستراتيجي لها في المنطقة، ومن ثم تسريع الجهود الجارية لتنويع العلاقات العسكرية السعودية، وخشية في عرقلة جهود دفع السعودية نحو اتفاق أبراهام، وعدم توسيع الفجوة بين واشنطن والسعودية، رغبة في سد الأفق أمام مساعي إيران لرأب الصدع في علاقتها مع السعودية. خاصة وأنه جاء إثر قرار أوبك+ ، وما أعقبها من توتر في العلاقات بين واشنطن والسعودية، دعوة كبير مستشاري المرشد الأعلى الإيراني، علي خامنئي، للسعودية بإعادة فتح سفارتي البلدين، وعلى الرغم من أنها متكررة وسبق ووجهت إيران دعوات سابقة، فإن أهميتها تأتي في سياق التغيرات الجيوسياسية التي يشهدها العالم خلال الفترة الأخيرة في ظل تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية وزيادة نسب التضخم. وفي حال موافقة السعودية على تلك الدعوة، فربما تدفع نحو التقارب بين البلدين، ومن ثم توجيه ضربة قوية لقطار التطبيع، خاصة إذا بادرت إيران بخطوات حسن نوايا من خلال إعطاء الضوء الأخضر للحوثيين للتهدئة، والتوقف عن استهدافهم المصالح السعودية في المنطقة.

ثانيها، فتح جبهة صراع وتنافس جديدة بين إسرائيل وإيران في أوكرانيا، فثمة شواهد حدثت مؤخرًا تشير إلى أن الساحة الأوكرانية سوف تصبح ساحة للصراع والتنافس بين إسرائيل وإيران خلال الفترة المقبلة، يأتي ذلك في ظل ما تردد مؤخرًا من تقارير من البنتاغون، ومصادر أوكرانية- قامت بنفيها طهران والكرملين - أفادت بأن عناصر من الحرس الثوري موجودون في الأراضي المحتلة بأوكرانيا ويوجهون الجنود الروس حول كيفية تشغيل طائرات الدرون الإيرانية، وأبرز أنواعها "أبابيل ٣" و"مهاجر ٦" و"شاهد" ١و٢و٩. وفي ضوء تلك المستجدات فإن إسرائيل باتت أمام تحدي عدم توتير العلاقات مع روسيا، خاصة مع مطالب كييف بأن تقدم إسرائيل دعمًا عسكريًا، وعدم الاكتفاء بالدعم الإنساني والاستخباراتي، خاصة أنه سبق ورفضت إسرائيل طلبات متكررة من أوكرانيا بتزويدها بالأسلحة الثقيلة، بما فيها أنظمة الدفاع الجوي والمعدات العسكرية. حيث حذرت روسيا من قبل من أي تحرك إسرائيلي "متهور" لتزويد أوكرانيا بالسلاح، وسوف يكون المقابل تدمير كل العلاقات المتبادلة بين البلدين، في الوقت نفسه الذي تعد الساحة السورية أولوية بالنسبة لإسرائيل إذا ما قورنت بأوكرانيا؛ حيث سمحت موسكو لإسرائيل استهداف الجماعات الموالية لإيران في سورية، وفقًا "لآلية منع التصادم".

كما تخشى تل أبيب من تقييد الكرملين هجرة اليهود من أوكرانيا- وما يشكله ذلك من بُعد ديمغرافي مهم في معادلة الصراع الفلسطيني الاسرائيلي- خاصة بعد قيام وزارة العدل الروسية برفع دعوى قضائية تطالب فيها بحظر نشاط الوكالة اليهودية في روسيا، بسبب انتهاكها القوانين الروسية. على حين لا تبدو إيران في الحيرة نفسها مثل إسرائيل من حيث التجاذب بين مصالحها مع روسيا وعلاقتها الإستراتيجية مع واشنطن، حيث ترى إيران أن الأولوية تقتضي دعم الحليف الروسي، خاصة في مرحلة إعادة تشكل النظام الدولي، ومصلحة إيران في أن تحقق روسيا تقدمًا أو انتصارًا في تلك الحرب، من أجل خلخلة خريطة التوازنات الدولية لصالح روسيا، وبالتالي إيران.

أما ثالثها، فتتمثل في تحديات الداخل الإسرائيلي والإيراني، والرغبة في تبريد ساحة الصراع في بعض الملفات، فعلى الرغم من أن ترحيل بعض الأزمات الداخلية بافتعال التورط في أزمات خارجية يُعد أحد التكتيكات المتبعة بالنسبة لإسرائيل وفي بعض الأوقات إيران من خلال وجود عدو خارجي، فإن البيئة الدولية والإقليمية غير مهيأة لذلك التصعيد، وبالتالي توجد رغبة مشتركة إيرانية إسرائيلية في تقليص الصراع الدائر بينهما عبر وكلاء إيران في المنطقة، والذي سينعكس بدوره على تبريد الصراع في البحر الأحمر. وتدفع باتجاه ذلك العوامل الداخلية؛ حيث يواجه

الداخل الإسرائيلي والإيراني حالة من عدم الاستقرار مع اختلاف طبيعته.

فبالنسبة لإيران، يواجه النظام هناك معركة البقاء مع التركيز على وأد الاحتجاجات الداخلية، خاصة أنه يعتبرها جزءًا من الحرب السرية التي تشنها أميركا وإسرائيل عليه من أجل إسقاط إيران من الداخل، من خلال أذرعهما السرية. في الوقت الذي تواجه إسرائيل تطورًا في تكتيكات المقاومة في الضفة الغربية ومستوياتها، والتي تعد أهم وأخطر في دلالتها على أمن إسرائيل من صواريخ غزة، التي تمثلت في "كتيبة جنين"، و"عرين الأسود" في نابلس، مع إمكانية استمرارها واتساعها وتحولها إلى انتفاضة مسلحة.

بالتالي، هناك مؤشرات على التوافق حول تبريد جبهة الشمال (حزب الله) عبر إعطاء إيران الضوء الأخضر لحزب الله للموافقة على اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل، ويصبح بمقتضاه حقل كاريش بشكل كامل في الجانب الإسرائيلي، مع سيطرة لبنان على "حقل قانا" الذي يتجاوز خط الترسيم الفاصل بين الطرفين، وستباشر شركة توتال الفرنسية التنقيب فيه، وستحصل إسرائيل على "تعويض" من الشركة، في حين سيحصل لبنان على "حقوقه كاملة" دون أي شراكة مع إسرائيل. وإذا نظرنا إلى ذلك الاتفاق بشكل أولي، فإنه يحقق قدرًا من المكاسب لكل من الطرفين الإسرائيلي واللبناني. فبالنسبة لإسرائيل، فضلًا عن الفوائد التي سوف تجنيها من الناحية الاقتصادية، فإن الاتفاق يعني أن لبنان لأول مرة، دخل في اعتراف فعلي بإسرائيل وحدودها. كما ساهم في فك الارتباط بين ساحات المواجهة – مؤقتًا وتكتيكيًا- ذلك التهديد الذي كانت تأخذه في اعتبارها إسرائيل وحذرت من نتائجه إثر حرب غزة ٢٠٢١، ووحدة الجبهات بين غزة والقدس والضفة وفلسطيني ٤٨، وما شكله ذلك من تهديد لعمق إسرائيل، واهتزاز أمنها. وبالتالي فإن التلويح بتدخل حزب الله بعد الاتفاق كأداة ردع لإسرائيل بات فاقدًا للمصداقية على الأقل في المستقبل المنظور.

على صعيد إيران وحزب الله، فإن الاتفاق يعني اعتراف إدارة بايدن بشكل غير مباشر بـ"حزب الله" كطرف أساسي في لبنان، وكذلك الدول الغربية. كما أن الحزب يحاول تحسين صورته أمام الشعب اللبناني، خاصة مع الانتقادات الداخلية المتزايدة له، وبالتالي أثبت أنه يعطي الأولوية للبنان ومصالحها ويراعي الأوضاع الاقتصادية المتردية. على حين أن الاتفاق جاء في وقت يعاني فيه الحزب من أسوأ ضائقة مالية، نتيجة للعقوبات الاقتصادية والمالية الغربية عليه، وتناقص دعم إيران له.

وفي ما يخص حدود فعالية الاتفاق في ردع الحزب وإلى متى؟ فإن الجواب على ذلك التساؤل يظل رهن التطورات التي ستشهدها المنطقة، ومدى حاجة إيران لاستدعاء تدخل الحزب؛ أي أنه على الرغم من أن الاتفاق يعني تبريدًا للصراع؛ نظرًا لكلفة التدخل اقتصاديًا على لبنان، فإن التزام الحزب بالتهدئة والهدوء ليس إجباريًا أو مطلقًا، وسيظل رهن حدود التصعيد الإسرائيلي، أو حاجة إيران للحزب في التدخل، خاصة أن العائد من الاتفاق ما زال ربحًا مؤجلاً، فما زال هناك حاجة إلى مزيد من أعمال الاستكشاف والبنية التحتية قبل أن يجني لبنان من حقل قانا أي أموال. أي أن مردوده الإيجابي على اقتصاد لبنان لن يكون قريبًا. وبالتالي فإنه يمكن اعتباره تبريدًا تكتيكيًا للصراع، مع ثبات إستراتيجية المقاومة في إطار حلف المقاومة، الذي بات يشهد إعادة ترميم بعد عودة العلاقات رسميًا بين دمشق وحماس، بعد قطيعة ١٠ سنوات.

وعلى صعيد الملف اليمني، وما قد يُعد تهديدًا حوثيًا للأمن البحري، ولكل من السعودية والإمارات، والمصالح الإسرائيلية، فعلى الرغم من الإخفاق في الدفع باتجاه التمديد الثالث للهدنة الذي كان مقررًا له يوم ٢ تشرين الأول٢٠٢٢، وتهديد جماعة الحوثيين الشركات النفطية في البلاد والمياه الدولية باستهدافها، بالإضافة للمنشآت النفطية والغازية والمطارات في الإمارات والسعودية. فإن الأمور مازالت تحت السيطرة، وهناك اتصالات مكثفة تديرها الأمم المتحدة من أجل إطالة أمد الهدنة. ومن غير المستبعد أن تعطي ايران الضوء الأخضر كما فعلت مع حزب الله في ما يخص اتفاق الغاز مع إسرائيل، من أجل التوصل لهدنة طويلة، تضمن من خلالها الأمن البحري للدول المشاطئة للبحر الأحمر، والمصالح الغربية، والأهم طمأنة السعودية من التهديد الحوثي، وليعد مؤشرًا على حسن النوايا من جانب إيران، من أجل تحفيز السعودية للاستجابة لدعوة التصالح وعودة العلاقات الرسمية بين البلدين.

المراجع

١ اقتبس تقرير "مدار" الإستراتيجي.

٢ عـادل عبـد القـوي حاتـم هزبـر، **"أمـن البحـر الأحمـر والعلاقـات اليمنيـة المصريـة (١٩٧٣- ١٩٩٩)**، رسـالة ماجسـتير، جامعـة الـدول العربيـة، معهـد البحـوث والدراسـات العربيـة، ص٧.

٣ لـواء أ. ح. د وائـل ربيـع، **"سياسـات تحقيـق المصالـح العربيـة والأفريقيـة في البحـر الأحمـر"**، (القاهـرة: مجلـة السياسـة الدوليـة، العـدد ٢٢٤، نيسـان ٢٠٢١) ص ١٠٠.

٤ أحمـد عسـكر، **"نحـو منظومـة إقليميـة لأمـن البحـر الأحمـر"**، **دوريـة آفـاق عربيـة** (القاهـرة: الهيئـة العامـة للاسـتعلامات، العـدد الرابـع، تشريـن الأول ٢٠١٨)، ص ١٠٨.

٥ د. عبـد اللـه عبدالمحسـن السـلطان، **"البحـر الأحمـر والـصراع العـربي الإسرائيـلي .. التنافـس بـين اسـتراتجيتين"**، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة سلسـلة أطروحـات الدكتـوراه (٧)ط الأولى آب ١٩٨٤، ص ٣٣.

6 David H. Shinn, **The Red Sea: A magnet for outside powers vying for its control**, The Africa Report, 27 November 2020

٧ محمـد ريـاض، **"الأصـول العامـة في الجغرافيـا السياسـية والجيوبوليتيـكا.. مـع دراسـة تطبيقيـة عـلى الـشرق الأوسـط"**، (القاهـرة: مؤسسـة هنـداوي للتعليـم والثقافـة، ٢٠١٢)، صـــــــ٧٦، ٧٧ .

8 Marin Roussev," political – geographic, geopolitical and geostrategic dimensions of security". P.P38 , 39, Available At: http://marinrusev.com/uploads/files/MR_1_51.pdf

٩ د. إيمـان رجـب، "الأهميـة الجيو—إسـتراتيجية للبحـر الأحمـر" ، **مجلـة السياسـة الدوليـة** (القاهـرة: العـدد ٢٢٤، نيسـان ٢٠٢١)، ص٨٨.

10 JASON MOSLEY "**ETHIOPIA'S TRANSITION:: IMPLICATIONS FOR THE HORN OF AFRICA AND RED SEAREGION**",p15, Stockholm International Peace Research Institute,: March, 2020, Available At: https://www.sipri.org/sites/default/files/2020-04/sipriinsight2005.pdf

١١ منطقتـا الخليـج العـربي و"البحـر الأحمـر وخليـج عـدن"، قلـب العـالم الحديـث.. شرايـين الحيـاة، متـاح عـلى الرابـط الآتي: https://makkahnewspaper.com/article/1108046

١٢ أمـل عبـد المعـز الحمـيري، "الأهميـة الإسـتراتيجية لجـزر البحـر الأحمـر"، **مجلـة القلـزم للدراسـات السياسـية والقانونيـة**، مركـز بحـوث ودراسـات دول حـوض البحـر الأحمـر، ع ٦ (حزيـران ٢٠٢١) ص١٩٨، متـاح عـلى الرابـط الآتي:http://search.mandumah.com/Record/1165473

١٣ أحمـد سـعيد نوفـل، أوراق نـدوة غـير منشـورة "البحـر الأحمـر والأمـن القومـي العـربي " مركـز دراسـات الـشرق الأوسـط (عـمان- الأردن)، مكتـب الآفـاق المتحـدة للاستشـارات (الرياض –السـعودية) ١٠—١٢/١١/ ١٩٩٦، الجلسـة الأولى "مفهـوم الأمـن القومـي العـربي والأهميـة الإسـتراتيجية التـي يحتلهـا البحـر الأحمـر في هـذا المفهـوم"، ص ٧ متاحـة في مكتبـة مركـز الأهـرام للدراسـات السياسـية والإسـتراتيجية، مؤسسـة الأهـرام الصحفيـة.

١٤ مختـار شـعيب عبداللـه، "الإسـتراتيجية الإسرائيليـة تجـاه البحـر الأحمـر بـين الاسـتمرارية والتغـير"، **كراسـات إسـتراتيجية خليجيـة**، (مركـز الخليج للدراسـات الإسـتراتيجية، العـدد رقـم ١٢، حزيـران ١٩٩٨) ص ٣.

١٥ محمـود نعنـاعة، "**إسرائيـل.. والبحـر الأحمـر**"، (طرابلـس: دار مكتبـة الفكـر، ١٩٧٤)، ص٢٣.

١٦ حلمـي عبدالكريـم الزعبـي، **"الإسـتراتيجية الصهيونيـة للسـيطرة عـلى البحـر الأحمـر"**، (القاهـرة: الـدار العربيـة للنـشر والترجمـة، ١٩٩٠، طبعـة١)، ص٦١،٦٢، ٧٠.

١٧ سـعيد محمـود إبراهيـم المدهـون، **"الأبعـاد الإسـتراتيجية لخليـج العقبـة وأثرهـا عـلى الأمـن القومـي العـربي. دراسـة في الجغرافيـا السياسـية"**، رسـالة ماجسـتير (غـزة: كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية بجامعـة الأزهـر، ٢٠١٥)، ص٢١

١٨ أحمـد تهامـي عبدالحـي، **"الإسـتراتيجية الإسرائيليـة في البحـر الأحمـر ومنابـع النيـل .. الثوابـت والمسـتجدات"**، (القاهـرة: معهـد البحـوث والدراسـات العربيـة، المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم، دراسـات إسـتراتيجية ومسـتقبلية، آذار ٢٠٠٣)، ص٨ .

١٩ أحمـد سـعيد نوفـل، أوراق نـدوة غـير منشـورة "البحـر الأحمـر والأمـن القومـي العـربي"، مرجـع سـبق ذكـره.

٢٠ حلمـي عبدالكريـم الزعبـي، **"الإسـتراتيجية الصهيونيـة للسـيطرة عـلى البحـر الأحمـر"**، مرجـع سـبق ذكـره، ص٧٣.

٢١ محمـد سـلامة النحـال، **"جغرافيـة فلسـطين... دراسـة طبيعيـة اقتصاديـة سياسـية"** (بـيروت: دار العلـم للملايـين، ١٩٦٦)، ص٥٢.

٢٢ سـعيد محمـود إبراهيـم المدهـون، **"الأبعـاد الإسـتراتيجية لخليـج العقبـة وأثرهـا عـلى الأمـن القومـي العـربي .. دراسـة في الجغرافيـا السياسـية"**، رسـالة ماجسـتير (غـزة: كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية بجامعـة الأزهـر، ٢٠١٥)، ص٢٢ .

٢٣ لـواء أ.ح.م وائـل ربيـع، "الأهـداف الإسرائيليـة في القـرن الأفريقـي"، **مجلـة السياسـة الدوليـة** (القاهـرة: العـدد ٢١٢، أبريـل ٢٠١٨) صـ ١٠٦، ١٠٧

24 Regional Trends and Actors, , Senior Study Group on Peace and Security in the Red Sea Arena,US Institute of Peace,2020,pp29 Available At:https://www.jstor.org/stable/resrep26646.6

٢٥ أمـل عبـد المعـز الحمـيري، **"الأهميـة الإسـتراتيجية لجـزر البحـر الأحمـر"**، مرجـع سـبق ذكـره، ص ٢٠٩.

٢٦ د. جيهـان عبدالسـلام عبـاس، الأهميـة الجيوسـتراتيجية والاقتصاديـة للبحـر الأحمـر"، **مجلـة رؤى مصريـة**، (القاهـرة: مركـز الأهـرام للدراسـات الاجتماعيـة والتاريخيـة، السـنة السـابعة، العـدد ٧٧ حزيـران ٢٠٢١)، ص ٦.

٢٧ دهلـك" جزيـرة "اريتريـة" تحمـي إسرائيـل وتهلـك السـودان، ١٩ تشريـن الثـاني ٢٠١٢، متـاح عـلى الرابـط الآتي: https://bit.ly/3Ma9Lbw

٢٨ الإسـتراتيجيات الصهيونيـة في البحـر الأحمـر ودورهـا في الحـرب عـلى اليمـن، ١٣أيلـول ٢٠١٩، **الوحـدة نيـوز**/https://www.alwahdahnews.net/70325/

٢٩ د. صـبري فـارس الهيتـي، سلسـلة الدراسـات الإسـتراتيجية (٢)، "المكانـة الجيوسـتراتيجية للبحـر الأحمـر والأطـماع الدوليـة"، (الطبعـة الأولى ٢٠٢٢، دار إريثيريـا للنـشر والتوزيـع)، ص ٢٣.

٣٠ أمـاني الطويـل، "أمـن البحـر الأحمـر: التطـورات الراهنـة والخيـارات المصريـة" **دوريـة بدائـل** (مركـز الأهـرام للدراسـات السياسـية والإسـتراتيجية، العـدد٣٦، تشريـن الاول ٢٠١٩)، ص ٢١

٣١ د. حمـدي عبدالرحـم " محـددات الموقـف الإثيـوبي مـن أزمـة سـد النهضـة"، **دوريـة الملـف المـصري** (مركـز الأهـرام للدراسـات السياسـية والإسـتراتيجية، العـدد ٧٣، أيلـول ٢٠٢٠،) ص٢٠.

٣٢ دفاعـات صاروخيـة إسرائيليـة لأثيوبيـا لحمايـة سـد النهضـة، القبـس الـدولي، ٧ تمـوز ٢٠١٩، متـاح عـلى الرابـط الآتي: https://www.alqabas.com/article/5687774

٣٣ أشرف عـلام، "مـشروع قنـاة البحريـن والأمـن العـربي" (القاهـرة: مجموعـة النيـل العربيـة، ٢٠٠٨)، ص ٢٧٢.

٣٤ حلمي عبدالكريم الزعبي، مرجع سبق ذكره، ص١٢٠.

35 Lakhal , Salem Y, Souad H'Mida," The Red- Med Railway Project A Serious Competitor To The Suez Canal For Cargo Containers?" **Independent Journal Of Management & Production** (IJM&P), v. 8, n. 3, July - September 2017, p.p5,6

٣٦ نـور سـمير أبـو ماريـا، "الوضـع القانـوني لمـشروع قنـاة البحريـن (الأحمـر-الميـت) وتأثيره عـلى دول الجـوار"، رسـالة ماجيسـتير، (عـمان: كليـة القانـون بجامعـة عـمان العربيـة، ٢٠١٤)، ص٤٩.

٣٧ حسـام سـويلم، "إسرائيـل ونظريـة جديـدة للحـرب"، (القاهـرة: بـدون دار نـشر، ١٩٩٨)، ص٢٠.

٣٨ شـيماء أحمـد محمـود منـير، "الأبعـاد الجيوسـتراتيجية لمخططـات التهويـد الإسرائيـلي للنقـب (٢٠٠١-٢٠١٥) رسـالة ماجسـتير، (القاهـرة: معهـد البحـوث والدراسـات العربيـة، ٢٠١٩) صـــــ ٢٠٢-٢٠٤.

٣٩ د. جمال يوسف عبدالحميد، "قناة البحرين الإسرائيلية مؤامرة القرن" (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤)، ٦٣.

٤٠ السلطة الفلسطينية تنضم إلى مشروع "قناة البحرين" المائي، "إسرائيل" وافقت على زيادة مبيعات المياه للسلطة الفلسطينية،٢٠١٧/٧/١٣ **الخليج أونلاين** http://alkhaleejonline.net/articles

٤١ أمال شحادة، ما مصير "قناة البحرين" مع تصعيد التوتر بين الأردن وإسرائيل؟، الثلاثاء ٦ نيسان ٢٠٢١ ٢٠:٥٣، متاح على الرابط الآتي: https:// bit.ly/3RHeYZE

٤٢ شيماء أحمد محمود منير، "الأبعاد الجيوستراتيجية لمخططات التهويد الإسرائيلي للنقب(٢٠٠١-٢٠١٥) " مرجع سبق ذكره، ص ١٦٧.

٤٣ د. وليد عبدالحي، "المكانة الإسرائيلية في مشروع مبادرة الحزام والطريق الصينية"، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٩/١١/٨ .https://bit. ly/37xalLV

٤٤ جون إيمونت، عبدالرحمن الحسيني (ترجمة)، "هل سينقذ قطار نتنياهو الصيني إسرائيل ويحول الشرق الأوسط؟"، ٢٠١٤/٦/٢٢، متاح على الرابط الآتي: https://bit.ly/2QT9Zcm

٤٥ إلى أي مدى تحتضن إسرائيل الشريك الصيني! مواقع عالمية، ٢٣ كانون الأول ٢٠٢١، متاح على الرابط الآتي:-https://www.shorouknews.com/col umns/view.aspx?cdate=23122021&id=b19232cf-3307-4bc8-80a5-5 b072ddf741a

46 Yair Wiseman and Yahel Giat, ,"**Read Sea and Mediterranean Sea Land Bridge via Eilat**" (World Review of Intermodal Transportation Research, Vol. 5, No. 4, 2015)

47 Dr.Xiand, Xiao, "**The Belt and Road Initiative and China-Israeli Relations**",Journal of Middle Eastern and Islamic Studies(Kunming, China : Institute of International Relations, Yunnan University Vol. 10, No. 3, 2016) p14

https://www.tandfonline.com/doi/pdf/10.1080/19370679.2016.12023285

48 Mordechai Chaziza, , " **The Red-Med Railway: New Opportunities for China, Israel, and the Middle East"**, (Israel: the begin –sadat center for str

ategic studies , BESA Center, **Perspectives Paper** No. 385 , 11December, 2016). p.p2

49 Mordechai Chaziza," **The Red-Med Railway: New Opportunities for China, Israel, and the Middle East"**,(the begin –sadat center for strategic studies , BESA Center Perspectives Paper No. 385, 11December, 2016) ,p.p1

٥٠ د. جمال يوسف عبدالحميد، مرجع سبق ذكره، ص ص، ١١١-١١٤.

٥١ هل تستطيع إسرائيل إنشاء مسار بديل لقناة السويس؟ كيوبوست الثلاثاء ٦ نيسان٢٠٢١، https://bit.ly/3ed64p2

٥٢ د. نرمين محمد توفيق، "كيف تهدد التنظيمات الإرهابية الأمن في القرن الأفريقي؟ **مجلة السياسة الدولية**، (القاهرة: مؤسسة الأهرام الصحفية: العدد ٢١٢، نيسان ٢٠١٨)، ص١٣٢.

٥٣ وليد فارس، "البحر الأحمر بين خطري المتطرفين وإيران"، ١٤ حزيران ٢٠٢٢.

إندبندنت عربية، متاح على الرابط الآتي: https://bit.ly/3MsvoEp

٥٤ يوني بن مناحم، أحمد الديب، (ترجمة)، هل تشكل اليمن تهديدًا على إسرائيل؟، ٨ كانون الثاني ٢٠٢٠، مركز صنعاء، متاح على الرابط الآتي: https://sanaacenter.org/ar/translations/8620

55 Yoel Guzansky and Oded Eran, The Red Sea: An Old-New Arena of Interest, INSS Insight No. 1068, 24, June 2018p.p2, Available At: http://www.jstor.com/stable/resrep19449

٥٦ وليد فارس، البحر الأحمر بين خطري المتطرفين وإيران، مرجع سابق.

57 Ehud (Udi) Eiran, THE ISRAELI NAVY IN A CHANGING SECURITY ENVIRONMENT,16 SEPTEMBER 2020, Available At: https://cimsec.org/the-israeli-navy-in-a-changing-security-environment/

٥٨ أماني الطويل، "أمن البحر الأحمر: التطورات الراهنة والخيارات المصرية"، مرجع سابق، ص ١٣.

٥٩ علي فواز علي، فرصة أم تهديد؟ كيف تنظر "إسرائيل" إلى اليمن؟، الميادين نت، ٢٦ آذار ٢٠٢١، متاح على الرابط الآتي: https://bit.ly/3fQSPuM

60 Abdeta Dribssa Beyene, **The Horn of Africa and the Gulf: Shifting power plays in the Red Sea**, The Africa Report, 16 November 2020, Available At: https://bit.ly/3vyfQFM

٦١ سامي صبري عبد القوي، إسرائيل والسودان: رهانات التطبيع ومقاربة دعم المكون العسكري" **ملتقى فلسطين**، ٢٠٢٢/٧/٢١ ، متاح على الرابط الآتي: https://bit.ly/3EjL36O

62 Ehud (Udi) Eiran, THE ISRAELI NAVY IN A CHANGING SECURITY ENVIRONMENT, SEPTEMBER 16, 2020, https://cimsec.org/the-israeli-navy-in-a-changing-security-environment/

63 https://www.middleeastmonitor.com /20201006-israel-sets-its-sights-on-the-red-sea-and-bab-el-mandeb/?fbclid=IwAR307kOoiy-nIeC-1bykuEqlJdGMHNO6yrU7n-mgvjFEK7SmLHrEkorYvksw

٦٤ نهى محمود، بعد انضمامها لـ"سنتكوم".. هل تُفتح أجواء وبحار دول عربية أمام جيش إسرائيل؟، **موقع الحرة** 19 كانون الثاني ٢٠٢١.

٦٥ أحمد السيد، (عرض)"نافذة الصحافة الإسرائيلية، معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي: رياح التغيير.. إسرائيل تنضم إلى منطقة عمليات القيادة المركزية الأميركية، 202 1/2/2021**المرصد المصري**، متاح على الرابط الآتي: https://marsad.ecss.com.eg/50464/

٦٦ هذه تفاصيل الهجوم الإسرائيلي على سفينة ساويز الإيرانية، الشروق الجزائرية أون لاين، ٢٠٢١/٤/٧. https://bit.ly/3wM6h6l

٦٧ أحمد عليبه، تقديرات إستراتيجية، هل تتحول "معركة السفن" إلى حرب ضد إيران؟، ٢٠٢١/٨/٥، متاح على https://acpss.ahram.org.eg/ News/17215.aspx

٦٨ حسن لافي، البحر الأحمر وتلاقي المصالح الإسرائيلية الإماراتية، ٢١ تشرين الثاني ٢٠٢١**الميادين**، https://bit.ly/3e8hY3H

٦٩ أحمد عليبة، دلالات التوقيت ..دوافع تأسيس الفرقة "١٥٣" متعددة الجنسيات في البحر الأحمر، ١٤ نيسان ٢٠٢٢ الحائط العربي، https://bit. ly/3EoEU9u

٧٠ مناورات "حزام الامن البحري ٢٠٢٢".. السفن الحربية الإيرانية والصينية والروسية تطلق النيران على أهداف بحرية مفترضة، وكالة تسنيم الدولية للأنباء، 2022/01/21 2022 https://bit.ly/3Eq77N4 21/01/ –وكالة تسنيم الدولية للأنباء

٧١ النفوذ البحري: لماذا أصدرت روسيا العقيدة البحرية الجديدة؟، **إنتريجونال للتحليلات الإستراتيجية**، ٣ آب ٢٠٢٢، متاح على الرابط الآتي: https://bit.ly/3CEIdb9

٧٢ مدمرات إيرانية في البحر الأحمر.. هل تحوله إلى ساحة حرب الظل بين إيران وإسرائيل، ٢٠٢٢/٨/٢٨، متاح على الرابط الآتي: https://bit.ly/ 3fOXA86

٧٣ طارق فهمي، "المتغيرات الإقليمية وتحديات الأمن في البحر الأحمر"، **مجلة السياسة الدولية**، (القاهرة: الأهرام، العدد ٢٢٤، نيسان ٢٠٢١)، ص ص ٩٦

٧٤ د. حسن أبو طالب، "المصالح المصرية في البحر الأحمر .. التحديات وآليات التحرك"، دورية الملف المصري، (القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، العدد ٨٢)، ص٧.

٧٥ أحمد تهامي عبدالحي، **"الإستراتيجية الإسرائيلية في البحر الأحمر ومنابع النيل .. الثوابت والمستجدات"**، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دراسات إستراتيجية ومستقبلية، آذار ٢٠٠٣)، ص٨ .

رزان شوامرة *

بروز «الصهيو-صينية» وتحايل إسرائيل على أميركا

"فإن ظل الصين على هذا الجزء من العالم يزداد كثافة كل يوم، في حين أن ظل العم سام ... يتلاشى بشكل مطرد. ... يجب أن نتبع إرث بن غوريون، الذي قرر عام ١٩٥٠ تجاهل احتجاجات أميركا واعترف بالصين الشيوعية. فقد رأى بن غوريون قبل معظم الآخرين مستقبل الصين من النجاح الاقتصادي والنفوذ العالمي ومعناها بالنسبة للدولة اليهودية."

كبير كتاب الجيروزالم بوست

المقدمة

قبل ما يقارب القرنين، قال رئيس الوزراء البريطاني هنري جون تنبل مقولته الشهيرة "لا يوجد لنا حلفاء أبديون ولا أعداء دائمون،"[١] والتي يمكن استخدامها لوصف الطابع العام للتحالفات والعلاقات الدولية، خاصة في فترات صعود القوى العظمى وهبوطها. في العصر الحالي، يشهد النظام الدولي تحولات بنيوية بفعل الصعود الصيني وما يفرضه هذا الصعود على الدول من إنشاء تحالفات جديدة أو التراجع عن تحالفات قائمة. ينطبق هذا

* رزان شوامرة طالبة دكتوراه في العلاقات دولية في جامعة شرق البحر المتوسط - شمال قبرص. تتركز اهتماماتها البحثية حول سياسات الصين الشرق أوسطية. حصلت رزان على بكالوريوس في الإعلام والعلوم السياسية في العام ٢٠١٥، وماجستير في الدراسات الدولية - معهد أبو لُغد - جامعة بيرزيت في العام ٢٠١٩.

تشكل إسرائيل أحد أهم المحطات الرئيسة الثلاث إلى جانب إيران وتركيا لطريق الحرير في الشرق الأوسط. ففي العام ٢٠١٤؛ أي بعد عام من الإعلان عن مشروع طريق الحرير، اختيرت شركة صينية لبناء ميناء أسدود كمحطة رئيسة على طريق الحرير البحري بقيمة ٨٧٠ مليون دولار.

على العلاقات الإسرائيلية- الصينية وفق منظورين، الأول، صيني، إذ تحول العداء لإسرائيل الإمبريالية خلال ٧٤ عامًا إلى تحالف وشراكة تحت شعارات تحقيق الأمن والسلام في الشرق الأوسط والعالم. والثاني، منظور إسرائيلي يقوم على التحالف مع الأقوى وإنشاء مركز قوة لها في الدول الصاعدة أو المرشحة للصعود في النظام الدولي. وفي أعقاب تصنيف الصين كثاني أكبر اقتصاد في العالم عام ٢٠١٠، تبنت إسرائيل إستراتيجية جديدة تحت عنوان "التوجه نحو آسيا". وهو عنوان الإستراتيجية الأميركية نفسه في عهد باراك أوباما- ولكن أهدافها تناقض الأهداف الأميركية على الرغم من أن الإستراتيجيتين استهدفتا الصين بشكل رئيس. ففي الوقت الذي تبنت فيه أميركا هذه الإستراتيجية بهدف احتواء تصاعد النفوذ الصيني إقليميًا وعالميًا، سعت إسرائيل إلى تعزيز علاقتها مع الصين خاصة ودول آسيا عمومًا لأنها وجدت بأن الثقل السياسي والاقتصادي بدأ ينتقل من الغرب إلى الشرق.

منذ ذلك العام، ظلت إسرائيل توسع مجالات التعاون بينها وبين الصين بشكل كبير إلى أن أصبحت اليوم الشريك التجاري الأول لها في آسيا والثالث عالميًا بعد الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. تفترض هذه الورقة أن إسرائيل سعت لتعزيز علاقتها مع الصين بفعل ثلاثة عوامل رئيسة وهي، التحالف مع الأقوياء للحفاظ على البقاء، التوجه نحو آسيا لتعزيز الاقتصاد الإسرائيلي في كافة المجالات، وأخيرًا، خلق هامش جديد وواسع للمناورة مع الولايات المتحدة والتهرب من أي ضغوطات مستقبلية محتملة. تتوزع الورقة على ثلاثة أقسام تحلل هذه العوامل، حيث يناقش الأول الإستراتيجية والممارسة الصهيونية إزاء صعود القوى العظمى وهبوطها منذ أواخر القرن التاسع عشر، ويحلل القسم الثاني مؤشرات وعناصر ما يمكن وصفه بـ "الصهيو-صينية" والتوجه الإسرائيلي نحو آسيا منذ العام ٢٠١٠، أما القسم الآخير فيناقش قدرة إسرائيل على خلق مجال للمناورة مع أميركا من عدمه في علاقتها مع الصين كقوة صاعدة.

القسم الأول: الصهيونية واستراتيجيتها إزاء صعود القوى العظمى وهبوطها

أثبت تاريخ الحركة الصهيونية ممثلة في مشروعها السياسي، إقامة الدولة اليهودية، أنها لا تستطيع أن تستمر دون وجود دولة عظمى تحميها وتحفظ مصالحها وتتبنى روايتها. في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، كانت ألمانيا قوة صاعدة في النظام الدولي، وشكلت أحد أهم مراكز ثقل نشاط الحركة الصهيونية، إذ احتل اليهود الألمان موقعًا مؤثرًا في قلب الفكرة الصهيونية قيد التشكل آنذاك، عكس النفوذ السياسي والاقتصادي لليهود في ألمانيا، وكانت مدينة ميونخ مرشحة لاحتضان المؤتمر الصهيوني الأول في العام ١٨٩٧ قبل أن يتم اختيار مدينة بازل في سويسرا.[٢] لكن تردد قيصر ألمانيا، فيلهام الثاني، في قبول فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين، خشية التأثير على تحالفه مع الدولة العثمانية، بالإضافة إلى العديد من الأزمات مرتبطة بنشاط الحركة الصهيونية في أوروبا، وانتهاء بهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، دفع الحركة الصهيونية إلى ترحيل مركز ثقلها إلى بريطانيا، ونقل المجلس التنفيذي للمنظمة الصهيونية إلى لندن.[٣] ولعب الصهيوني حاييم وايزمان دورًا كبيرًا في تنشيط دور المنظمة الصهيونية هناك وهي التي تبنت ثلاثة أهداف من الحرب: ضرورة انتصار الحلفاء، تأسيس انتداب بريطاني في

فلسطين يكون الحاضنة لمشروع الدولة اليهودية؛ تسهيل هجرة مليون يهودي أو أكثر إلى فلسطين عن طريق الانتداب.[٤]

شهدت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى أيضًا صعود الولايات المتحدة الأميركية،[٥] الأمر الذي دفع الحركة الصهيونية إلى بدء نشاط مواز في أميركا. وتم عقد أول مؤتمر صهيوني طارئ في مدينة نيويورك عام ١٩١٤ - أي قبل ثلاث سنوات من وعد بلفور- ونجح الصهيوني برانديس في إدخال شخصيات تتمتع بنفوذ كبير في الولايات المتحدة إلى الحركة الصهيونية.[٦] في عام ١٩١٧ وبدفع من الحركة الصهيونية تلاقى مع مصالح بريطانيا الإمبريالية، أصدرت الحكومة البريطانية تصريح بلفور الشهير، ومنذ ذلك العام استلمت مهمة رعاية مشروع إقامة دولة يهودية في فلسطين على مدار ثلاثة عقود لاحقة. في خضم الحرب العالمية الثانية، ومع وضوح معالم أفول بريطانيا وصعود الولايات المتحدة، بدأ الانتقال التاريخي الثالث للحركة الصهيونية، وهذه المرة باتجاه أميركا، ويمكن اعتبار مؤتمر بالتيمور في نيويورك سنة ١٩٤٢ التاريخ الرسمي لهذا الانتقال.[٧] وقد تجسد نجاح الحركة الصهيونية في التصاقها بالدولة العظمى الجديدة عبر الاعتراف الفوري من قبل الأخيرة بإسرائيل، الذي أعلنه الرئيس الأميركي هاري ترومان بعد ١١ دقيقة من إعلان "استقلال إسرائيل".[٨] منذ ذلك التاريخ، أصبحت واشنطن الراعي الأول للصهيونية ومشروعها.

اليوم تبرز الصين منافسًا حقيقيًا لمكانة الولايات المتحدة الأميركية في النظام الدولي، الأمر الذي انعكس على سياسة إسرائيل تجاه الصين، كجزء من إستراتيجيتها المتمثلة بـ "التحالف مع الأقوياء".[٩] تاريخيًا، بدأت الحركة الصهيونية في الظهور في الصين منذ بدايات القرن الماضي، وتعزز الوجود اليهودي فيها تدريجيًا وبلغ ذروته بعد لجوء ما يقارب الـ ٢٠ ألف يهودي إليها عام ١٩٤١،[١٠] وكانت إسرائيل الدولة الأولى في الشرق الأوسط التي اعترفت بجمهورية الصين الشعبية في التاسع من كانون الثاني ١٩٤٩,[١١] ولكن لم تشهد الساحة الصينية نشاطًا واضحًا للحركة الصهيونية إلا بعد تبني دينغ شياو بينغ سياسة الإصلاح والانفتاح عام ١٩٧٨. قبل ذلك التاريخ كانت سياسة الصين تجاه إسرائيل والتي صاغها ماو تسي تونغ، مؤسس جمهورية الصين الشعبية منذ العام ١٩٤٩ وحتى ١٩٧٦، تقوم على اعتبارين، الأول أن إسرائيل أداة بيد الإمبريالية الأميركية وبالتالي عدم الاعتراف بها، والثاني تأييد الفلسطينيين والعرب بشكل مُطلق في المطالبة بتحرير فلسطين.

عملت إسرائيل منذ العام ١٩٧٨ على تعزيز وجودها في الصين بشكل تدريجي من خلال التعاون في المجال العسكري والدبلوماسي والاقتصادي والثقافي كما سنوضح في القسم التالي. وهدفت من خلال هذه السياسات إلى مراكمة التأثير التدريجي على الموقف الصيني إزاء الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي بحيث يتبدل لصالح إسرائيل على المدى البعيد، الأمر الذي نجحت فيه إسرائيل بالفعل. يؤكد ذلك ما قاله وزير الاقتصاد الإسرائيلي نفتالي بينت بعد ٢١ عامًا على تطبيع العلاقات الإسرائيلية الصينية، أثناء زيارته إلى الصين عام ٢٠١٣ لتعزيز التبادل التجاري من أن "الصينيين لا يهتمون بالاحتلال، وغير معنيين بالصراع العربي- الإسرائيلي، فكل ما يعنيهم هو التطور التكنولوجي الذي نمتلكه، وخلال عشرين لقاء أجريتها مع المسؤولين الصينيين في هذه الجولة لم يسألني أحدهم عن العرب، أو عن الفلسطينيين، أو حتى عن الاحتلال".[١٢] في ضوء التوجه الإسرائيلي المتعاظم نحو الصين يبرز السؤال هنا حول احتمالات بروز ما يمكن وصفه بـ "صهيو-صينية" ترث العقود الماضية التي شهدت "صهيو-أميركية" كانت هي الراعي والحامي لإسرائيل.

القسم الثاني، مؤشرات الصهيو-صينية: إسرائيل وإستراتيجية التوجه نحو آسيا

يحاول هذا القسم رصد مؤشرات عدّة وتحليلها تدلل في مجموعها على بروز ما تصفه الورقة بـ "الصهيو- صينية"، التي تعني انتقال العلاقات الإسرائيلية- الصينية إلى مرحلة متقدمة، يتسم فيها الاعتماد المتبادل بين الطرفين بالعضوية، وتُجسد مرحلة جديدة من إستراتيجية الالتحاق بالقوى الكبرى التي اتبعتها الصهيونية، وهذه المرة مع الصين.

وقبل عرض المؤشرات، من المهم الإشارة إلى أن الحركة الصهيونية، كحركة أم لإسرائيل، تتابع

تحولات الوضع الدولي والمزاج العالمي المؤيد لإسرائيل والمعارض لها، بما في ذلك حجم التأييد في أوساط الأجيال الأميركية الشابة الذي تجد أنه في تراجع.

وفي الوقت نفسه، وللمفارقة المثيرة هناك ازدياد في أعداد المسيحيين الإنجيليين في الصين، الذين يقدر عددهم بما بين ٩٣ مليون إلى ١١٥ مليون مسيحي،[١٣] وهم أكثر من عدد أعضاء الحزب الشيوعي الصيني. وقال رئيس التجمع اليهودي في جامعة هارفرد، بنجامين لوكسمبورغ في مقالة له في صحيفة الجيروسواليم بوست بعنوان "هل الصين آخر وأفضل أمل لإسرائيل؟" أن هناك إعجابًا فعليًا عند الصينيين بالثقافة اليهودية، وبنظرة استشرافية، سيصبح العديد من المسيحيين الصينين أعضاء في الحزب الشيوعي الصيني، وسوف يخدمون في مناصب في حكومة صينية وينظرون إلى العالم من منظور مسيحي.

وحسب توقعات عالم الاجتماع في جامعة بوردو فينغانغ يانغ، إنه سيكون في الصين بحلول العام ٢٠٢٥، ١٦٠ مليون مسيحي، و٢٤٧ مليون مسيحي إنجيلي بحلول ٢٠٣٠,[١٤] بدأت إسرائيل فعليًا ليس فقط بتعزيز علاقتها ووجودها في الصين، بل توسع ذلك إلى دراسة مكونات المجتمع الصيني، وإجراء تحليل بيانات على التوجهات الدينية للشعب الصيني لمعرفة مدى قدرتها مستقبلًا في التأثير على السياسة الخارجية الصينية لصالحها.

ننتقل إلى مؤشرات الصهيو-صينية، **أولًا، مؤشر سياسي**. عندما أعلنت إسرائيل عام ٢٠١٠ إستراتيجيتها التوجه إلى آسيا Pivot to Asia، سعت من خلالها إلى تحسين علاقتها مع الدول الآسيوية عمومًا والصين على وجه الخصوص. ويمكن القول إن هذه الإستراتيجية ارتكزت على أربعة عوامل رئيسة، هي: أولًا، إدراك إسرائيل أن آسيا أصبحت تتمتع بأهمية وقوة سياسية متزايدة في العالم، ووجود إسرائيل في هذه المنطقة سيعزز من حصولها على مواقف سياسية تخدم مصالحها في الصراع مع الفلسطينيين. ثانيًا، رغبة إسرائيل في تنويع مناطق استثماراتها وصادراتها،[١٥] الأمر الذي يكرر أهميته قادة إسرائيل، ومنهم نتنياهو الذي قال في سنة ٢٠١٦ إن "الاتفاقيات الاقتصادية الجديدة لإسرائيل بما في ذلك تلك مع الصين تهدف إلى تحقيق التوازن في علاقاتها الاقتصادية، وعدم الاعتماد فقط على الأسواق الأوروبية،[١٦] وأضاف "إن هذه الاتفاقيات كانت ردنا على أولئك الذين يسعون إلى عزلنا -وكان يقصد أوروبا والولايات المتحدة-."[١٧] ثالثًا، وجدت إسرائيل في آسيا - وبسبب امتلاك الأخيرة اقتصادات كبيرة وتعدادًا سكانيًا ضخمًا مثل الهند والصين - سوقًا واسعة لتصدير ابتكاراتها وخاصة أن هذه الدول بحاجة إلى التكنولوجيا الإسرائيلية في مشاريع نقل المياه وتحليتها، والطب، والتعليم، والابتكار التكنولوجي والتقني، والتسلح.[١٨] وأخيرًا، أرادت إسرائيل من خلال التوجه الى آسيا خلق توازن يخفف من الضغوطات الاقتصادية والسياسية الأوروبية المتزايدة ذات العلاقة بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وضغوطات أميركية مشابهة (في سنوات رئاسة باراك أوباما) وإن كانت بدرجة أقل بكثير من تلك الأوروبية.[١٩]

في الجوهر، يرتبط المؤشر السياسي هذا بشكل مباشر أو غير مباشر بالفكرة التي نُوقشت أعلاه وهي ضرورة الالتحاق بالقوى العظمى والالتصاق بها، وتعزيز نظرية وإستراتيجية "التحالف مع الأقوياء". وفي هذا السياق تندرج تصريحات متكررة لمسؤولين إسرائيليين، ومنهم نتنياهو الذي قال "تحتاج (إسرائيل) إلى توسيع علاقاتها الخارجية لكي تستطيع التعامل مع التطورات العالمية، وأن الوقت قد حان لتشكيل تحالفات إسرائيلية جديدة مع دول صاعدة وأهمها الصين المهتمة للغاية بالتكنولوجيا الإسرائيلية".[٢٠]

ثانيًا، مؤشر دبلوماسي. تعزيزًا لأدوارها النشطة في الصين على الصعيد السياسي، افتتحت إسرائيل أربع قنصليات لها فيها إلى جانب السفارة في بكين، تتوزع على أهم المدن الصينية: شنغهاي، وتشنغدو، وقوانغتشو، وهونغ كونغ.[٢١] وبذلك تعتبر إسرائيل الدولة الثانية والوحيدة بعد الولايات المتحدة التي تفتتح أربع قنصليات في الصين. يثبت هذا الوجود المكثف للتمثيل الدبلوماسي الإسرائيلي في الصين رغبتها وإرادتها في تعزيز وجودها في آسيا بشكل عام وليس فقط في الصين، وهو ما يقوي إستراتيجية التوجه نحو آسيا. وبإجراء بحث سريع على عدد القنصليات الإسرائيلية في الغرب مقارنة مع آسيا وجدت الباحثة

أن اسرائيل التي يبلغ عدد سكانها نحو ستة ملايين، ولا تمتلك حدودًا جغرافية وسياسية واضحة، تمتلك سفارة وقنصلية في كل من الهند، واليابان، وروسيا، وهي دول ذات ثقل سياسي واقتصادي في العالم. أما مع حلفائها الأقوى في أوروبا، فعلى سبيل المثال، تمتلك إسرائيل سفارة واحدة في بريطانيا، وفي كل من ألمانيا وفرنسا سفارة وقنصلية.

ثالثًا، مؤشر عسكري. في هذا المجال من المهم العودة للتاريخ لرصد تطور العلاقات الإسرائيلية الصينية العسكرية وفهمه منذ أواخر السبعينيات وحتى الآن. يمكن التأريخ لبروز التجارة العسكرية بين الطرفين بالعام ١٩٧٩، حيث رأت إسرائيل في الصين سوقًا لمبيعات الأسلحة التي تنتجها بدلاً من السوق الإيراني بعد أن خسرته بفعل الثورة الإيرانية وما ترتب عليها من مجابهة مع الغرب عامة وإسرائيل على وجه الخصوص. بدأت إسرائيل بيع الأسلحة إلى الصين قبل تطبيع العلاقات رسميًا بثلاثة عشر عامًا. وساهم في ذلك الوقت رجل الأعمال اليهودي شاؤول آيزنبيرغ[٢٢] في تسهيل إقامة علاقات عسكرية بين الصين وإسرائيل،[٢٣] وقام بنقل أول وفد إسرائيلي مكون من ثلاثين مسؤولًا في وزارة الدفاع الإسرائيلية والموساد إلى الصين باستخدام طائرته الخاصة بشكل سري.[٢٤] وبحسب التقديرات، فمنذ العام ١٩٧٩ حتى العام ٢٠٠٠، أبرم البلدان أكثر من ٦٠ صفقة سلاح.[٢٥] وعلى الرغم من القيود التي وضعتها الولايات المتحدة على العلاقات الصينية الإسرائيلية في مجال التجارة العسكرية، فإن الزيارات العسكرية الرسمية استؤنفت بعد عشر سنوات من إلغاء اتفاقيات هاربي وفالكون، أي بعد أن أعلنت إستراتيجيتها التوجه نحو آسيا. ففي حزيران ٢٠١١ زار وزير الدفاع الإسرائيلي الصين رسميًا/ واتفق الجانبان على تعزيز التعاون في مجال محاربة الإرهاب وتدريب وحدات عسكرية صينية.[٢٦] وبعد شهرين، زار الجنرال الصيني شين بينغده إسرائيل،[٢٧] وأعقب ذلك زيارة لرئيس الأركان الإسرائيلي الجنرال بيني غانتس إلى الصين في أيار ٢٠١٢. وأكد غانتس على أهمية الوجود العسكري الصيني في الشرق الأوسط، وضرورة تعزيز التعاون العسكري بين البلدين لمواجهة التحديات الإقليمية الأمنية التي تواجهها إسرائيل بفعل الدور الإيراني المتزايد.[٢٨] وفي العام ٢٠١٣، زار رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك نتنياهو الصين في زيارة هي الأولى منذ ست سنوات في ذلك الوقت. وتم الاتفاق على تعزيز التعاون العسكري بين الطرفين، وأظهرت الصين رغبتها في الحصول على التكنولوجيا العسكرية الإسرائيلية المتطورة. وبفعل الضغوطات الأميركية، أصبح توريد إسرائيل للتكنولوجيا العسكرية إلى الصين محدودًا، الأمر الذي دفعها في العام ٢٠١٧، إلى تعزيز التعاون في مجالات أخرى، حيث أعلن نتنياهو إنشاء الشراكة الشاملة للابتكار Comprehensive Partnership for innovation، أثناء زيارته إلى الصين. وقامت الدولتان بإنشاء خمس فرق عمل في مجالات التكنولوجيا المتقدمة لحماية البيئة والطاقة والزراعة والتمويل.[٢٩]

رابعًا، المؤشر الاقتصادي. أنشأ نتنياهو في العام ٢٠١٣ لجنة وزارية لتعزيز العلاقات الاقتصادية مع الصين برئاسة مستشاره الاقتصادي يوجين كانديل، وكان هذا الأخير قد أكد "أن العلاقات الاقتصادية مع الصين تمثل أولوية إستراتيجية لإسرائيل".[٣٠] وفي خطاب لنتنياهو أثناء زيارة وزير الخارجية الصيني وانغ يي إلى إسرائيل في العام نفسه، قال "إن الدولتين تتمتعان بقدرات اقتصادية تكميلية، إسرائيل كقوة بحث وتطوير والصين كقوة تصنيع عالمية". وفي هذه الزيارة طرحت إسرائيل نفسها كبديل عن مصر في مشروع طريق الحرير، إذ قدمت خطة لمسار سكة حديد يربط بين آسيا وأوروبا يمتد من ميناء إيلات على البحر الأحمر إلى ميناء أسدود على البحر الأبيض، وقال نتنياهو "يتعين على الصين شحن العديد من سلعها إلى الأسواق الغربية الرئيسة بما في ذلك أوروبا عبر إسرائيل."[٣١]

بدأت العلاقات الاقتصادية بين الجانبين بعد العام ١٩٧٩ لكن بشكل سري كما كان الحال في المجال العسكري. كان لإسرائيل قنصلية في مدينة هونغ كونغ قبل أن يعاد ضمها إلى الصين بموجب اتفاق مع بريطانيا عام ١٩٩٩. واستغلت إسرائيل بندًا في الاتفاق يشير إلى موافقة الصين على السماح للقنصليات التي كانت موجودة في السابق ولا يوجد لها تمثيل دبلوماسي رسمي في بكين أن تستمر في عملها. سهل هذا الوجود الإسرائيلي بداية تبادل الخبرات في

التعاون الصيني الإسرائيلي: ضوابط أميركية جادة. (وكالات)

المجال الصناعي والزراعي بين البلدين، ففي العام ١٩٨٥ زار الصين وفد صناعي إسرائيلي برئاسة كبير علماء وزارة الزراعة الإسرائيلية شموئيل بوهوريليس، وتم الاتفاق على إنشاء مزرعة إسرائيلية في الصين. وبعد عام، زار الصين وفد آخر لتقديم الخبرات في مجال الري المائي. ومع تصاعد الحاجة الصينية للخبرات الإسرائيلية، أعلنت الصين بشكل رسمي السماح لرجال الأعمال الإسرائيليين فقط بأن يدخلوا أراضيها. وفي العام ١٩٨٦، أُنشئت شركة COPECO الإسرائيلية داخل الصين لدعم العلاقات التجارية والاقتصادية مع الصين.[٣٢] أنهت إقامة العلاقات الدبلوماسية مع الصين عام ١٩٩٢ دور شركة COPE-CO، وبدأت مجموعة من الشركات الإسرائيلية العمل علانية في الصين. وتضمنت أبرز المجالات التي ركزت عليها اسرائيل وكانت عامل جذب للجانب الصيني مجالات الصناعة الدفاعية، والتكنولوجيا العسكرية، والزراعة.[٣٣] وفي العام ١٩٨٧، سُمح للسواح الإسرائيليين بدخول الأراضي الصينية، أي قبل خمسة أعوام من توقيع الاتفاقية الرسمية للسياحة بين البلدين عام ١٩٩٢.[٣٤]

شكل العام ٢٠١٠ كما أشرنا سابقًا تحولًا خاصًا في السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه الصين، فقد أدركت إسرائيل أهمية التحول نحو الشرق نظرًا لتحولات الاقتصاد العالمي، وافترضت أن هذا التوجه أمر حيوي وضروري لاستمرار وجودها. وهنا قال نتنياهو في خطاب له عام ٢٠١٤: "كان صعود آسيا أهم تطور في الاقتصاد العالمي، وعلى وجه الخصوص الصعود الصيني".[٣٥] وتظهر هذه الخطابات الرسمية الإسرائيلية اللاحقة مركزية فكرة صعود القوى العظمى وهبوطها في التفكير الصهيوني، وأن إسرائيل دولة لا تستطيع أن تتكيف في وضع دولي لا يرعى وجودها ويؤكد على أهميتها بالدرجة الأولى. وفي هذا السياق، فإن صعود الصين إلى مكانة القوة العالمية يجبر إسرائيل على تعزيز علاقاتها مع بكين.[٣٦]

عملت إسرائيل منذ العام ٢٠١٠ على تعزيز علاقاتها الاقتصادية مع الصين، واشتغلت قنصلياتها الأربع على تسهيل التواصل بين رجال الأعمال الصينيين والإسرائيليين.[٣٧] وهيمنت ثلاثة مجالات على التعاون بين الطرفين، هي: التجارة، والتعاون التكنولوجي، والاستثمارات الصينية في مشاريع البنية التحتية في اسرائيل نفسها.[٣٨] وفي حين كانت الزيارة الأولى لنتنياهو إلى الصين عام ٢٠١٣، جاءت زيارته

الثانيــة في الذكــرى ٢٥ لإقامــة العلاقــات الدبلوماســية× أي عــام ٢٠١٧. واعتــبرت إسرائيــل أن هــذه الزيــارة أهــم رحلــة خارجيــة لهــا، حيــث رافــق نتنياهــو لأول مــرة ٩٠ رجــل أعمــال إسرائيــلي بالإضافــة إلى خمســة وزراء (البيئــة، والزراعــة، والاقتصــاد، والعلــوم والتكنولوجيــا، والصحــة). وهدفــت الزيــارة إلى زيــادة تســهيلات دخــول الإسرائيليــين إلى الأســواق الصينيــة، وتوقيــع اتفاقيــات تجــارة حــرة. وقــال نتنياهــو "ســوف نلتقــي بأكــبر الــشركات في الصــين، وعندمــا أقــول أكــبر الــشركات، أعني بذلــك أكــبر الــشركات في العالــم، أو تلــك التــي ســتصبح الأكــبر في العالــم".[٣٩] وأشــار المديــر العــام لمكتــب نتنياهــو ايــلي غرونــر إلى أن هــذه الرحلــة والاتفاقيــات التي نســعى إليهــا ستســاعد في نمــو الاقتصــاد الإسرائيــلي.[٤٠] وفي العــام نفســه، أعلــن شي أنــه ســيعطي إسرائيــل اســتثناءً تاريخيًــا في مجــال الشراكــة، إذ ســيقوم بتأســيس "شراكة ابتكاريــة شــاملة" معهــا، وبذلــك تصبــح اسرائيــل ثانــي دولــة بعــد ســويسرا تحظــى بهــذه الفرصــة في العالــم.[٤١] كان أســاس العلاقــات الاقتصاديــة بــين البلديــن قائمًــا عــلى امتــلاك إسرائيــل للتكنولوجيــا المتطــورة في جميــع المجــالات: الزراعــة، والصناعــة، والتعليــم، والصحــة، والدفــاع. ويعتــبر الإسرائيليــون أن تعزيــز علاقتهــم مــع الصــين جــاء بمثابــة ملــئ الفــراغ الــذي خلفــه تراجــع الاســتثمارات الأوروبيــة والأميركيــة.

وأخــيرًا، مــؤشر ثقــافي. كانــت الحركــة الصهيونيــة أكثــر قــدرة عــلى التنبــؤ بمســتقبل الصــين كدولــة عظمى للقــرن الحــادي والعشريــن مــن الغــرب. فــأول مــن أيقن ذلــك كان رئيــس الــوزراء الإسرائيــلي الأول دافيــد بــن غوريــون، الــذي كان "رئيــس الأمــر الواقــع"[٤٢] للمنظمــة الصهيونيــة في الفــترة الواقعــة بــين ١٩٤٦- ١٩٥٦. وفي الســنوات العــشر الماضيــة، افتتحــت أربــع جامعــات إسرائيليــة فروعًــا لهــا في الصــين، وهــي: جامعــة تــل أبيــب، وجامعــة حيفــا، والتخنيــون (المعهــد الإسرائيــلي للتكنولوجيــا والهندســة، وهــو أول جامعــة إسرائيليــة في الصــين وواحــدة مــن جامعتــين أجنبيتــين فقــط ســمح لهــا بتأســيس برنامــج مســتقل بعــد جامعــة موســكو)، وجامعــة بــن غوريــون. كمــا تــم توقيــع اتفــاق يهــدف إلى تأســيس تحالــف بــين الجامعــات في البلديــن عــام ٢٠١٥ خــلال زيــارة وزيــر الخارجيــة الإسرائيــلي أفيغدور ليبرمــان إلى الصــين ولقائــه مــع نائــب رئيــس الــوزراء الصينــي ليــو يــان دونــغ، عُــرف باســم "خطــة العمــل الثلاثيــة للتعــاون الابتــكاري بــين الصــين وإسرائيــل".[٤٣]

أدى هــذا المجهــود الثقــافي للحركــة الصهيونيــة داخــل الصــين والمُعــزز رســميًا مــن قبــل الدولــة الإسرائيليــة إلى خلــق تصــورات إيجابيــة عنــد الصينيــين عــن إسرائيــل وربطهــا بمــا تســميه الصــين "الحضــارة اليهوديــة". إذ عــبر بعــض السياســيين والأكاديميــين الصينيــين عــن إعجابهــم بالثقافــة والتقاليــد اليهوديــة عنــد الحديــث عــن إسرائيــل وتشــابهها مــع الثقافــة الكونفوشوســية.[٤٤] ويذكرنــا هــذا بخطابــات المســيحية الصهيونيــة وتنظيراتهــا حــول التماثــل بــين اليهوديــة والمســيحية وتكاملهــا، ســواء في أوروبــا أو الولايــات المتحــدة. واســتطاعت إسرائيــل تعزيــز وجودهــا الثقــافي إلى أن أصبحــت الصــين تدعــم اليهوديــة كثقافــة حضاريــة تتجســد وتتمثــل عمليًــا في إسرائيــل حــصرًا كدولــة ومجتمــع، كمــا سنشــير في الفصــل اللاحــق. بالإضافــة إلى مــا ســبق، أطلــق الصينيــون في العــام ٢٠١٧ مبــادرة "أســبوع إسرائيــل الثقــافي"، ويعتــبر هــذا أول حــدث ثقــافي عــلى مســتوى الصــين بأكملهــا يحتفــي بإسرائيــل. وفي العــام نفســه أعلنــت جامعــة شــنغهاي عــن مشروعها الجديــد في إنشــاء قاعــدة بيانــات عــن اللاجئــين اليهــود في الصــين تعاطفًــا مــع ضحايــا الهولوكوســت.[٤٥]

وهكــذا، تجــد إسرائيــل في الصــين فرصــة مســتقبلية كــبرى، عــبر عنهــا نتنياهــو مــن خــلال وصفــه العلاقــات الصينيــة- الإسرائيليــة "كــزواج عُقــد في الســماء".[٤٦] ولأن هــدف إسرائيــل النهائــي هــو ضمــان وجودهــا وتفاعلهــا مــع هــذه اللحظــة التاريخيــة التــي تشــهد إعــادة تشــكيل بنيــة النظــام الــدولي بفعــل صعــود الصــين، قــال نتنياهــو "إن عــلى الصــين أن تحتــل مكانهــا الصحيــح عــلى المــسرح العالمــي، وأن إسرائيــل الشريــك الصغــير المثــالي الــذي سيســاهم في هــذا الجهــد".[٤٧] وفي خطــاب للســفير الإسرائيــلي الســابق في واشــنطن، مايــكل أوريــن، قــال: إن "إسرائيــل تعتــبر الصــين فرصــة".[٤٨] وأكاديميًــا، قالــت الباحثــة في مؤسســة رانــد شــيرا إيفــرون: "مــن وجهــة نظــر الإسرائيليــين، الصــين هي بلــد الفــرص الجديــدة".[٤٩]

القسم الثالث: التحايل الإسرائيلي على الولايات المتحدة

جــاءت إســتراتيجية التوجــه نحــو آســيا الإسرائيليــة عــام ٢٠١٠ عــلى أثــر توتــر علاقاتهــا مــع الاتحــاد الأوروبــي والإدارة الأميركيــة في فــترة بــاراك أوبامــا. انتقــد

الأخير السياسات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، وقبل عام من إعلان إسرائيل إستراتيجيتها الجديدة، كان أوباما قد ألقى خطابًا في القاهرة أشار فيه إلى دعمه قيام الدولة الفلسطينية، وأن واشنطن لن تدير ظهرها للفلسطينيين، وطالب بضرورة تجميد الاستيطان. أثار هذا الخطاب وما تبعه من انتقادات من الإدارة الأميركية توترًا في العلاقة بين البلدين في سنوات أوباما، خاصة إدانة التوسعات الاستيطانية التي وصفتها واشنطن بالإجراءات الاستفزازية والمسيئة.[٥٠] وبالتالي، يمكن القول إن توتر العلاقات ذاك ساهم في تعزيز لجوء إسرائيل إلى الصين وتقوية علاقتها مع المنافس الأول لواشنطن في العالم، الصين. في السابق، تجاوبت إسرائيل مع مطالب أميركا بإلغاء اتفاقيتي فالكون وهاربي بدون متاعب كما هو الحال اليوم. فالعلاقة بين الثلاث دول يتم تقييمها في إطار عالمي قائم على المنافسة بين الولايات المتحدة والصين. وبالتالي، فإن أي تقارب صيني إسرائيلي اليوم يشكل مصدر قلق كبير في الإدارات الأميركية على اختلافها – الجمهورية والديمقراطية-.

كانت الضغوطات الأميركية على إسرائيل تركز فقط على الجوانب العسكرية في علاقتها مع الصين، ولكن، بعد ٢٠١٠، تصاعدت وتيرة الضغوطات لتشمل الاستثمارات الصينية في إسرائيل في شتى المجالات، وترسخ ذلك فترة دونالد ترامب بعد أن أعلن بأن الصين دولة تحريفية في النظام الدولي إلى جانب روسيا. ووجهت واشنطن انتقادات واسعة للاستثمارات الصينية في اسرائيل معتبرة ذلك تهديدًا مباشرًا لأمنها القومي، واعتبرت تلك الاستثمارات "بابًا خلفيًا" يكشف الأسرار الأميركية.[٥١] وعلى الرغم من أن إسرائيل استجابت للضغوطات الأميركية في بعض مجالات تعاونها مع الصين، فإن هناك مجموعة مؤشرات تدلل على وقوفها ضد الرغبات الأميركية وتحايلها عليها، وهي تقف أحيانًا على الحياد في أبرز الملفات الصينية التي تعاديها واشنطن، وهي كالآتي:

١. مركزية إسرائيل في المشاريع الصينية المناهضة للهيمنة الأميركية

أعلن شي جين بينغ عام ٢٠١٣ فور انتخابه رئيسًا للبلاد عن إنشاء مشاريع اقتصادية عالمية ستحقق "الحلم الصيني"[٥٢] بحلول العام ٢٠٤٩ على حد تعبيره، وهي طريق الحرير والبنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية.[٥٣] وهدف شي إلى مناهضة الأحادية القطبية بإنشاء مؤسسات دولية موازية للمؤسسات الأميركية التي عززت الهيمنة الأميركية بعد الحرب العالمية الثانية.[٥٤] وفي ما يتعلق بطريق الحرير، تريد الصين من خلال هذا المشروع الذي يطلق عليه "مشروع القرن" توسيع روابطها التجارية مع المناطق المستهدفة، وهو تحرك نحو تأسيس هيمنة جديدة والدخول في منافسة شديدة مع الولايات المتحدة، خاصة وأنه سيزيد من حرية الصين في المناورة الدبلوماسية مع الدول الواقعة على الطريق، ويُمكنها من السيطرة على طرق التجارة البرية والبحرية في أوراسيا. ومن وجهة النظر الأميركية، فقد اعتبرت واشنطن أن هذا المشروع هو مخطط استعماري صيني، متهمة الصين بأن استثماراتها في البنية التحتية بمليارات الدولارات يهدف إلى توسيع نفوذها السياسي واكتساب ميزة نسبية على واشنطن. وطالبت أميركا حلفائها بعدم الانضمام إلى الخطة ومن ضمنها إسرائيل.[٥٥]

تشكل إسرائيل أحد أهم المحطات الرئيسة الثلاث إلى جانب إيران وتركيا لطريق الحرير في الشرق الأوسط. ففي العام ٢٠١٤؛ أي بعد عام من الإعلان عن مشروع طريق الحرير، اختيرت الشركة الصينية China Harbors Pan Mediterranean Engineering company (PMEC) لبناء ميناء أسدود كمحطة رئيسة على طريق الحرير البحري بقيمة ٨٧٠ مليون دولار. وفي العام نفسه، فازت مجموعة ميناء شنغهاي الدولي Shanghai International Port Group بمناقصة لتشغيل ميناء حيفا مدة ٢٥ عامًا بدءًا من العام ٢٠٢١،[٥٦] وفي العام ٢٠٢٠ فازت PMEC بمناقصة لتحديث ميناء أسدود وحيفا معًا بقيمة مليار شيكل أي نحو ٢٨٥,٧ مليون دولار.[٥٧] من المهم الإشارة هنا، إلى أن الولايات المتحدة حذرت إسرائيل في مناسبات عديدة من تأجير الميناء للصين، لكن لم تستجب إسرائيل لتلك الدعوات، وحتى أن إسرائيل رفضت مطالب أميركا بإجراء عمليات تفتيش في الميناء.[٥٨] وكان الاستثمار الآخر ضمن مشروع طريق الحرير هو قبول الصين اقتراحًا تقدم به نتنياهو يفضي إلى قيام الصين بإنشاء مشروع سكة حديد

النقطة الجوهرية في قضية هواوي، أنها جاءت في إطار التنافس الأميركي الصيني على شبكات الاتصالات (الجيل الخامس والسادس وإنترنت الفضاء). قديمًا ووصولًا إلى الحرب الباردة، كان العامل الحاسم في فرض الهيمنة والصراع بين القوى عالميًا هو الجغرافيا، اليوم، العامل الجوهري في الصراع على الهيمنة العالمية والسيطرة على الأرض هو الاتصالات.

يربط بين ميناء إيلات على البحر الأحمر وميناء تل أبيب على البحر الأبيض المتوسط لتجنب قناة السويس، واعتبر نتنياهو هذا الخط بأن له أهمية ليس فقط على الصعيد الوطني بل أيضًا الدولي.[٥٩]

وبالانتقال إلى المشروع الثاني، انضمت إسرائيل إلى البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية على الرغم من مطالبات الولايات المتحدة لها بمقاطعته.[٦٠] واعتبرت واشنطن بأن هذا المشروع يمثل تحديًا للبنك الدولي وبنك التنمية الآسيوي الذي تمارس فيه تأثيرًا كبيرًا.[٦١] ووفقًا لبيان وزارة المالية الإسرائيلية، أعلنت إسرائيل في آذار ٢٠١٤ عن نيتها الانضمام إلى البنك كعضو مؤسس إقليمي.[٦٢] وفي نيسان ٢٠١٥، وافق البنك على قبول عضوية إسرائيل من ضمن الـ ٥٧ عضوًا المؤسسين.[٦٣] وبعد عام، وافقت اللجنة المالية في الكنيست الإسرائيلي على مشروع قانون يحدد الشروط اللازمة لعضوية إسرائيل في البنك، وبالتالي تعتبر هذه المرة الأولى التي تصبح فيها إسرائيل عضوًا مؤسسًا لبنك تنمية عالمي. وعلق كبير الاقتصاديين في وزارة المالية الإسرائيلية يوئيل نافيه على ذلك قائلًا: "سيكون هذا البنك الآسيوي الوحيد متعدد الأطراف الذي تنتمي إليه إسرائيل".[٦٤]

٢. التعاون مع شركات صينية محظورة أميركياً

حظرت الولايات المتحدة العديد من الشركات الصينية ووضعتها ضمن القائمة السوداء مدعيةً أنها تشكل خطرًا على الأمن القومي الأميركي. وعلى الرغم من الحظر والدعوات الأميركية لإسرائيل لقطع العلاقات مع هذه الشركات، فإن الأخيرة استمرت بالاستثمار مع بعضها، والبعض الآخر وقعت معه عقودًا استثمارية جديدة حتى بعد الحظر الأميركي. وفي مقدمة ذلك كان الاستثمار مع شركة الاتصالات الصينية "هواوي". وكان الرئيس الأميركي دونالد ترامب حظر عملاق التكنولوجيا الصيني Huawei في ١٩ أيار عام ٢٠١٩ وأدرجها ضمن القائمة السوداء، وأتبع ذلك بإعلانه حالة الطوارئ الوطنية داخل الولايات المتحدة مانعًا الشركات الأميركية من التعامل مع الشركة بدعوى تشكيلها خطرًا على الأمن القومي الأميركي. وقال ترامب بأن هذه الشركة التي تحظى بدعم الحكومة الصينية تستخدم أجهزة للتجسس على واشنطن وحلفائها، وتشارك في أنشطة تتعارض مع المصالح الخارجية للولايات المتحدة.[٦٥]

كان أحد أبرز ردود أفعال هواوي على الحظر الأميركي إبعادها موظفي الشركة الإسرائيليين الذين يحملون الجنسية الأميركية.[٦٦] وعلى الرغم من الحظر الأميركي وتحذيرات واشنطن لإسرائيل وسياسة الإبعاد التي انتهجتها الشركة، فإن اسرائيل استمرت في تعزيز علاقاتها واستثماراتها مع هواوي. وبحلول عام ٢٠٢٢، أصبحت مراكز البحث والتطوير التابعة لهواوي في إسرائيل أكبر من أي وقت مضى، حيث وصل عدد الباحثين إلى ٥٠٠ شخص.[٦٧] وجدير بالذكر أيضًا، أن واشنطن حظرت مركز الأبحاث الإسرائيلي Toga Networks الذي استحوذت عليه شركة هواوي عام ٢٠١٢.[٦٨]

النقطة الجوهرية في قضية هواوي، أنها جاءت في إطار التنافس الأميركي الصيني على شبكات الاتصالات (الجيل الخامس والسادس وإنترنت الفضاء). قديمًا ووصولًا إلى الحرب الباردة، كان العامل الحاسم في فرض الهيمنة والصراع بين القوى عالميًا هو الجغرافيا، وتجلى ذلك في "نظرية ماكندر"، التي تقول إن من يسيطر على قلب العالم -آسيا الوسطى- يسيطر على جزيرة العالم -أوراسيا، ومن يسيطر على أوراسيا يسيطر على العالم.[٦٩] اليوم،

العامل الجوهري في الصراع على الهيمنة العالمية والسيطرة على الأرض هو الاتصالات.[٧٠]

في خضم هذا التنافس، تحافظ واشنطن على تفوقها التكنولوجي في العالم كونه مصلحة أساسية تتسع وتتدفق إلى جميع أبعاد قوتها الوطنية، العسكرية والاقتصادية والعلمية والسياسية. من هنا يُنظر إلى الصين على أنها تهديد كبير، لا سيما بالنظر إلى قدراتها المتقدمة في تطوير البنية التحتية للجيل الخامس ونشرها من خلال شركات الاتصالات الخاصة بها وخاصة هواوي، التي تعد بعض منتجاتها أكثر تقدمًا من تلك التي تمتلكها الولايات المتحدة حاليًا. وبالتالي، تعتبر الولايات المتحدة الصين تهديدًا مباشرًا لتفوقها التكنولوجي والاقتصادي، وتسعى جاهدة لتأخير وحتى منع الصين من أن تصبح رائدة عالمية في التقنيات التي تعتبرها الولايات المتحدة إستراتيجية من جهة، والضغط على حلفائها وعلى رأسهم إسرائيل لمقاطعة شركات الاتصالات الصينية من جهة أخرى. وترى واشنطن أن تعاون هواوي مع مختلف الدول يعرض تعاونهم الاستخباراتي والأمني مع الولايات المتحدة للخطر، لأنه يتيح ثغرة محتملة لوصول الصين إلى البنية التحتية والأسرار الأميركية.[٧١]

تعتبر هواوي المتهم الأول في استغلال البنية التحتية الإسرائيلية للتجسس، وبالتالي تهديد الأمن القومي الأميركي. استجابت إسرائيل لمطالب الولايات المتحدة في ملفات كثيرة وخاصة في مجال الاتصالات، حيث التزمت إسرائيل لأميركا بأنها ستستخدم التكنولوجيا الأميركية والحليفة، وليس التكنولوجيا الصينية، إلا أنه لا يوجد مؤشر عام حتى الآن على وفاء إسرائيل بمثل هذا الالتزام.[٧٢] ولغاية اليوم، لا تزال هواوي تعمل في إسرائيل وتمتلك أكبر مراكز التطوير والأبحاث الإسرائيلية في مجال الاتصالات Toga Networks و HexaTier.[٧٣]

أما الشركة الثانية التي استثمرت فيها إسرائيل على الرغم من الحظر الأميركي، فكانت شركة كوماك Comac لصناعة الطائرات التجارية. ففي ١٤ كانون الثاني عام ٢٠٢١، فرضت إدارة ترامب حظرًا على الاستثمار في تسع شركات صينية من ضمنها شركة كوماك لصناعة الطائرات التجارية المملوكة للدولة الصينية بدعوى ارتباطهما بعلاقات مع الجيش الصيني. وقال وزير الخارجية الأميركي آنذاك مايك بومبيو، "إن العقوبات كانت موجهة ضد أولئك المسؤولين والمتواطئين في البناء أو عسكرة البؤر الاستيطانية المتنازع عليها في بحر الصين الجنوبي".[٧٤]

بعد ما يقارب الثلاثة أشهر، وقعت الشركة الإسرائيلية ايربارك Airpark مذكرة تفاهم لمدة خمس سنوات لبناء منشأة صناعية لتصنيع الطائرات المدنية مع شركة كوماك المحظورة أميركيًا. وتأتي أهمية هذه الاتفاقية في أنها أولًا، ارتباط شركة ايربارك باتفاقيتين، الأولى مع وزارة الدفاع الإسرائيلية، إذ أعطت هذه الاتفاقية صلاحية لإيربارك بالوصول إلى القاعدة الجوية الإسرائيلية وتقديم المساعدة والخدمات والتعاون مع سلاح الجو الإسرائيلي في العمليات والبنية التحتية. والثانية مع شركة صناعات الفضاء الإسرائيلية، إذ تم توقيع اتفاقية عام ٢٠٢٠ مع AES Aviation وهي الشركة التي تمتلك ايربارك، للعمل معًا لتشكيل شركة مشتركة لتشغيل ايربارك.[٧٥] وبالتالي، تصبح شركة كوماك المملوكة للدولة الصينية قادرة على الوصول بشكل كبير إلى التكنولوجيا العسكرية الإسرائيلية في مجال السلاح الجوي والطيران والفضاء وهو ما يثير مخاوف واشنطن.

تأتي الأهمية الثانية لمذكرة التفاهم بين كوماك وايربارك في كونها تعارض الضغوطات الأميركية، حيث أشارت وزارة الدفاع الأميركية أن هذه الاتفاقية قد تضر بالعلاقات الإسرائيلية الأميركية.[٧٦] وعلى الرغم من أن وزارة الدفاع الإسرائيلية نشرت بيانًا قالت فيه أنه لا علم لها بالاتفاقية الموقعة مع شركة كوماك، فإنها أشارت إلى أن "هذا مشروع مدني بالكامل مرخص من قبل جميع الجهات ذات الصلة، وتجدر الإشارة إلى أن المشروع لم يبدأ بعد، وسيتم النظر في الادعاءات التي أثيرت".[٧٧]

وبالانتقال إلى الشركة الثالثة، أضافت إدارة ترامب في ١٤ كانون الثاني عام ٢٠٢١، شركة شاومي إلى القائمة السوداء معتبرة إياها جزءًا من الشركات العسكرية الصينية. ووفقًا لبيان وزارة الدفاع الأميركية فقد اعتبرت أنها تهدد الأمن القومي الأميركي، واتهمتها بتطوير إستراتيجيات لدمج القطاعات المدنية والعسكرية الصينية، وبالتالي تخدم

تماهت السياسة الخارجية الإسرائيلية في فترة الحرب الباردة مع الولايات المتحدة الأميركية، متخذة مواقف واضحة ومنحازة لواشنطن في الصراع مع السوفييت. اليوم، وفي ذروة التنافس الصيني الأميركي على بنية النظام الدولي، تحاول إسرائيل أن تمارس الحيادية في بعض القضايا التي تثيرها واشنطن ضد الصين، خاصة أنه تربطها مع بكين مصالح وعلاقات اقتصادية وبحثية ضخمة على عكس السوفييت.

أهداف تحديث جيش التحرير الشعبي الصيني من خلال ضمان وصوله إلى التقنيات المتقدمة والخبرات المكتسبة والمطورة من قبل الشركات والجامعات والبرامج البحثية في الصين والتي تبدو أنها كيانات مدنية.[٧٨] وعلى الرغم من أن واشنطن أزالت الحظر عن الشركة، فإن إسرائيل لم تستجب لمطالب الولايات المتحدة فترة الحظر واستمرت في إصدار تحديثات جديدة من الهواتف الخلوية.

٣. مبدأ الصين-الواحدة بين إسرائيل وواشنطن

تماهت السياسة الخارجية الإسرائيلية في فترة الحرب الباردة مع الولايات المتحدة الأميركية، متخذة مواقف واضحة ومنحازة لواشنطن في الصراع مع السوفييت. اليوم، وفي ذروة التنافس الصيني الأميركي على بنية النظام الدولي، تحاول إسرائيل أن تمارس الحيادية في بعض القضايا التي تثيرها واشنطن ضد الصين، خاصة أنه تربطها مع بكين مصالح وعلاقات اقتصادية وبحثية ضخمة على عكس السوفييت. وفي هذا السياق، نشر الباحث الإسرائيلي في معهد شالوم هارتمان والمختص في شؤون الشرق الأوسط واليهودية – والذي يوصف بكبير الكتاب في صحيفة الجيروسالم بوست- مقالًا في الصحيفة قال فيه: "يجب أن نتجنب شرارة المبارزة بين الولايات المتحدة والصين، على عكس الحرب الباردة السابقة، حيث كان على إسرائيل أن تشارك لأن موسكو سلحت أعداء إسرائيل واحتجزت يهود الاتحاد السوفييتي في أقفاص، فإن هذه الحرب الباردة ليست حربنا. لذلك يمكننا، وينبغي لنا، أن نبتعد عن نيرانها المتقاطعة. علاوة على ذلك، فإن ظل الصين على هذا الجزء من العالم يزداد كثافة كل يوم، في حين أن ظل العم سام – منذ خيانة باراك أوباما لحسني مبارك، والتراجع عن العراق والتخلي عن سورية – يتلاشى بشكل مطرد. وأضاف، يجب أن نتبع إرث بن غوريون، الذي قرر في العام ١٩٥٠ تجاهل احتجاجات أميركا واعترف بالصين الشيوعية. فقد رأى بن غوريون قبل معظم الآخرين مستقبل الصين من النجاح الاقتصادي والنفوذ العالمي ومعناها بالنسبة للدولة اليهودية. الآن هذا المستقبل هنا، وإرث بن غوريون الصيني يقرأ كإرادة دبلوماسية."[٧٩]

تعتبر السيادة الصينية من ضمن الملفات التي تقف فيها اسرائيل على الحياد أو تتحايل فيها على المطالب الأميركية. ومن المهم الإشارة هنا إلى أن هذا الجزء لا يناقش أحقية الصين في المناطق التي ترغب بالانفصال عنها من عدمه وهي (التبت، والإيغور، وتايوان)، بل يحاول إبراز الحياد الإسرائيلي أو التناقض في مواقف كل من إسرائيل وأميركا ورؤيتهما. وعلى عكس الولايات المتحدة الأميركية، فقد التزمت إسرائيل بموقفها الرسمي وعززته بسياسات فعلية تجاه مبدأ الصين الواحدة، ولا يوجد أي خطاب رسمي إسرائيلي يشير إلى دعم الانفصال في الصين. وفي أحدث تصريح لوزير الخارجية الإسرائيلي يائير لبيد في ٦ نيسان ٢٠٢٢ حول هذا الملف، قال "تعتبر إسرائيل الصين صديقة وتلتزم دائمًا بمبدأ الصين الواحدة منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية".[٨٠]

بداية، في قضية التبت، ترى واشنطن أن ما قامت به الصين عام ١٩٥٠ هو غزو وعدوان مستمر وانتهاك لحقوق الإنسان، وسرقة لحريات الشعوب وإعادة كتابة التاريخ بطريقة تهدد القيم الأميركية ومصالح الأمن القومي الأميركي.[٨١] وذهبت واشنطن لأبعد من ذلك عبر إصدارها قوانين تشريعية في ما يخص الملف التبتي، الأول وهو قانون الوصول المتبادل إلى التبت لعام ٢٠١٨ والذي دفع وزارة

الخارجية إلى حظر المسؤولين الصينيين من دخول الولايات المتحدة بسبب دورهم في إبقاء المواطنين الأميركيين بمن فيهم الصحافيون والدبلوماسيون خارج التبت. أما الثاني، فهو قانون الدعم والسياسة التبتية لعام ٢٠٢٠ لرفع الدعم الأميركي لشعب التبت، ونص على أن للدالاي لاما والمجتمع البوذي التبتي فقط الحق في اتخاذ قرار بشأن خلافته، مع تعهد الولايات المتحدة بمعاقبة أي مسؤول صيني يحاول التدخل في تلك العملية.[٨٢] إسرائيل، لم تتخذ أي موقف داعم لموقف واشنطن أو معارض له، بل التزمت الصمت حيال القضية، وعلق على ذلك رئيس الحكومة التبتية في المنفى لوبسانغ سانغاي خلال الزيارة الأولى لمسؤول تبتي إلى إسرائيل عام ٢٠١٨، قائلًا، "لقد تبنت واشنطن نهج الطريق الوسط لحل الأزمة التبتية، وأنا متأكد من أن إسرائيل يجب أن لا تواجه أي مشكلة في فعل الشيء نفسه. نحن لا تزعجنا إستراتيجية نتنياهو التي وضعت الصين كأولوية قصوى في سياستها الخارجية، ومن الجيد أن تكون لديك علاقات تجارية واقتصادية مع الصين، لكن في الوقت نفسه، ما نطلبه من إسرائيل هو أن تدافع عن القضايا الأخلاقية وحقوق الإنسان".[٨٣] واستخدم سانغاي العامل الديني لاستعطاف إسرائيل، قائلًا، "بالنسبة لنا نحن التبتين فإن حائط البراق هو قداسة الدالاي لاما، شخصيًا، بعد أن قرأت عن اليهود والمحرقة وإسرائيل، كان تحويل الحقائق والأرقام إلى مشاعر وعواطف، ليكون لها بصمة، أمرًا تعليميًا وملهمًا. وأنهى حواره بالقول، مثل اليهود، كان على التبتيين التخلي عن بلادهم والعيش في المنفى، ألفي عام والشعب اليهودي لم يستسلم أبدًا واستمروا في العودة، ونحن هنا". وكان موقف وزارة الخارجية الإسرائيلية من الزيارة رفض التعليق على القضايا المتعلقة بالصين والتبت.[٨٤]

وبالانتقال إلى أزمة الإيغور، وهي من أكثر القضايا تأثيرًا في الصراع الصيني الأميركي دوليًا، فقد امتنعت إسرائيل عن التوقيع على بيان التنديد بالسياسات الصينية في إقليم شينجيانغ الذي قدمته فرنسا ممثلة عن الدول الأوروبية وأميركا إلى الأمم المتحدة في آذار عام ٢٠٢١. وأشار مسؤول إسرائيلي آنذاك إلى "أنه وعلى الرغم من مخاوف إسرائيل من انتهاك حقوق الإنسان في الإقليم، ينبغي أن نوازن ذلك مع مصالحنا، فالصين دولة مهمة للغاية للاقتصاد الإسرائيلي".[٨٥] وبعد ثلاثة أشهر من البيان الفرنسي، شاركت إسرائيل بعد ضغط أميركي في التوقيع على بيان في مجلس حقوق الإنسان يدعو إلى حث الصين على السماح بوصول المراقبين الفوري وغير مقيد من أجل زيارة شينجيانغ. لكن إسرائيل لم تصدر تصريحًا عامًا تعلن فيه أو تشرح دعمها للبيان أو إدانة الصين في محاولة واضحة منها للابتعاد عن الأضواء وتجنب إغضاب بكين.[٨٦] وحتى على المستوى الشعبي الإسرائيلي، فقد أظهرت نتائج استطلاع رأي لمركز بيو للأبحاث أن ٥٧٪ أن الإسرائيليين غير قلقين من سجل حقوق الإنسان في الصين، وقالوا إنهم يدعمون تعزيز العلاقات الاقتصادية مع بكين حتى لو كان ذلك يعني تجاهل قضايا حقوق الإنسان، وهو رقم أعلى من الديمقراطيات الأخرى حول العالم التي كانت ضمن الاستطلاع.[٨٧]

وفي ما يتعلق بقضية تايوان التي تعتبر أيضًا مركز الصراع الصيني الأميركي في جنوب شرق آسيا، فكان موقف إسرائيل من تايوان معاكسًا للتوجه الأميركي تارة، ومحايدًا تارة أخرى. استخدمت تايوان الخطاب التبتي نفسه في استعطاف إسرائيل ومطالبتها باتخاذ موقف داعم للتايوانيين، حيث قالت ممثلة مكتب تايبيه الاقتصادي والثقافي في تل أبيب، يا بينغ (آبي) لي، "من المهم لجميع الديمقراطيات وبما فيها إسرائيل أن تقف معًا ضد تهديدات الأنظمة الإستبدادية، وسنترك الأمر للحكومة الإسرائيلية بشأن إصدار تعليق عام أو بيان رسمي يظهر الدعم الإسرائيلي لنا. وأضافت، إن كلًا من إسرائيل وتايوان "طلاب نجاة" يحتاجون إلى أداء واجبات منزلية جيدة في ما يتعلق بالتهديدات التي تجلبها لنا الدول غير الصديقة. وقصة إسرائيل "مثيرة للإعجاب للغاية"، وما تعلمته تايبيه من إسرائيل هو أنه "يجب ألا تنحني أبدًا للضغط ويجب أن تحتفظ بقدرات دفاعية قوية".[٨٨]

لم تستجب إسرئيل لمطالب تايوان، وسعت في المقابل إلى عدم استفزاز الصين عن طريق إصدار وزارة الخارجية في حزيران ٢٠٢٠، وثيقة رسمية لتحديد توجهات السياسة الخارجية لإسرائيل تجاه الأزمة التايوانية. وأشارت الوثيقة إلى السياسة

وزير النقل الإسرائيلي يسرائيل كاتس وعمال صينيون يدشنون مشروع القطار الخفيف في تل أبيب. (أرشيفية- رويترز)

المحيطة بالصين وتايوان، وطالبت جميع سفرائها حول العالم بعدم عقد لقاءات أو زيارات رسمية مع نظرائهم التايوانيين، والامتناع عن المشاركة في كل المناسبات الرسمية التي نظمها ممثلو تايوان.[٨٩] وفي خضم أزمة تايوان الأخيرة على إثر زيارة المتحدثة باسم مجلس النواب الأميركي نانسي بيلوس إلى تايوان، قال السفير الإسرائيلي السابق في الصين ماتان فيلناي، لا يجب على إسرائيل أن تتدخل، هذه ليست حربًا إسرائيلية، إنها جزء من العلاقة المعقدة بين الولايات المتحدة والصين، يجب أن نبقى بعيدًا قدر الإمكان".[٩٠] والتزمت اسرائيل الصمت حيال زيارة بيلوسي، فلا يوجد أي تصريح رسمي إسرائيلي على موقع وزارة الخارجية أو في الصحف الرسمية الإسرائيلية يدين أو يدعم زيارة بيلوسي إلى تايوان.

نشر أيهود أولمرت (أحد رؤساء وزراء إسرائيل السابقين) في العام ٢٠٢١ مقالًا في صحيفة الجيروساليم بوست بعنوان، "أميركا حليفنا، والصين ليست عدونا"، قال فيه "أعتقد أن مطالبة إسرائيل بتقييد علاقاتها المدنية مع الصين ووقف التعاون الاقتصادي والمشاريع الإستراتيجية التي بدأتها مع الشركات الصينية هو أمر مفرط غير مبرر. والخوف الذي عبر عنه البعض من احتمال أن يؤدي وجود الصين في حيفا إلى خطر إستراتيجي على إسرائيل لا أساس له من الصحة. وأضاف، عندما أسمع الأميركيين يتحدثون عن خوفهم من الصين، بدأت أشعر بالقلق من أن قوة الولايات المتحدة في الواقع أضعف بكثير مما كنا نعتقد، ولا سيما صورة قوتها. وأضاف، لا جدال في أن الشراكة الإستراتيجية بين إسرائيل والولايات المتحدة تشكل الأساس لأمن وجود دولة إسرائيل، ولكن، ستتوصل الولايات المتحدة إلى اتفاقية تجارية مع الصين تناسب مصالحها، ولست متأكدًا على الإطلاق من أن الفوائد الاقتصادية لإسرائيل التي يُتوقع أن تنجم عن مثل هذه الاتفاقية ستكون أولاً وقبل كل شيء في عقول الأميركيين".[٩١]

وفي السياق نفسه، أجرت الباحثة مقابلة مع الباحث في الشأن الإسرائيلي عزيز المصري، قال "التحايل الإسرائيلي هو نمط سائد في تعاملها مع الولايات المتحدة، ويوجد شعور إسرائيلي أن أميركا تضع مصالحها أولًا قبل المصالح الإسرائيلية. ووجدت إسرائيل في كثير من المحطات أن أميركا تفضل مصلحتها الأساسية حتى لو كانت هذه المصلحة تضر بإسرائيل، فبالتالي ترى الأخيرة بأنها يجب أيضًا أن تبحث عن مصلحتها وهذا ما يبرر إستراتيجيتها في التوجه نحو آسيا".[٩٢]

وأضاف المصري، في السياق التاريخي، إسرائيل مشروع أوروبي ولم تكن مشروعًا أميركيًا، لكن بعد الحرب العالمية الثانية تحولت إلى مشروع أميركي في المنطقة. وترى اليوم إسرائيل أنها في وضع غير

طبيعي، وبالتالي تجد نفسها مضطرة للذهاب للصين والهند أو أي قوة دولية ذات تأثير سياسي واقتصادي. وقال أيضًا: الصين كان لها موقف معاد لإسرائيل، وتغير الموقف الصيني يخدم إسرائيل وبالتالي لن تتخلى عنه. وأخيرًا، يرى المصري بأن إسرائيل غير قادرة على التخلي عن الحاضنة الأميركية، ولا حتى أميركا تستطيع التخلي عن إسرائيل، لكن في أي صراع دولي لا تتدخل إسرائيل في جانب طرف ضد آخر، فهي غير معنية بخسارة أي طرف، حتى بالأزمة الأوكرانية رغم الإنحياز الإسرائيلي الكامل لأوكرانيا فإنها محافظة على علاقة قوية مع روسيا، فقد تفاجأنا بزيارة نفتالي بينت إلى موسكو في خضم الأزمة.

خاتمة

سيكون الانتقال الإسرائيلي الرابع في تاريخ الالتحاق بالقوى العظمى الصاعدة، الصين من منظور "التحالف مع الأقوياء" في هذه الحالة، في غاية التعقيد. ويعود ذلك لأسباب عدة. أولًا، لا يشبه التحول إلى الصين حتى لو كان حذرًا وتدريجيًا الانتقال من بريطانيا إلى أميركا كما في السابق، فقد كانت لندن وواشنطن وما زالتا حليفتين في النظام الدولي، ولم تواجه الصهيونية صعوبات أو أزمات في نقل مركز ثقلها إلى واشنطن في القرن الماضي. أما في حالة الصين، فإنها دولة معادية ليس فقط للولايات المتحدة الأميركية، بل للغرب بشكل عام -منشأ الحركة الصهيونية-، وترفض هيمنته، وتعتبر أن هذا النظام نشأ في ظل غيابها عن الساحة الدولية. فبالتالي، التقارب الإسرائيلي الصيني هو لا يضر فقط بالولايات المتحدة، بل بالمنظومة الغربية ككل. ثانيًا، أن إسرائيل بشكل أو بآخر تعمل بمثابة القاعدة العسكرية الأضخم للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، لذلك، تعتبر أميركا أن التواجد المتزايد للصين في إسرائيل يشكل خطرًا كبيرًا على مصالحها في المنطقة وأمنها القومي. وفي هذا السياق، قال استاذ العلاقات الدولية في جامعة بيرزيت د. علي الجرباوي خلال مقابلة أجرتها الباحثة معه، "نعم إسرائيل تتحايل على الولايات المتحدة الأميركية في بعض القضايا، ولكن العلاقة بين الطرفين هي علاقة عضوية لا تستطيع إسرائيل في نهاية المطاف أن تتخلى عن التحالف الأميركي. وعندما يتعلق الأمر بالأمن القومي الأميركي فإن على إسرائيل أن تلتزم كما هو الحال بعدم نقل التقنية العسكرية الإسرائيلية إلى الصين. أما في الأمور الأخرى فهناك مساحة لإسرائيل أن تتصرف وفق مصالحها.[٩٣] ثالثًا، تدرك إسرائيل أن الدعم المالي والعسكري الذي تقدمه الولايات المتحدة، وكذلك الفيتو الأميركي في مجلس الأمن هي أشياء لن توفرها الصين على الأقل في الفترة الحالية ولا حتى في المستقبل القريب، لذلك سوف تكون خطواتها الانتقالية في غاية الحذر وحساباتها معقدة. وأخيرًا، ووفقًا لنظرية التحالف مع الأقوياء الإسرائيلية لا تزال الولايات المتحدة الأميركية هي الدولة الأقوى في النظام الدولي، وحسب تصنيفات القوة، فإن الصين دولة صاعدة لم تصل بعد إلى مستوى القوة الأميركية. ينطوي هذا الوضع الغامض على احتمالات عدة مثل تباطؤ أفول القوة الأميركية، أو تباطؤ صعود القوة الصينية، أو استرداد أميركا لموقعها واستدامة هيمنتها العالمية، وغيرها، وهي احتمالات تفرض على إسرائيل ضبط إيقاع اندفاعها نحو الصين. ويبدو أن إسرائيل في نهاية المطاف تتبنى سياسة توفير الجاهزية للانطلاق السريع مع أي احتمال يتحول إلى واقع، بحيث تكون في مقدمة المستفيدين من هذا الواقع الجديد.

وعلى الرغم من الاعتقاد السائد بأن إسرائيل لن تستطيع أن تتخطى الولايات المتحدة في علاقتها مع الصين، فإن هناك العديد من المؤشرات التي تقول إن إسرائيل تستجمع جاهزية إستراتيجية وتقوي علاقتها مع الصين بحيث تكون مستعدة لجميع الاحتمالات، سواء بالعودة للاقتراب أكثر من الولايات المتحدة في حال تعثر مشروع النهوض الصيني، أو بالقفز إلى قلب هذا المشروع وتخطي أميركا في حال نجاحه.

الهوامش

1 David Stuart Brown, ***Palmerston and the politics of foreign policy 1846-1855*** (London, University of Southampton, 1998), 29.

٢ أسعد عبد الرحمن، المنظمة الصهيونية العالمية ١٨٨٢-١٩٨٢ (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠)، ٣٩-٤٩

٣ انظر تفصيلات في هذه الموضوعات في

Mordechai Eliav 'German Interests and the Jewish Community in Nineteenth-Century Palestine,' in Moshe Ma'oz (ed.), Studies on Palestine during the Ottoman Period (Jerusalem: Magnes Press, the Hebrew University 1975), 423-41.

٤ المرجع السابق، ٧٠-٧١.

5 U.S. Department of State, ***Outline of U.S. History*** (Washington, Bureau of International Information Programs, 2011), 195.

٦ عبد الرحمن، المنظمة الصهيونية العالمية، ٧١-٧٢

7 ***Jwish Virtual Library: A Project of AICE***, "Zionist congress: The Biltimore Conference" (May 6-11, 1942), at: https://bit.ly/36qAFLK.

8 Michael B. Oren, "Israel and the United States: The Special Bond Between Two Nations and Two Peoples," ***Wall Street Journal*** (2008): 123.

٩ سهرة قاسم محمد حسين، الصعود الصيني وتأثيره على الهيمنة الأميركية في الشرق الأوسط (القاهرة، مكتبة جريدة الورد: ٢٠١٣)، ١١٤.

10 ***People's Daily Online***, "Feature: Holocaust exhibit illustrates national spirit of Chinese," 27th June 2022, https://bit.ly/3ahM4zy.

11 Yossi Melman and Ruth Sinai, "Israeli-Chinese Relations and Their Future Prospects: From Shadow to Sunlight," ***Asian Survey***, Vol. 27 (1987): 398.

12 Elad Benari, "Bennett: Chinese Don't Care About Occupation," ***Israel National News***, 12Th July 2013, https://bit.ly/3P0DRz7.

13 Benjamin Luxenberg, "Is China Israel's last, best hope?," The Jerusalem Post, 29th Jun 2015, https://bit.ly/3RiYtDI.

14 Benjamin Luxenberg, "Is China Israel's last, best hope?," The Jerusalem Post, 29th Jun 2015, https://bit.ly/3RiYtDI.

15 Mercy A. Kuo, "Israel's Pivot to Asia," ***The Diplomat***, 14th Sep 2016, https://bit.ly/3wCH5lE.

16 Yoram Evron, "Israel's Response to China's Rise: A Dependent State's Dilemma," ***Asian Survey*** (2016): 393.

17 Ibid, 403.

18 Kuo, "Israel's Pivot to Asia."

19 Evron, "Israel's Response to China's Rise," 393.

20 Ibid, 404.

21 ***Embassies Website***, "Israel Embassy and Consulates in China," https://bit.ly/3RaCDm4.

٢٢ على الرغم من وفاة أيزنبرغ في العام ١٩٩٧، إلا أن ورثته يمتلكون الآن ٥٢ شركة مختلفة في الصين، من بينها مجموعة شركات أيزنبرغ / يو.دي.آي. المحدودة - بكين ، الصين، التي تعتبر واحدة من أكبر الشركات الإسرائيلية من حيث كمية رأس المال المستثمر؛ كما تصادف أنها واحدة من أولى الشركات الإسرائيلية التي تم تأسيسها في الصين. لقراة المزيد أنظر إلى:

Islam Ayyadi & Mohammed Kamal, "China-Israel arms trade and co-operation: history and policy implication," ***Asian Affairs Journal***, 26th May 2016, https://bit.ly/3uGAiWP.

٢٣ والملفت للنظر هنا، أن رجال الأعمال اليهود في تاريخ الحركة الصهيونية كان لهم الدور الأكبر في تعزيز العلاقات بين اسرائيل والقوى العظمى الصاعدة، وأبرز مثال على ذلك، رجل الأعمال والمصرفي ليونيل دي روتشيلد الذي استطاع أن يحصل على وعد بلفور عام ١٩١٧ من بريطانيا الدولة العظمى آنذاك. وأيضًا، فكما فعلت في الولايات المتحدة الأميركية، كان لليهود المتواجدين في آسيا أو اليهود الآسيويين دور رئيس في تسهيل إقامة العلاقات الصينية الإسرائيلية. انظر إلى: سامي مسلم، "تطور العلاقات الصينية- الإسرائيلية،" **مركز مدار للدراسات الإسرائيلية**، المجلد ١٢، العدد ٤٨، ٣١ كانون الأول ٢٠١٢: ٤٣.

٢٤ محمود محارب، "العلاقات الإسرائيلية – الصينية بعد انتهاء الحرب الباردة،" **مجلة سياسات عربية**، عدد ٢٢، ٢٠١٦: ٦٠.

25 Yoram Evron, "The Economic of China-Israel Relations: Political, Implications, Roles, and Limitations," ***Israel Affairs*** (2017): 3.

26 Evron, "Israel's Response," 399.

27 Yiyi Chen, "China's Relationship with Israel, Opportunities and Challenges, Perspectives from China," ***Indian University Press*** (2016): 8.

٢٨ **مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات**، "بني غانتس من بكين: على الجيشين الإسرائيلي والصيني تطوير التعاون بينهما،" ٢٣ آيار ٢٠١٢، ١٢

29 Shira Efron, Howard J. Shatz, "The Evolving Israel-China Relationship," ***RAND Corporation*** (2019): 26-27.

30 Liang Jung, "China is strategic priority for Israel," ***people's Daily***, 4th Sep 2013, https://bit.ly/3qIfICU.

31 Evron, "Israel's Response," 405.

٣٢ سامي مسلم، "تطور العلاقات الصينية- الإسرائيلية، **مركز مدار للدراسات الإسرائيلية**، المجلد ١٢، العدد ٤٨، نشر بتاريخ: ٣١ كانون الأول ٢٠١٢، ٤٢

33 Evron, "The Economic of China-Israel Relations," 3.

٣٤ مسلم، تطور العلاقات الصينية -الإسرائيلية، ٤٣-٤٥.

35 Evron, "Israel's Response," 400.

36 Evron, "The Economic of China-Israel Relations," 7.

37 Mercy A. Kuo, "Israel's Pivot to Asia," ***The Diplomat***, 14th Sep 2016, at: https://bit.ly/3wCH5lE.

38 Evron, "The Economic of China-Israel Relations, 7.

٣٩ رفائيل أهرين، "نتنياهو يرافق أكبر بعثة تجارية حتى الآن إلى الصين،" **ذا تايمز أوف إسرائيل**، ١٦ آذار ٢٠١٧، https://bit.ly/3usn٩٣٧

٤٠ المرجع السابق.

٤١ رفائيل أهرين، "الصين قد تمنح إسرائيل إعفاء قتصاديًا خاصًا،" **ذا تايمز أوف إسرائيل**، ٢٢ آذار ٢٠١٧، https://bit.ly/٣NMΛkzΛ

٤٢ أسعد عبد الرحمن، المنظمة الصهيونية العالمية ١١٨٢-١٩٨٢ (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠)، ١٢٣

43 Efron, "The Evolving," 70.

44 Ibid, 40.

٤٥ **مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات**، "التقدير الإستراتيجي (١١٦): العلاقات الصينية الإسرائيلية وآفاقها،" تشرين الثاني ٢٠١٩، https://bit.ly/٣BhXtqY

46 Shannon Tiezzi, "Israel and China a 'Marriage Made in Heaven,' Says Netanyahu," ***The Diplomat***, 22nd March 2017, https://bit.ly/3bXc9oc.

47 Ibid.

48 Joshua Mitnick, "Why the U.S. Can't Get Israel to Break Up with China," ***Foreign Policy***, 16th Jun 2020, https://bit.ly/3ReR8VU.

٤٩ ***NetieNews***، " الصين مع إسرائيل تخضع للاختبار في غزة ولكن ليس

71 Doron Ella, Hiddai Segev, "My Way or the Huawei? The United States-China Race for 5G Dominance," ***INSS*** 1193 (2019): 2.

72 Yonah Jeremy Bob, "Where is Israel in US-China quantum supremacy race?," ***The Jerusalem Post***, 1st July 2021, https://bit.ly/3dgvJg8.

73 Ella, "My Way," 3.

74 Elizbita Visnevskyte, "Trump adds COMAC to US investment blacklist," ***Aviation News***, 15th Jan 2021, https://bit.ly/3TZBM9k.

75 ***Jerusalem Post***, "Israeli firm signed MOU with blacklist Chinese company without telling DM," 1st April 2021, https://bit.ly/3RAxnHN

76 Yaniv Kubovich, "Israeli Firm Working on Sensitive Project Signed MOU With Chinese State-owned Company Without Government's Knowledge," ***HAARETZ***, 30th Mar 2021, https://bit.ly/3QvoGha.

77 Jerusalem Post, "Israeli firm."

78 Arjun Kharpal, "Xiaomi shares fall 10% as U.S. adds smartphone-maker to 'blacklist'," ***CNBC***, 14th Jan 2021, https://cnb.cx/3B2uOYw.

79 Amotz Asa-el, "Cold War with China does not involve Israel – best keep it that way," ***The Jerusalem Post***, 23rd July 2020, https://bit.ly/3RArLgF.

80 ***Ministry of Foreign Affairs of the People's Republic of China***, "Wang Yi Speaks with Israel's Alternate Prime Minister and Foreign Minister Yair Lapid on the Phone," 7th April 2022, https://bit.ly/3BIQVVl.

81 Prakash Nanda, "US Corners 'Belligerent Beijing' On Tibet Issue; Introduces New Legislation To Settle China-Tibet Conflict," ***The Eurasian Times***, 15th July 2022, https://bit.ly/3BHjkv3.

82 ***International Campaign for Tibet***, "New bill says Tibet conflict unresolved, China violating Tibetans' self-determination activism," 13th July 2022, https://bit.ly/3qC2M1l, 3.

83 ***Central Tibetan Administration***, "In 1st Israel visit, a Tibetan leader quietly seeks support, hails Jews' return," 25th Jun 2018, https://bit.ly/3RLBMs3.

84 Ibid.

٨٥ جيكوب ماغيد، " في محاولة لاسترضاء الصين، إسرائيل تمتنع عن التوقيع على بيان الأمم المتحدة بشأن الأقلية المسلمة من الأويغور،" **ذا تايمز أوف إسرائيل**، ١ تشرين الثاني ٢٠٢١.

86 ***The Times of Israel***, "In rare move, apparently under US pressure, Israel votes to condemn China abuses," 23rd June 2021, https://bit.ly/3DsCF4g.

87 Ben Samuels, "Israelis Not Concerned by China's Human Rights Record, Survey Finds," ***HAARETZ***, 29th Jun 2022, https://bit.ly/3qdnkNd.

88 Herb Keinon, "Taiwan, US, China - what is Israel's position? – analysis," ***The Jerusalem Post***, 4th Aug 2022, https://bit.ly/3DtDqu3.

89 Tobias Siegal, "Israeli diplomats told not to meet Taiwan officials to avoid angering China – report," ***The Times of Israel***, 24th May 2022, https://bit.ly/3QUqH6U.

90 Keinon, "Taiwan, US, China."

91 Ehud Olmert, "The US is our ally, China is not our enemy – opinion," ***The Jerusalem Post***, 2nd Sep 2021, https://bit.ly/3qdcC9C.

٩٢ عزيز المصري، مقابلة خاصة عبر زووم، ٨ أيلول ٢٠٢٢.

٩٣ علي الجرباوي، مقابلة خاصة عبر الزوم، ٨ أيلول ٢٠٢٢.

بشكل مؤلم، أخبار الأعمال والاقتصاد" ٧ حزيران ٢٠٢١، https://bit.ly/٣ahBTLo.

50 Eleonora Cosmelli, "Israel and Obama Administration," ***LUISS Guido Carli*** (2014-2015): 18-19.

51 Steven R. David, "Biden, Israel, and China: Making a Difficult Threesome Work," ***The Jerusalem institute for Strategy and Security***, 18th May 2022, https://bit.ly/3TERWoq.

52 Avery Goldstein, "China's Grand Strategy under Xi Jinping: Reassurance, Reform, and Resistance," ***International Security*** Vol. 45, No. 1 (2020): 164.

53 Martin A. Weiss, "Asian Infrastructure Investment Bank (AIIB)," ***Congressional Research Service*** (2017): 1.

54 Lord Jopling, "China and the Global Liberal Order," ***NATO Parliamentary Assembly*** (2020): 1.

55 Assadollah Athari and Ehsan Ejazi, "The Belt and Road Initiative in the shadow of competition between China and the US," ***Belt & Road Initiative Quarterly***, 2020, https://bit.ly/3TXbeFL.

56 George N. Tzogopoulos, "Greece, Israel, and China's "Belt and Road" Initiative," ***Mideast Security and Policy Studies*** 139 (2017): 22-23.

57 ***PortsEurope***, "China's Pan Mediterranean Engineering Company wins Ashdod port contract," 19th Feb 2020, https://bit.ly/3eH8BHK.

58 ***The Jerusalem Post***, "Israel must stay out of the US-China struggle – editorial," 26th June 2021, https://bit.ly/3CTdibL.

59 Tzogopoulos, "Greece, Israel, and China's," 23-34.

60 Gal Luft, "US Strategy toward China's Belt and Road Initiative," ***Atlantic Council Strategy*** 11 (2017): 11.

61 ***REUTERS***, "Israel applies to join China-backed AIIB investment bank," 1st April 2015, https://reut.rs/3eEtlzU.

62 ***Israeli Government services and information, Ministry of Finance***, "AIIB – Asian Infrastructure Investment Bank," 18th Aug 2021, https://bit.ly/3RWtRYJ.

63 ***CHINADAILY.com.cn***, "Israel welcomes founding membership of China-proposed AIIB," 16th April 2015, https://bit.ly/3QBXsp4.

64 Niv Elis, "Knesset panel okays Israel becoming member of Asian Development Bank," ***The Jerusalem Post***, 11st Jan 2016, https://bit.ly/3qnQc5H.

65 Md SAJJAD Hosain, "Huawei ban in the US: Projected consequences for international trade," ***International Journal of Commerce and Economics*** 1 (2019): 22.

66 Omer Kabir, "Huawei Temporarily Suspends Israeli Employees with U.S. Citizenship," ***CTECH***, 22nd May 2019, https://bit.ly/2wuaVJb.

67 Ofir Dor, "Huawei paying top dollar for Israeli engineers," ***GLOBES: Israel business news***, 8th Aug 2022, https://bit.ly/3Lfostp.

68 ***National Archives: The Dily Journal of The United States Government***, "Addition of Huawei Non-U.S. Affiliates to the Entity List, the Removal of Temporary General License, and Amendments to General Prohibition Three (Foreign-Produced Direct Product Rule)," 20th Aug 2020, https://bit.ly/3eONK5B.

69 A. Tsygankov, "The Heartland Theory and the Present-Day Geopolitical Structure of Central Eurasia," ***SEMANTIC SCHOLAR*** (2010): 84-85.

٧٠ ايهاب خليفة، "الاتصالات فائقة السرعة: التوسع في بناء شبكات الجيل الخامس وإنترنت الفضاء،" **دورية اتجاهات الأحداث**، عدد ٣٣ (٢٠٢١): ٢

ماجد كيالي *

نظرة إلى سياسات الفاعلين في الإقليم الشرق أوسطي: إسرائيل وإيران وتركيا

ثمة ثلاث دول قوية إقليمياً وفاعلة، أو مؤثرة، في مجمل التطورات السياسية والاقتصادية والعسكرية في الشرق الأوسط، وهي: إسرائيل، وإيران، وتركيا. وفوق ذلك فهذه القوى تتنازع، أو تتنافس، في السيطرة على المجال الشرق أوسطي، بكافة الوسائل، الناعمة والخشنة. ثمة ست ملاحظات هنا، حول مكانة الفاعلين الإقليميين في الشرق الأوسط وأدوارهم، يمكن تلخيصها في الآتي:

أولاً، تمييز مكانة إيران وتركيا كطرفين أصيلين في المنطقة، بالمعنى التاريخي كدولة ومجتمع وثقافة، في حين نشأت إسرائيل حديثاً (١٩٤٨) كدولة استيطانية، في علاقة ضدية مع أصحاب الأرض الأصليين، وقد حكمتها، منذ إقامتها، علاقات عدائية مع محيطها (بغض النظر عن اتفاقات «السلام» الحديثة). ثانياً، أن القوى المذكورة تتنافس، أو تتصارع، في ظل غياب أو ضعف النظام العربي، وفي ظل ضعف إدراكاته لنفسه، ومصالحه، مع تشتته، واختلاف خيارات وسياسات الوحدات المفترض أنه يتشكّل منها. ثالثاً، تفاوت العلاقة بين تلك الأطراف الإقليمية، فبينما هي علاقة تنافسية بين تركيا وإيران، تبدو عدائية بين إيران وإسرائيل، في حين هي مضطربة بين تركيا وإسرائيل. رابعاً، إن معظم التفاعلات الإقليمية تشتغل ضمن هامش، أو تحت سقف، سياسات وتفاعلات وخيارات القطبين المهيمنين (الولايات المتحدة وروسيا)، ما يفترض وضعها في حدودها، أو في إطارها الصحيح، كجزء من

* كاتب وباحث سياسي.

بالنتيجة، فإنه منذ عهد إدارة بوش الابن، مروراً بعهدي أوباما وترامب، وصولاً إلى عهد الرئيس الحالي جو بايدن (على ما شهدنا في مخرجات قمة جدة في تموز 2022، التي ظهر فيها نوع من التمرد العربي على السياسة الأميركية)، فقد ازدادت الهوة بين السياسة الأميركية، إزاء الشرق الأوسط، ومعظم حكومات الدول العربية (الصديقة لها)، بسبب تحفظ الأخيرة على فرض الولايات المتحدة سياساتها بطريقة أحادية، وبوسائل القوة، لتغيير هيكلية الأنظمة العربية.

اللوحة العامة، التي يتحكم بها القطبان الكبيران المهيمنان، من دون أن يطمس ذلك محاولات كل طرف في الإقليم (إسرائيل، وإيران، وتركيا)، توسيع هامشه، أو تعزيز مكانته، أو فرض أولوياته. خامساً، تتموضع الولايات المتحدة الأميركية باعتبارها القوة الدولية الأكثر هيمنة، والأكثر تحكماً بالتطورات الحاصلة في الشرق الأوسط، سواء مباشرة، أو عبر مداخلاتها، وشكل تفاعلها، مع الأطراف الإقليمية الفاعلة في المنطقة، بغض النظر عن شكل ذلك التفاعل، وهذا يشمل إسرائيل، وإيران، وتركيا. سادساً، إن المشكلات البينية والنزاعات الداخلية في العالم العربي تسهل تدخلات القوى الإقليمية والدولية في هذه المنطقة، بادعاءات مختلفة، أهمها الصراع العربي ـ الإسرائيلي، ومكافحة الإرهاب، والدفاع عن حقوق الإنسان وحماية الأقليات، وتأهيل المنظومات السياسية والاقتصادية.

وللمفارقة فإن منطقة «الشرق الأوسط»، مع أهميتها الاستراتيجية، تكاد تكون، أيضاً، أكثر منطقة تعيش حالة من الاضطراب، وعدم الاستقرار، وربما التصدّع، بين مناطق العالم؛ إذا أخذنا في الاعتبار أن مجتمعاتها تشكل، في أغلب الأحوال، نسيجاً قومياً واحداً، وترتبط في ما بينها بروابط الثقافة والتاريخ والدين. ويمكن أن نضيف إلى كل ذلك أن تلك المنطقة هي الأكثر انكشافاً إزاء المداخلات الخارجية، أيضاً، سيما مع افتقاد الدول فيها، للشرعية التمثيلية ولمكانة المواطنة، التي تجعل من الناس مواطنين حقاً. ويعتقد غسان سلامة بأن «محنة العرب تتمثّل في الإشكالية القائمة على تواجدهم في موقع حساس بمعطياته الجغرافية والاقتصادية والدينية، ومن جانب آخر، على تواضع عناصر القوة التي بحوزتهم، للدفاع عن ذلك الموقع ولتعظيم الفوائد منه».

تصدعات الإقليم

بداية، لعل أهم ما يجدر لفت الانتباه إليه هنا هو أن تموضع الشرق الأوسط على رأس أجندة الفاعلين الدوليين والإقليميين، بخاصة الولايات المتحدة الأميركية، ظهر عملياً بعد هيمنتها كقطب أوحد على النظام الدولي، في مطلع التسعينيات، بعيد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق، وحرب الخليج الثانية (١٩٩٠ ـ ١٩٩١)؛ وأكثر من أي وقت مضى.

وقد استند اهتمام الولايات المتحدة بالشرق الأوسط على حدثين مؤسسين، الأول، إطلاق مشروع عملية سلمية بين الفلسطينيين وإسرائيل من مؤتمر مدريد (١٩٩١)، الذي توازى مع إطلاق مشروع «الشرق الأوسط الجديد» لتطبيع وجود إسرائيل كجزء من المنطقة. وانطلق المشروعان برعاية الولايات المتحدة الأميركية ودعمها. أما الحدث الثاني فقد نجم عن الهجوم الإرهابي في نيويورك وواشنطن يوم ١١ أيلول ٢٠٠١، وما نجم عنه من تداعيات الحرب الدولية ضد «الإرهاب»، وأهمها غزو الولايات المتحدة العراق (٢٠٠٣)، وإسقاط النظام فيه.

يمكن التعرّف على أهمية الحدث الثاني، بتأثيراته، من خلال تنظيرات تيار ما يعرف بـ «المحافظين الجدد»، في الولايات المتحدة الأميركية، مع موقعهم المتنفذ في إدارة بوش (الابن)، آنذاك، والتي استطاعوا عبرها إدخال تغييرات على السياسة الأميركية إزاء العالم العربي. ومثلاً، يقول الصحافي الأميركي تشارلز كروتهايمر: «الحرب في العراق هي لتغيير الصفقة التي عقدتها أميركا مع العالم العربي قبل عشرات السنين... التي قالت - أنتم ترسلون لنا النفط ونحن لا نتدخل في شؤونكم الداخلية...هذه الصفقة انتهى مفعولها عملياً في أيلول ٢٠٠١. أصبح الأميركيون يدركون أنهم إذا ما تركوا العالم العربي يسير في دروبه السيئة -

طفل سوري يرفع العلم الإيراني على آلية إيرانية في دير الزور في العام ٢٠١٧. (وكالات / أرشيفية)

القمع والاضطهاد والتدمير الاقتصادي وزرع اليأس - فسيواصل تنمية المزيد من «الأُسامات»... توصلت أمريكا إلى الاستنتاج بأن عليها الاضطلاع بتنفيذ مشروع إعادة بناء العالم العربي من جديد. الحرب في العراق هي بداية تجربة ما تم تنفيذه في ألمانيا واليابان... الوجود الأميركي في العراق سيبثّ قوة في المنطقة. وسيسرّع وتائر التغيير». أما بيل كريستول فعنده أن حرب العراق «هي حرب من أجل صياغة شرق أوسط جديد. حرب ترمي إلى تغيير الثقافة السياسية في المنطقة بأكملها. المشكلة مع الشرق الأوسط هي انعدام الديمقراطية وانعدام الحرية».

وعموماً، فقد نجم عن هذين الحدثين المؤسسين، عديد من التفاعلات والتداعيات الأخرى، ضمنها:

١) تحول الإدارات الأميركية من إستراتيجية الحفاظ على واقع النظام العربي الرسمي، إلى إستراتيجية تغيير هذا النظام، بدعوى الإصلاح و«نشر الديمقراطية»، وإعادة هيكلة النظام الإقليمي.

٢) السعي لدمج إسرائيل في العالم العربي، من منطلق التسوية، أو من مدخل العلاقات الاقتصادية وعلاقات الاعتماد المتبادل، كما بحكم التقاطع في مواجهة نفوذ إيران، كما يحصل في هذه المرحلة.

٣) تزايد عدوانية إسرائيل إزاء الفلسطينيين، بحكم التغيرات الحاصلة، ما ترجم في تملصها من استحقاقات عملية التسوية معهم، وفقاً لاتفاق أوسلو (١٩٩٣)، وسعيها لتعزيز مكانتها وهيمنتها على حياتهم (مباشرة في الضفة الغربية وعبر الحصار وشنها الحروب في غزة)، وبشرعنتها تكريس وضعها كدولة يهودية.

٤) صعود نفوذ إيران في بلدان المشرق العربي واليمن، منذ إسقاط نظام صدام حسين بفعل الغزو الأميركي (٢٠٠٣)، وتحديها للنفوذ الأميركي فيه، بشكل غير مسبوق، إذا استثنينا مرحلة وجود الاتحاد السوفييتي (السابق)، وتزايد هذا الدور بعد دخولها على خط الصراع الدائر في سورية دفاعاً عن النظام منذ ما بعد العام ٢٠١١.

٥) تنامي دور الفاعلين اللادولتين في تقرير الشأن السياسي في بعض البلدان العربية، مثلاً، لبنان (حزب الله)، والقوى السياسية الإسلامية الميليشياوية في العراق، ومعظمها محسوبة كأذرع إقليمية لإيران، ومدعومة منها، أيضاً هذا يشمل الفصائل الإسلامية المسلحة في سورية المدعومة من تركيا، إضافة إلى سعي إيران مد تأثيرها في فلسطين من خلال دعمها لحركتي حماس والجهاد الإسلامي.

في الواقع فإن السياسات التي انتهجتها إيران أسهمت في تقويض صورتها وانحسار نفوذها في المجتمعات العربية، أولاً، لانكشافها كدولة دينية وحيدة في المنطقة تحتكم لنظام "الولي الفقيه". وثانياً، بحكم طابعها الطائفي، وسعيها شق وحدة مجتمعات المشرق العربي على أسس مذهبية، وهو الأمر الذي أخفقت فيه إسرائيل، منذ قيامها قبل سبعة عقود.

٦) اضطراب النظام العربي وسلبيته، وتشتّت مواقفه، إزاء رؤيته مصالحه، وإزاء الموقف من الفاعلين الإقليميين الآخرين، وتدخلاتهم في المنطقة العربية، وهذا ينطبق على إسرائيل وإيران وتركيا.

وبحسب غاي بخور (محلل إسرائيلي) فإن «سياسة الرئيس بوش (الابن) لدفع المعتدلين في المنطقة نحو الديمقراطية...أحدثت فراغاً كبيراً خطيراً، جراء تورط الولايات المتحدة في العراق، وضعف صورة إسرائيل الردعية وجراء تراجع النظم المعتدلة، بسبب تهديد الديمقراطية لهم. دخل في هذا الفراغ، لمزيد الأسف، القوات الهامشية في الشرق الأوسط - إيران وأحمدي نجاد، وحزب الله، وحماس والأصولية الإسلامية... حان الوقت لنملأ هذا الفراغ بنظام أكثر ايجابية واستقراراً».

بالنتيجة فإنه منذ عهد إدارة بوش الابن، مروراً بعهدي أوباما وترامب، وصولاً إلى عهد الرئيس الحالي جو بايدن (على ما شهدنا في مخرجات قمة جدة في تموز ٢٠٢٢، التي ظهر فيها نوع من التمرد العربي على السياسة الأميركية)، فقد ازدادت الهوة بين السياسة الأميركية، إزاء الشرق الأوسط، ومعظم حكومات الدول العربية (الصديقة لها)، بسبب تحفظها على تلك السياسات، وضمنها سعي الولايات المتحدة فرض سياساتها بطريقة أحادية، وبوسائل القوة، لتغيير هيكلية الأنظمة العربية، ومن دون إيلاء أهمية مناسبة لحل الصراع العربي ـ الإسرائيلي، ومع التساهل الأميركي مع تنامي قوة إيران في المنطقة.

كان هذا المدخل لا بد منه كتمهيد لنقاش مكانة كل طرف من القوى الإقليمية الفاعلة في الشرق الأوسط (إيران، وتركيا، وإسرائيل)، بأدوارها، وتفاعلاتها، المختلفة، في الصراع على الشرق الأوسط.

صعود دور إيران

باتت إيران تحتل المكانة الأكثر تأثيراً في تفاعلات الشرق الأوسط، ربما بما لا يقل عن إسرائيل، إذ يشمل تأثيرها المباشر، والعملي، عديداً من البلدان العربية، والمشكلة أنها باتت تبدو كفاعل داخلي في تلك البلدان، في حين تبقى إسرائيل بمثابة فاعل خارجي، مهما بلغ تأثيرها.

وكانت جمهورية إيران الإسلامية انشغلت، منذ نشوئها (١٩٧٩) بتعزيز نفوذها في المشرق العربي، أولاً، من مداخل القضية الفلسطينية ومقاومة إسرائيل ومناهضة الولايات المتحدة الأميركية. وثانياً، من مدخل اعتمادها وتنميتها العصبية الطائفية/ المذهبية (الشيعية) في المجتمعات العربية. وثالثاً، من خلال تخليق قوى حزبية وميليشيات عسكرية وشبكات خدمية موالية لها. ورابعاً، من خلال محاولتها إقامة تحالفات وثيقة مع بعض الأنظمة العربية، سيما سورية والعراق واليمن. وخامساً، من خلال ابتزاز الأنظمة العربية، والتشكيك بمواقفها وخلق المتاعب لها؛ وقد استندت في كل ذلك على قدراتها المالية والعسكرية، ونفوذها الطائفي والأيديولوجي (الديني)، وعلى التناقضات الدولية والعربية.

وطوال العقدين الماضيين، أي منذ سقوط نظام صدام حسين (٢٠٠٣)، بدا وكأن إيران (في ظل نظام «الولي الفقيه») باتت ترى في ذاتها بمثابة «قوة عظمى»، إلى درجة أن بعض قياديين فيها، بلغ بهم الأمر حد التهديد بإغلاق الخليج العربي، وضرب المصالح الأميركية في الدول الخليجية. كما بات ثمة مسؤولون إيرانيون يعتقدون، بل ويصرّحون، بأن بلدهم أضحى يسيطر على عواصم عدة دول عربية من بغداد إلى بيروت ودمشق وصنعاء، بالاستناد إلى نفوذ دولتهم وميليشياتهم في تلك الدول، بل إن الرئيس

الإيراني الأسبق تحدث في عديد من تصريحات له عن زوال إسرائيل.

لكن إيران، وعلى الرغم من ادعاءاتها تلك، كانت في واقع الأمر تتعامل بطريقة عملية، أو براغماتية، تخدم مصالحها، وهو ما تكشّف في تواطؤها، غير المباشر، مع الغزو الأميركي لأفغانستان والعراق (٢٠٠٢ و٢٠٠٣)، الذي فتح لها أبواب المشرق العربي، بتسهيل أميركي، كما حصل ذلك بتشجيعها إبرام صفقة تدمير «الكيماوي» السوري (٢٠١٣)، وعقدها الصفقة المتعلقة ببرنامجها النووي (٢٠١٥)، في ظل إدارة الرئيس باراك أوباما، مع سعيها لتطبيع علاقاتها مع الولايات المتحدة؛ التي كان يطيب لها إطلاق اسم «الشيطان الأكبر» عليها.

ثمة أربع مراحل، أو معطيات، يمكن تمييزها في تطور مكانة إيران، ودورها، في المنطقة العربية، الأولى، تمت بعيد الغزو الأميركي للعراق وتسليمه لإيران، على طبق من فضة، من خلال تمكين الميليشيات الطائفية المسلحة التابعة لها من التحكم بهذا البلد، وبموارده، بعد حل جهاز الدولة والجيش وأجهزة الأمن، وصوغ دستور له على أساس المحاصصة الطائفية، على قياس القوى المهيمنة. والثانية، تمت بعد انكشاف دور إيران في تدعيم مكانة حزب الله في لبنان، كقوة طائفية مسلحة، إبان الحرب التي شنتها إسرائيل على لبنان (٢٠٠٦)، إذ بات هذا البلد بعدها خاضعاً لهيمنة هذا الحزب، وبالتالي للإملاءات المتأتية من نظام طهران، تحت غطاء قضية فلسطين، والمقاومة، المتوقفة أصلاً منذ العام ٢٠٠٠؛ باستثناء لحظة الحرب المدمرة تلك، التي أتت بعد خطف جنديين إسرائيليين، والتي اعتذر عنها بعد ذلك الأمين العام لحزب الله. وبحسب بن كسبيت فقد «حوّلت هذه الحرب قوة إيران لمكانة قوة عظمى في المنطقة، وإلى تنافس يدفع بالولايات المتحدة إلى خارج الشرق الأوسط، ويهدد بإسقاط الأنظمة المعتدلة المؤيدة للغرب». الثالثة، ظهرت بعد تدخل إيران في سورية، للحفاظ على نظام الأسد بعد العام ٢٠١١، من خلال قوات الحرس الثوري الإيراني، والميليشيات العراقية واللبنانية والأفغانية التابعة له، بحيث أضحت إيران قوة مهيمنة في سورية، وفي عموم المشرق العربي، إذ بات مجالها من إيران إلى لبنان، مروراً بالعراق وسورية، زد على ذلك اليمن الذي باتت فيه إيران، من خلال الحوثيين، قوة فاعلة، وضاغطة على الدول الخليجية. أما الرابعة، فهي تكمن في محاولة إيران تعزيز عناصر قوتها العسكرية، من خلال مشروعها النووي، ومن خلال ترسانتها الصاروخية، الأمر الذي خلق لها مشكلات كبيرة، على الصعيدين الدولي والإقليمي، سيما مع الولايات المتحدة وإسرائيل.

المعنى من كل ذلك أن فاعلية النظام الإيراني، وتأثيراته، باتت تنبع من تزايد نفوذه في الشرق الأوسط (واليمن)، ومن سعيه إلى الاستحواذ على قوة نووية، ومن سعيه إلى تملك ترسانة صاروخية، ومن استهدافه إسرائيل، وضمن ذلك محاولاته الدؤوبة امتطاء، أو توظيف، مركب «المقاومة والممانعة»، ومد نفوذه إلى غزة، عبر حركتي الجهاد الإسلامي وحماس، سيما في ظل هيمنة حركة حماس على قطاع غزة.

ويمكن تفسير، وتسهيل، صعود نفوذ إيران في الشرق الأوسط، بعوامل عديدة، ضمنها: تعثر السياسات الأميركية في تلك المنطقة، خصوصاً في العراق وفلسطين، واستمرار مفاعيل الصراع العربي ـ الإسرائيلي، حيث تسعى إيران إلى فرض نفسها كلاعب إقليمي من خلال معاداة إسرائيل ودعم منظمات المقاومة المسلحة، ويأتي ضمن ذلك بالطبع تفكك النظام العربي، وضعف بنى الدولة العربية، وغياب مفهوم المواطن ومكانته، إذ كل تلك العوامل سهلت لإيران النفاذ إلى العالم العربي، ولا سيما دول المشرق العربي واليمن، من خلال اللعب على الوتر الطائفي/المذهبي. إضافة إلى ما تقدم فإن إيران تتمتع بعوامل قوة، في معادلات الصراع على الشرق الأوسط، فهي دولة كبيرة، وقوية، بمساحتها وعدد سكانها وإمكانياتها الاقتصادية والنفطية، وهي تمتلك امتداداً حيوياً (طائفياً) من العراق والخليج إلى أفغانستان والجمهوريات الإسلامية المنسلخة عن الاتحاد السوفييتي (السابق)، وصولاً إلى تركيا وسورية.

ويلفت الانتباه أن ثمة محللين أميركيين وإسرائيليين أبدوا، بشكل مبكر، خشيتهم على النظام الرسمي العربي السائد من خطر النفوذ الإيراني، فهذا كينيث بولاك، مدير دائرة الأبحاث في مركز «سابان» التابع لمؤسسة بروكينغز، والمسؤول السابق عن منطقة الخليج في مجلس الأمن القومي الأميركي، يرى بأن: «أميركا تواجه تحديات أكثر خطراً من أي وقت مضى...تهديد إيران النووي، وقدرة طهران على زعزعة أمن العراق ودول مجلس التعاون الخليجي، فضلاً عن قدرتها على تهديد إمدادات النفط الخليجي، وتحريك

حلفائهـا الإقليميـين، بمـن فيهـم سـورية وتنظيـم «حـزب اللـه» في لبنـان.». ويلخّـص بـن كاسـبيت (محلـل إسرائيـلي) هـذا الوضـع بقولـه: «إيـران تسـتولي عـلى العـراق، وتديـر لبنان...وتخيـف دول الخليـج، وتهـدد أنظمـة الأردن ومـصر...في الوقـت الـذي يُحـشر فيـه الأميركيـون في الزاوية، ومسـيرتهم الديمقراطيـة تتحطـم، فـان إيـران تجمـع نتائـج وقـوة كبيرة...حـزب اللـه في طريقـه للسـيطرة عـلى لبنـان، وحمـاس في طريقهـا للسـيطرة عـلى السـلطة، وجيـش المهـدي في طريقـه للاسـتيلاء عـلى العراق...لذلـك، عـادت ونهضـت مـن جديـد المبـادرة السـعودية». ولاحـظ زلمـان شـوفال (سـفير إسرائيـل الأسـبق في واشـنطن) تغـيرات في السياسـة الأميركيـة، إذ بـات لهـا «غايتـان رئيسـتان متوازيتـان: أن تُجنـد تأييـد الـدول العربيـة «المعتدلـة» وعـلى رأسـها السـعودية مـن أجـل التهدئـة في العـراق، وأن تمنـع السـيطرة الشـيعية والإيرانيـة عـلى الـشرق الأوسـط ونفطـه».

وفي الواقـع فـإن السياسـات التـي انتهجتهـا إيـران أسـهمت في تقويـض صورتهـا وانحسـار نفوذهـا في المجتمعـات العربيـة، أولاً، لانكشـافها كدولـة دينيـة وحيـدة في المنطقـة تحتكـم لنظـام «الـولي الفقيـه». وثانيـاً، بحكـم طابعهـا الطائفـي، وسـعيها شـق وحـدة مجتمعـات المـشرق العربـي عـلى أسـس مذهبيـة، وهـو الأمـر الـذي أخفقـت فيـه إسرائيـل، منـذ قيامهـا قبـل سـبعة عقـود. وثالثـاً، بحكـم هيمنتهـا عـلى العـراق، وتدعيمهـا مكانـة القـوى الميليشـياوية الطائفيـة ـ المذهبيـة الموالية لهـا. ورابعـاً، بسـبب مشـاركتها في قتـال السـوريين، دفاعـاً عـن نظـام الأسـد، وجلبهـا الميليشـيات العراقيـة واللبنانيـة والأفغانيـة الموالية لهـا إلى سـورية للغـرض نفسـه. وخامسـاً، لدعمهـا الانقـلاب الحوثـي في اليمـن وتقديمهـا الدعـم لهم. وسادسـاً، بسـبب مخاصمتهـا لمعظـم الأنظمـة العربيـة.

إضافـة إلى مـا تقـدم، فـإن إيـران، في المحصلـة، لـم تسـتطع أن تقـدّم النمـوذج الـذي يمكـن أن يشـدّ إليـه البيئـات العربيـة المجـاورة الرسـمية والشـعبية، فهـي لـم تنجـح في أن تكـون نموذجًـا اقتصاديًّـا ناجحـاً، وعـلى الصعيـد السـياسي ظلّـت موضـع شـكّ وشـبهة، لأسـباب متعـدّدة أهمهـا الطابـع المذهبـي و«القومـي» لخطابهـا السـياسي والإسـلاموي، وبحكـم افتقادهـا لنمـوذج الدولـة منفتحـة، لا باعتبارهـا دولـة إسـلامية ولا باعتبارهـا دولـة ديمقراطيـة.

فبالنسـبة لكونهـا دولـة إسـلامية، اتّسـم خطابهـا الدينـي بالتشـدّد، وهيمنـة رجـال الديـن عـلى كل مناحـي السـلطة فيهـا، وتبنّـي نهـج «الـولي الفقيـه»، فضـلاً عـن الطابـع المذهبـي المكشـوف، ممـا ارتـدّ عليهـا سـلباً، وحـدّ مـن إمكانيـة توسـيع نفوذهـا في الإطـارات الشـعبية في البلـدان العربيـة، ذات الأغلبيـة المذهبيـة «السـنية».

أمـا بالنسـبة لاعتبارهـا دولـة ديمقراطيـة، فمـن البديهي أن الاعتبـارات السـابقة تفيـد بإضعـاف المبنـى الديمقراطـي في نظـام الحكـم، وفي علاقـة النظـام بالشـعب، وبالنسـبة لحقـوق المواطنـة، باختـزال الديمقراطيـة إلى مجـرد لعبـة انتخابيـة (عـلى أهميتهـا)، لاسـيما بالنظـر لتحكّـم رجـال الديـن في التشريـع والقضـاء وأجهـزة الدولـة ومواردهـا.

عـلى الصعيـد الإقليمـي فـإن إيـران تجـد نفسـها في واقـع صعـب، لا تسـتطيع عـبره حصـد عوائـد إقليميـة مـن امتداداتهـا في هـذا البلـد أو ذاك، فهـي في اليمـن تقـف في مواجهـة السـعودية وباقـي دول الخليـج، وفي العـراق تقـف في مواجهـة الولايـات المتحـدة وقطـاع مهـم مـن الأكـراد والعراقيـين السـنة، وقطـاع واسـع مـن الشـيعة، كمـا بـدا في العـراق مؤخـراً، وحتـى تركيـا، وفي سـورية ثمـة روسـيا وتركيـا والولايـات المتحـدة؛ في حـين أن وضـع لبنـان غـير مسـتقر وهـو رهـن بالتطـورات الإقليميـة القادمة. وعـلى الصعيـد الاقتصـادي، فقـد أثـرت السياسـات الخارجيـة سـلباً عـلى الاقتصـاد، إن بسـبب تكاليـف هـذه السياسـة التـي تمـول الميليشـيات، وتدعمهـا بالأسـلحة، أو بحكـم الـصرف عـلى البرنامـج النـووي، أو بسـبب العقوبـات الدوليـة التـي باتـت تواجههـا جـراء تلـك السياسـات، وضمـن ذلـك تراجـع إسـعار النفـط.

يسـتنتج مـن كل مـا تقـدم أن النفـوذ الإيرانـي في بلـدان الـشرق الأوسـط واليمـن أضحـى في مواجهـة تحديـات كبـيرة، عـلى الأرجـح، فعـدا عـن الرفـض العربـي (الدولتـي والمجتمعـي) لهـذا الـدور، بخاصـة في بلـدان الخليـج والمـشرق العربـي، ثمـة روسـيا التـي باتـت تعتقـد أنهـا الأحـق بـأن تكـون صاحبـة الكلمـة الأولى في سـورية، وأنـه بنـاء عـلى ذلـك عليهـا هـي أن تسـهم بصياغـة مسـتقبل سـورية، بـدل تـرك الأمـور لإيـران التـي لا يهمهـا سـوى بقـاء نظـام الأسـد لاسـتمرار نفوذهـا، أو خـراب هـذا البلـد. كذلـك ثمـة تركيـا، التـي تجـد نفسـها، ربمـا، بمثابـة البلـد الإقليمـي المنافـس لإيـران، عـلى أكثـر مـن صعيـد، والـذي يـرى في صعـود إيـران تهديـداً لـه، عـلى المـدى البعيـد، بالنظـر لذهـاب إيـران نحـو محـورة الـصراع عـلى الصعيـد الطائفـي ـ المذهبـي. وأخـيراً، ثمـة الولايـات المتحـدة التـي

مقاتلون سوريون مدعومون من تركيا يخلون جريحاً أثناء اشتباك قرب الحدود. (أ.ف.ب/ أرشيفية)

تجد أن من مصلحتها إضعاف النفوذ الإيراني، كقوة سياسية وكقوة عسكرية، وهو ما بدا أنها تشتغل عليه، مع إسرائيل، في الأونة الأخيرة، عبر الغارات والضربات الصاروخية الموجهة ضد القواعد ومخازن السلاح والميليشيات التابعة لإيران، في سورية ولبنان والعراق، والتي طاولت شخصيات إيرانية مهمة كقاسم سليماني (كانون الثاني ٢٠٢٠)، قائد فيلق القدس، وكمحسن فخري زادة مهندس المشروع النووي الإيراني (تشرين الثاني ٢٠٢٠).

بين إسرائيل وإيران

منذ ثلاثة عقود تقريباً، باتت التجاذبات بين إسرائيل وإيران تحتل مكانة مركزية في الصراعات المحتدمة في الشرق الأوسط، فعلى الرغم من عدم وجود حدود مشتركة بينهما، فإن تلك التجاذبات لم تصل حد الاشتباك، أو الاحتكاك المباشر إلا مؤخراً، وبمبادرة من إسرائيل في معظم الأحوال.

ثمة أسباب عديدة للتجاذب، والتصارع، الإيراني ـ الإسرائيلي، يكمن أهمها في:

أولاً، محاولة إيران تملك قدرات نووية، الأمر الذي يتعارض مع إستراتيجية إسرائيل المتعلقة باحتكار التسلح النووي في الشرق الأوسط. بيد أن اللافت هنا أن إسرائيل تساهلت مع البرنامج النووي الإيراني (والولايات المتحدة كذلك!)، على عكس ما فعلته إزاء البرنامج النووي في العراق، الذي كانت أنشأته فرنسا للأغراض السلمية قرب بغداد، إذ قامت إسرائيل بتدميره في غارة جوية (في عملية أوبرا التي تمت في ٧/٦/١٩٨١)، اللافت، أيضاً، أن ذلك (أي تدمير المفاعل النووي العراقي) تم بعد اندلاع الحرب العراقية ـ الإيرانية (١٩٨٠ـ ١٩٨٨). أيضاً بات معلوماً أن غزو الولايات المتحدة للعراق (٢٠٠٣) تم بدعوى سعيه لحيازة قوة نووية، وهو ما تبين في ما بعد عن مجرد ادعاء، بينما هو، بحسب التقارير الدولية، حقيقة ثابتة في وضع إيران!

ثانياً، ثمة مشكلة لإسرائيل مع تزايد نفوذ إيران في المنطقة، لكن يمكننا هنا ببساطة ملاحظة أن هذا النفوذ بالذات تأتّى أساساً عن تسهيل، أو سماح، الولايات المتحدة (وضمناً إسرائيل) بهيمنة إيران على العراق (بعد غزوها له وإسقاطها نظام صدام ٢٠٠٣)،

في المحصلة، فقد غدت إسرائيل، سيما بحكم علاقاتها الوطيدة والمتميزة مع الدول الكبرى، وقوتها الاقتصادية، والتكنولوجية، وقوتها العسكرية، أكثر قدرة على المناورة في علاقاتها الدولية، وفي فرض أجندتها في الشرق الأوسط، بخاصة في ما يتعلق بالملف الإيراني، الذي يبدو الأكثر أهمية لها، وأيضاً في ما يتعلق بإدارة ملف الطاقة في المنطقة، الذي برز بإلحاح بعد تفجر الحرب الروسية الأوكرانية، وحاجة الغرب إلى الطاقة.

وذلك عبر تمكين أذرعها الميليشياوية من التحكم به وبموارده، في ظل حكم بول برايمر (٢٠٠٣ـ ٢٠٠٤)، الذي تم في عهده حل الجيش العراقي وكل الأجهزة الأمنية (وليس تسريح فئة كبار الضباط فقط)، كم تم ترسيم البنية الطائفية للنظام. بمعنى أخر فقد تم في ذلك الوقت، بعد إسقاط نظام صدام، تسليم البلد على طبق من «فضة» للميليشيات الطائفية التي تتبع إيران، وحكم نوري المالكي العراق بين ٢٠٠٦ـ ٢٠١٤، حيث استشرى في عهده الفساد والانقسام الطائفي في البلد وصعود «داعش». لكن الأمر لم يقف عند التسهيل لإيران في العراق فقط، إذ تم التساهل مع تزايد نفوذها في لبنان (عبر حزب الله)، ومع تدخلها العسكري في سورية، بحيث أضحت إيران الأكثر نفوذاً في منطقة المشرق العربي، أكثر بكثير من تركيا وإسرائيل. أما بخصوص ضبط الصراع مع إيران، ودلالات ذلك، فيمكننا ملاحظة أن النفوذ الإيراني كان من آثاره تحطيم بنى الدولة والمجتمع في المشرق العربي، وهذه هي حال العراق ولبنان وسورية (فضلاً عن اليمن)، ما يفسر السكوت، أو السماح، الإسرائيلي (والأميركي) لإيران، وذلك يفسر، أيضاً، التحول الحاصل في السنوات القليلة الأخيرة في سياسات إسرائيل (والولايات المتحدة) إزاء إيران، بعد أن استنفدت دورها، أو بعد أن انتهى الاستثمار الإسرائيلي (والأميركي) في سياساتها، سيما بعد أن أضحت إسرائيل الدولة الأكثر استقراراً وقوة في الشرق الأوسط، وغاب شيء اسمه الجبهة الشرقية، وباتت إسرائيل في محيط إستراتيجي آمن ربما لعقود.

ثالثاً، يتسم العداء الإيراني لإسرائيل بطابع العداء الأيديولوجي ـ الوجودي، بمعنى أنه لا يقتصر على الجانب السياسي، علماً إن سياسات إسرائيل في الشرق الأوسط تحاول أن تتغطى بهذا العداء، وبدعوى تمسك النظام الإيراني بنهج المقاومة والممانعة، حتى وهي لا ترد على اعتداءات إسرائيل واستهدافاتها لها. ولعل هذا الوضع هو الذي يفسر محدودية الاحتكاك بين إسرائيل وإيران، وبالعكس، إذ إسرائيل تريد مجرد إبعاد إيران عن حدودها مع سورية بمقدار مئة كلم، وبعدها لا يهمها ما تفعله في سورية أو العراق، وهذا ما كانت أوكلته لروسيا لإفهام إيران بهذه المعادلة. كما تريد وقف تدفقات السلاح إلى حزب الله (سيما الصواريخ والمسيرات)، ولا يهمها أي سلاح آخر، كما لا يهمها ما يفعله حزب الله في لبنان، بمعنى أن وجود النفوذ الإيراني في سورية والعراق ولبنان لا يهم إسرائيل، طالما ظل بعيداً عنها، لأنها ترى فيه استمراراً لحال الاضطراب والتصدع في هذه البلدان، بفعل إيران، كأن إيران تقوم بالشغل «الوسخ» بدلاً منها.

في المحصلة فإن الاستثمار الإسرائيلي، وتالياً الأميركي، في إيران كان له انعكاساته الإيجابية عليهما، بهذا التحول في عديد البلدان العربية نحو تطبيع العلاقات مع إسرائيل، بل ونحو الاستعداد للانخراط في منظومة إقليمية سياسية واقتصادية وأمنية معها، بدعوى صعود خطر إيران. ولعله، في هذا الخصوص، لم يعد خافياً أن المخاوف الإسرائيلية تقاطعت مع مخاوف عديد من الأنظمة العربية، التي تشعر بمخاطر صعود النفوذ الإيراني في المشرق العربي، وفي اليمن والخليج العربي، الأمر الذي حول ذلك التقاطع إلى نوع من تفاهم أو تحالف، وبديهي أن هذا التحالف يسهم به ذلك القلق المشترك من الأداء، أو التخلي، الأميركي عن دعم الأصدقاء، بدلالة ما حصل في أفغانستان، وأوكرانيا.

يقول إسحق ليفانون: «مصر والإمارات وإسرائيل. لهذه الدول...عدة قواسم مشتركة. القاسم الأبرز هو خيبة الأمل العميقة من سلوك إدارة بايدن تجاه الشرق الأوسط ومسألة النووي الإيراني...واشنطن تسارع الخط للوصول إلى تسوية في موضوع النووي الإيراني، بل وأن

دبابات إسرائيلية على الجولان المحتل. (أ.ف.ب/ أرشيفية)

تدفع ثمناً لقاء هذا...ترتكب أخطاء تكتيكية ستتسبب لهم بالمعاناة في المستقبل...القاسم المشترك الإضافي للدول الثلاث هو التخوف من الهيمنة العدوانية لإيران في المنطقة، والتي تعرض للخطر الشرق الأوسط كله. فضلاً عن مسألة النووي الايراني، ترى الدول الثلاث بأن الخطر الحقيقي هو التآمر الإيراني الذي تتجاهله الولايات المتحدة أو لا تريد أن تتصدى له... مصر قفزت إلى الصف الاول في التعاون مع إسرائيل وفي التصدي لإيران. الإمارات اختارت معسكرها علناً وبلا تردد، بينما أصبحت إسرائيل بين ليلة وضحاها عاملاً إقليمياً مركزياً يسعى الجميع إلى عتبته».

وكما شهدنا فإن اجتماع وزراء خارجية الدول الست (الولايات المتحدة وإسرائيل ومصر والإمارات والبحرين والمغرب)، أتى تحديداً للتنسيق وللضغط على الولايات المتحدة، لكبح أي توجه نحو الاتفاق مع إيران. ويلخص أمنون لورد الموقف، بالآتي: «عندما يوقع الاتفاق النووي سيكون هذا انتصاراً تاماً لإيران. لا يختلف عن انتصار طالبان (في أعقاب الهزيمة الأميركية في أفغانستان)، وانتصاراً للحرس الثوري الإيراني» ... تتلقى إسرائيل الآن دوراً لم يكن لها أبداً.

بقدر ما تصبح الحلقة التي تربط بين قسم من العالم العربي والولايات المتحدة...بخاصة السعودية والإمارات اللتين لا يستجيب زعيماهما لمكالمات الرئيس بايدن... قمة وزراء الخارجية تمنح إسرائيل ريح إسناد، لكن الجواب على التطورات في الميدان هو قوتها العسكرية والاستخبارية.». أما دان شفتن، فيقول: «يسمح هذا الحلف لمجال مناورة كبير أمام الإدارة بسبب الدمج بين القوة والتصميم الإسرائيليين، وبين النفط، الغاز والمال للسعودية والإمارات، شرعية مصر، التأييد العلني والخفي لدول عربية أخرى...يدور الحديث عن عقدة مركبة من التحالفات والاعتبارات الإقليمية. مفهوم أنه ليس كل الجهات تقبل بالمكانة المتصدرة لإسرائيل، لكنها تناور جيداً في الساحة الجديدة».

إسرائيل كلاعب شرق أوسطي

شهدت السنوات الماضية اختراقاً كبيراً، وغير مسبوق، في العلاقات العربية ـ الإسرائيلية، إذ اختفت معادلات الصراع العربي ـ الإسرائيلي، الذي حكم النصف الثاني من القرن العشرين، بخاصة بعد انعقاد مؤتمر مدريد للسلام (١٩٩١)، وتوقيع الفلسطينيين اتفاق أوسلو

مـع إسرائيـل (١٩٩٣)، وبعـد انفتـاح عديـد مـن الـدول العربيـة عـلى إسرائيـل، بمسـتويات مختلفـة، مبـاشرة أو غـير مبـاشرة.

ولعـل مـا يميـز المرحلـة الجديـدة مـن التطبيـع هـو، أولاً، تجـاوز القضيـة الفلسـطينية، مـع إصرار إسرائيـل عـلى تعزيـز وجودهـا الاسـتعماري في الضفـة الغربيـة، وحؤولهـا دون قيـام دولـة فلسـطينية مسـتقلة، في التفـاف عـلى «المبـادرة العربيـة للسـلام» (الانسـحاب مقابـل التطبيـع)، التـي أُقـرت في مؤتمـر القمـة العربـي في بـيروت (٢٠٠٢)، والتـي رفضتهـا إسرائيـل جملـة وتفصيـلاً. وعـن ذلـك يقـول أمنـون لـورد: «الأنبـاء الطيبـة هـي أنـه انتهـى النـزاع الإسرائيـلي العربـي، بقـدر مـا، كمـا ادعـى مهنـدس المبنـى الجديـد في الـشرق الأوسـط، رئيـس الـوزراء السـابق بنيامـين نتنياهـو». وبحسـب تقديـر موقـف صـادر عـن «فريـق معهـد السياسـة والإسـتراتيجية IPS»، الـذي يترأسـه اللـواء احتيـاط عامـوس جلعـاد، فـإن «اتفاقيـات أبراهـام دليـل عـلى أن «الدهـر أكل وشرب» عـلى المبـادرة العربيـة، ويمكـن أيضـاً عقـد سـلام مـع العـرب، وأيضـاً أكل ثمـاره الحلـوة. وفي الوقـت نفسـه مواصلـة سرقـة أراضي عـرب آخريـن وهـدم بيوتهـم». ثانيـاً، تجـاوز مسـتوى التطبيـع بـين دولتـين عاديتـين - كمـا في حالتـي التطبيـع في الموجـة الأولى التـي شـملت مـصر والأردن وعمـان - إلى مسـتوى أقـرب إلى التعـاون، أو التحالـف، وهـذا مـا جـرى في الفتـح الجديـد في علاقـات إسرائيـل مـع كل مـن دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة، ومملكـة البحريـن، والمملكـة المغربيـة، وربمـا السـودان أيضـاً.

هكـذا، تـم عقـد اتفـاق إبراهيـم (أو إبراهـام)، في صيـف ٢٠٢٠ بـين إسرائيـل والإمـارات العربيـة المتحـدة ومملكـة البحريـن (برعايـة أميركيـة في ظـل إدارة دونالـد ترامـب)، بدفـع مـن مجموعـة عوامـل، أهمهـا:

أولاً، التخـوّف مـن تغـوّل النفـوذ الإيرانـي، ومحاولـة الاسـتقواء عربيـاً عليـه مـن مدخـل العلاقـة مـع إسرائيـل والولايـات المتحـدة الأميركيـة، رغـم أن مخاطـر إيـران متجسـدة أكثـر، وبشـكل أخطـر، في العـراق وسـورية ولبنـان، وعلمـاً أن تلـك الـدول (التـي عقـدت الاتفـاق) لـم تفعـل شـيئاً يذكـر لـدرء الخطـر الإيرانـي في تلـك البلـدان.

ثانيـاً، حـال الانهيـار الدولتـي والمجتمعـي في بلـدان المـشرق العربـي (العـراق وسـورية ولبنـان)، طبعـاً بفعـل تغلغـل نفـوذ إيـران وميليشـياتها الطائفيـة المسـلحة، مـا جعـل إسرائيـل بمثابـة الدولـة الأكثـر أمانـاً واسـتقراراً في المنطقـة.

ثالثـاً، ضعـف النظـام العربـي، أو غيابـه، إذ لـم يعـد يعمـل بطريقـة تعاضديـة، أو جمعيـة، بقـدر مـا بـات يعمـل بطريقـة تنافسـية وصراعيـة.

رابعـاً، ضعـف الحركـة الوطنيـة الفلسـطينية، سـيما بعـد تحولهـا إلى سـلطة في الضفـة وغـزة، مـع انزيـاح القيـادة الفلسـطينية عـن الروايـة الوطنيـة التاريخيـة المؤسسـة، مـن ملـف النكبـة (١٩٤٨) إلى ملـف الاحتـلال الـذي بـدأ في العـام ١٩٦٧. والمعنـى أن هـذا التحـول، المتضمـن اعـتراف الفلسـطينيين بإسرائيـل، فتـح أو شرعـن التطبيـع مـع إسرائيـل، وإقامـة علاقـات معهـا.

خامسـاً، تخـوف تلـك الـدول مـن مهادنـة الولايـات المتحـدة لإيـران، إن في معـاودة الاتفـاق النـووي معهـا، وعـلى ضـوء الانسـحاب الأميركـي مـن أفغانسـتان بالطريقـة التـي تـم بهـا، وعـلى ضـوء المخاطـر التـي تعرضـت لهـا أوكرانيـا بعـد الغـزو الـروسي لهـا.

وكمـا شـهدنا فقـد كان مـن أهـم تجليـات التطـور الحاصـل عـلى هـذا الصعيـد انعقـاد لقـاء وزاري سـداسي حـضره وزيـرا خارجيـة إسرائيـل والولايـات المتحـدة إلى جانـب وزراء خارجيـة أربـع دول عربيـة، هـي: الإمـارات، والبحريـن، والمغـرب، ومـصر، وذلـك في النقـب في إسرائيـل (٢٠٢٢/٣/٢٧)، مـع ذهـاب تلـك الـدول إلى حـد عقـد اتفاقـات تعـاون اقتصـادي وأمنـي مـع إسرائيـل، الأمـر الـذي عـزز مكانتهـا الإقليميـة، وعـلى الصعيـد الـدولي، وإزاء صراعهـا مـع الفلسـطينيين، الذيـن باتـوا مكشـوفين أكثـر مـن أي مـرة في تاريخهـم. يقـول دان شـفتن: «تشـهد إسرائيـل تغيـرات دراماتيكيـة في المبنـى الإسـتراتيجي للشرق الأوسـط...قلب الموضـوع هـو قـدرة المنـاورة وحريـة العمـل لإسرائيـل كقـوة عظمـى إقليميـة، وأساسـاً حيـال الولايـات المتحـدة، بمـا يعنـي اعتمـاد إسرائيـل عـلى قوتهـا الذاتيـة لتحصـين وجودهـا واسـتقرارها». ويوضـح شـفتن فكرتـه بواقـع تعـزز مكانـة إسرائيـل الإقليميـة بالتعـاون مـع حلفائهـا «الذيـن فقـدوا ثقتهـم بـإدارة بايـدن.»

في المحصلـة فقـد غـدت إسرائيـل، سـيما بحكـم علاقاتهـا الوطيـدة والمتميـزة مـع الـدول الكـبرى، وقوتهـا الاقتصادية، والتكنولوجيـة، وقوتهـا العسـكرية، أكثـر قـدرة عـلى المناورة في علاقاتهـا الدوليـة، وفي فـرض أجندتهـا في الشرق الأوسـط، بخاصـة في مـا يتعلـق بالملـف الإيرانـي، الـذي يبـدو الأكثـر

لم يرق دعم الذي قدمته تركيا للثورة السورية إلى دعم إيران للنظام السوري، ناهيك عن المتاعب الداخلية الذي حصلت لها جراء ذلك، على الصعيد الداخلي من جهة الأكراد والطائفة العلوية، والمعارضة العلمانية، ثم على الصعيد الخارجي من جهة روسيا، والدول العربية وضمنها مصر والسعودية، على خلفية دعمها التيارات الإسلامية، هذا إضافة إلى القيود الأميركية والإسرائيلية، على دورها الإقليمي، وعدم تعاون أوروبا معها.

أهمية لها، وأيضاً في ما يتعلق بإدارة ملف الطاقة في المنطقة، الذي برز بإلحاح بعد تفجر الحرب الروسية الأوكرانية، وحاجة الغرب إلى الطاقة.

يقول تسفي بارئيل: «المكاسب الاقتصادية المتوقعة لمصر وإسرائيل وتركيا...موضوعة تحت البحر (الغاز). الدول الثلاث تأمل بأن تستغل الدول الأوروبية التي ستقلص اعتمادها على موارد الطاقة التي تستهلكها من روسيا، وأن تتحول إلى الدول المصدرة الرئيسة للغاز من الحقول الإسرائيلية والمصرية عبر تركيا وإلى أوروبا».

على ذلك، ومن تفحّص مواقف إسرائيل، وسياساتها، يمكن ملاحظة أنها تهتم لثلاثة جوانب إستراتيجية، تحكم رؤيتها لذاتها ولدورها ولتموضعها في المنطقة العربية، وإزاء الأطراف الإقليمية الأخرى، أولها، أمنها الذاتي، وضمنها يأتي طمس قضية الفلسطينيين، أو إزاحتها من جدول الأعمال الإقليمي والدولي. وثانيها، أمنها الإقليمي، ويشمل ذلك تعزيز علاقاتها مع الدول العربية، والانخراط معها في منظومة أمنية واقتصادية وسياسية ما أمكن، وإزاحة القوى الإقليمية الأخرى، أو تحجيمها، بخاصة إيران. وثالثها، دعم مكانة الولايات المتحدة في العالم، وفي الشرق الأوسط، والحفاظ على العلاقات الإستراتيجية التي تربطها بالولايات المتحدة، لما لذلك من علاقة بأمنها المتأتّي من تلك العلاقة، والقوة المضافة التي تضفيها عليها.

تركيا تبحث عن دورها

منذ صعود حزب العدالة والتنمية (٢٠٠٢) حازت تركيا على شعبية كبيرة في البلدان العربية، مع نجاحاتها الاقتصادية، ومساندتها للعرب في قضية فلسطين، سيما أن ليس لها ميليشيات كما إيران، ولا تشتغل على إذكاء التوترات في المجتمعات العربية.

مع ذلك يمكن ملاحظة تحولات سياسية عديدة لتركيا منذ ذلك الحين، الأول، قبل ثورات الربيع العربي (قبل العام ٢٠١٠). والثاني بعد اندلاع تلك الثورات، ولا سيما في محطتها السورية (٢٠١١)، التي شهدت حماساً تركياً لتلك الثورات، ولاسيما في سورية، كما شهدت انقطاعاً أو توتراً في العلاقات التركية ـ الروسية على خلفية إسقاط تركيا لطائرة روسية (٢٠١٥)، كما شهدت انخراطاً في الصراع الجاري في ليبيا. والثالثة، بعد نشوء تحالف آستانة (أوائل ٢٠١٧) والذي ضمها إلى روسيا وإيران (حليفا النظام السوري) لإدارة الصراع في سورية. وربما نحن منذ العام ٢٠٢١ إزاء تحول جديد، يتمثل بتطبيع علاقات تركيا مع إسرائيل، ومع عديد من الأنظمة العربية (بخاصة العربية السعودية ومصر والإمارات).

هكذا ففي مرحلة ما قبل «الربيع العربي»، يمكن ملاحظة أن تركيا كانت تركز على تعزيز دورها في الإقليم الشرق أوسطي عبر الإسهام في عملية التسوية، والتعاون مع مجمل الدول العربية، والتركيز على البعد الاقتصادي. وربما أن تركيا، بزعامة حزب «العدالة والتنمية»، أقلقها تزايد النفوذ الإيراني في المنطقة، بخاصة أن هذا الدور يمكن أن يؤدي إلى تزايد نفوذ الإسلام «الشيعي»، في الشرق الأوسط، على حساب الإسلام «السني». كذلك ربما أن تركيا أقلقتها التوجهات السياسية الراديكالية لإيران، في دعمها لتيارات الإسلام السياسي المسلح، ومناهضتها للنظام العربي، ما يمكن أن يسهم بتقويض الاستقرار في المنطقة (المجاورة لتركية)، وإضعاف العلاقات الاقتصادية التركية ـ العربية، الأمر الذي يؤثر سلباً على محاولات نهوضها الاقتصادي. كذلك ربما يدخل في هذا الحساب أيضاً سعي تركيا لتعزيز مكانتها الإقليمية، بما يدعم محاولاتها دخول منظومة «الاتحاد الأوروبي».

ويؤشر الاضطراب في العلاقات التركية ـ الإسرائيلية (٢٠٠٨ ـ ٢٠٢١) على تغير البيئة الإستراتيجية المحيطة بإسرائيل، التي كانت خسرت إيران (قبل ثلاثة عقود)، ما يعني بقاءها وحيدة في محيط معادٍ ومضطرب وخطر عليها. ومشكلة إسرائيل مع تركيا تختلف عن إيران، فتركيا جزء من العالم المعتدل، وعضو في حلف الأطلسي، وتتمتع بعلاقات وطيدة مع الولايات المتحدة، وتطمح لعضوية الاتحاد الأوروبي. وما يزيد حرج إسرائيل أن تركيا تواجهها ضمن حدود الشرعية الدولية، وبوسائل سلمية ومدنية، وهي تتبنى رفع الظلم المحيق بالفلسطينيين، ولا تنادي بإزالة إسرائيل. ومشكلة إسرائيل أن تركيا تناطحها على مكانتها في الشرق الأوسط في المجالات: السياسية والأمنية والاقتصادية، وأنها تمتلك مقومات ذلك، وحتى إنها ربما تحظى على رضى العالم الغربي بهذا المجال، بعد أن باتت إسرائيل بمثابة عبء على الغرب، ولتحقيق توازن في الموقف الأوروبي إزاء العالم الإسلامي.

وإذا كان صعود كل من إيران وتركيا جاء على حساب النظام العربي، فإنه جاء على حساب إسرائيل، أيضاً، لاسيما بشأن تحجيم قدرتها على التقرير بمستقبل الشرق الأوسط. وقد شهدنا بوادر ذلك في رفض معظم حكومات (ومجتمعات أوروبا) لسياسات إسرائيل، واعتبار عديد من قادة الولايات المتحدة (على المستويين السياسي والعسكري) بأن سياسات إسرائيل المناهضة للتسوية تضر بالأمن القومي الأميركي، وتغذّي نفوذ إيران والقوى الراديكالية في المنطقة.

من جهة أخرى، فإن الحروب الإسرائيلية المتوالية على غزة، منذ العام ٢٠٠٨، أسهمت بتحريك السياسة التركية وتعزيز انخراطها في تقرير السياسات الإقليمية الشرق أوسطية، بعد أن كانت تبحث عن مجالها الإقليمي في آسيا الوسطى، وتتجه نحو الانخراط بالنظام الإقليمي لأوروبا. وكانت تركيا بذلت جهوداً كبيرة على الصعيدين الدولي والإقليمي لوضع حد لتلك الحروب، وأبدت تعاطفاً واضحاً مع الفلسطينيين، وكان موقف رجب طيب أردوغان ذروة هذه المواقف في حادثة «دافوس»، أي في الندوة التي نظمها «المنتدى الاقتصادي العالمي» وجمعته مع كل من الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريس، وعمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية، والأمين العام للأمم المتحدة، حيث تحدث أردوغان بلهجة قوية ضد الاحتلال والعدوان، وقد انسحب بعدها بطريقة صاخبة، احتجاجاً على تنظيم الندوة، وعلى طريقة رد بيريس عليه (٢٠٠٩/١/٣٠).

وفي الواقع فإن تركيا، وهي دولة قوية، من مختلف النواحي، تمتلك عوامل تدخّل قوية في النظام الإقليمي، بسبب الإرث التاريخي، والحدود الجغرافية، مع العراق وسورية وإيران، وكونها محسوبة على الإسلام السني. وربما أن ما يدفع تركيا للتدخل في الوضع الشرق أوسطي، شعورها بمخاطر عدم الاستقرار في المنطقة من العراق إلى لبنان وفلسطين، ثم تنامي نفوذ إيران ومحاولتها امتلاك قوة نووية. كما يدفع إلى ذلك سعي تركيا لتطوير علاقاتها الاقتصادية في المنطقة، وأيضاً وجود حكومة تنتمي إلى الإسلام السياسي السني في أنقرة.

وعن ذلك يقول تسفي بارئيل (محلل إسرائيلي): «تركيا هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي ترى في التهديد النووي الإيراني خطراً فورياً، بالضبط مثل إسرائيل...هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي يمكنها أن تقيم علاقات تجارية وتعاون سياسي ممتاز مع إيران، وسورية، والعراق وإسرائيل، دون أن تشترط أي منها، علاقاتها مع تركيا، بقطع العلاقات مع الأخرى... يمكن لتركيا أن تشكل دولة اتصال غير رسمي بين دول، الخصام بينها يبدو خالداً...الأهم من ذلك هو المفهوم الإستراتيجي الذي تعزوه تركيا لنفسها: مفهوم دولة عظمى، تحرص على أمن دول المنطقة ودور في ما يجري في الشرق الأوسط، في البلقان، في القوقاز، في أفريقيا والدول الإسلامية». وكانت تركيا حاولت، قبل الحرب على غزة (٢٠٠٨)، وقبل ثورات «الربيع العربي»، الاستثمار في علاقاتها المشتركة مع كل من سورية وإسرائيل، لاحتضان نوع من المفاوضات غير المباشرة بين الطرفين.

وفي تلخيص لتطور الموقف التركي يرى خليل العناني أن تركيا «تلعب على أوتار التوتر القائم في المنطقة، وتقوم بتوظيفه لمصلحتها، سواء من خلال القيام بدور «المبرّد» للخلافات الإقليمية والعربية (كالوساطة بين دمشق وتل أبيب، أو بين «حماس» و «فتح»، وربما بين «حماس» وإسرائيل، وطهران وواشنطن مستقبلاً)، أو من خلال المزايدة على القضايا العربية عبر استنفار الروح «العثمانية» في مواجهة تل أبيب، وذلك على نحو ما يردد دائماً رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان».

مع ذلك، فإن عدم الحماس لمنظومة إقليمية تتواجد ضمنها إسرائيل، لا يعني طي هذا الملف، ذلك أن العمل يجري بطريقة مباشرة، وغير مباشرة، في اتجاهين، الأول، هو نشاء منظومة إقليمية من دول عربية مع الولايات المتحدة الأميركية، مع تعزيز العلاقات الثنائية في هذا المجال. والثاني، يتمثل بإقامة علاقات تعاون عسكري وأمني واقتصادي بين إسرائيل وبعض الدول العربية، بشكل ثنائي أو ثلاثي.

وكما ذكرنا، فقد شهدت تركيا تحولاً كبيراً في سياساتها، وفي رؤيتها لدورها الإقليمي، مع اندلاع الثورات العربية، خاصة في سورية (وليبيا)، إذ دخلت بشكل قوي على المشهد بمواقفها السياسية واستضافتها للسوريين اللاجئين واحتضانها للمعارضة السورية السياسية والمسلحة.

على الرغم من كل ذلك فإن الدعم الذي قدمته تركيا للثورة السورية لم يرق إلى دعم إيران للنظام السوري، ناهيك عن المتاعب الداخلية الذي حصلت لها جراء ذلك، على الصعيد الداخلي من جهة الأكراد والطائفة العلوية، والمعارضة العلمانية، ثم على الصعيد الخارجي من جهة روسيا، والدول العربية وضمنها مصر والسعودية، على خلفية دعمها التيارات الإسلامية، هذا إضافة إلى القيود الأميركية والإسرائيلية، على دورها الإقليمي، وعدم تعاون أوروبا معها.

اللافت أن هذا التنافس، أو التصارع المضمر، بين تركيا وكل من روسيا وإيران، لم يمنع تلك الدول من استمرار علاقاتها الثنائية، وعلاقات التعاون الاقتصادي، على رغم من أن كل واحد منها يتمسك بأجنداته في مواجهة الطرف الآخر، بخاصة في سورية، ما يفسّر التحول نحو إنشاء حلف ثلاثي تركي ـ إيراني ـ روسي (تحالف آستانة)، في مطلع ٢٠١٧، للتنسيق في ما يتعلق بالصراع السوري، أو بمكانة كل منهما في ذلك الصراع.

ثمة ملاحظتان ختاميتان هنا، الأولى، وتفيد أن المداخلات التركية في سورية وليبيا والعراق كانت تنطلق فقط من مصلحة تركيا، وضمنها درء محاولة قيام كيان كردي على حدودها، في ما تعتبره خطراً على أمنها القومي، أي أنها في كل ما فعلته لم تخدم الثورة السورية مثلاً، أو مصالح الشعب السوري، إذ أن تدخلاتها كانت في اتجاه عسكرة الصراع السوري، وتعزيز دور التيارات الإسلامية السلفية المتطرفة فيه، ما أضعف الطابع الشعبي لتلك الثورة، وأدى إلى استنزاف الشعب السوري، هذا فضلاً عن أن الشراكة مع حليفي النظام (روسيا وإيران) لا يمكن أن يخدم البتة الشعب السوري، أو مصلحة التغيير السياسي الديمقراطي في سورية.

أما الملاحظة الثانية، فتفيد بأن تركيا تراجعت عن مجمل سياساتها السابقة، التي انتهجتها في ظل الربيع العربي، وهو ما تمثل بإعادة تزخيم وتطبيع علاقاتها مع إسرائيل، وقد ترافق ذلك مع سعيها الحثيث للمصالحة مع الأنظمة التي قاطعتها، واستعدتها، في فترات ماضية (السعودية ومصر والإمارات)، وإقامة علاقات اقتصادية متينة معها.

فكرة منظومة إقليمية شرق أوسطية

من خلال العرض السابق لأدوار الفاعلين الإقليميين الثلاثة، يمكن تمييز إسرائيل وإيران كالطرفين صاحبي التأثير الأكبر، والأخطر، على النظام العربي، وعلى مفهوم الأمن القومي العربي، وعلى الاصطفافات في المنطقة العربية.

ويحاول المحلل الإسرائيلي ناحوم برنياع تصوير الأمر، من وجهة نظر إسرائيلية طبعاً، ومن وجهة نظر بعض الأنظمة العربية ربما، على النحو الآتي: «دول مثل إيران وإسرائيل...هما المغناطيسان، مركزا القوة اللذان حُكم على دول المنطقة المناورة بينهما. من لا يريد إيران سيكون عليه في نهاية الأمر التعاون مع إسرائيل، علناً أو سراً. دون إسرائيل فإنه سيكون مكشوفاً. بايدن يمكنه أن يعرض سلاحاً، أموالاً، دعماً سياسياً، ودعماً معنوياً. ويمكنه التوسط والقيام

بمصالحات. ما تبقى سيحسم هنا، في المنطقة، سواء مع أميركا في المقدمة أو مع أميركا في الخلف».

هكذا، فإن هذا التصور دفع أطرافاً عديدة للتفكير بشأن إقامة منظومة إقليمية، أمنية وسياسية واقتصادية في الشرق الأوسط تضم تحديداً إسرائيل، بخاصة مع توقيع «اتفاق إبراهيم» (أيلول ٢٠٢٠)، وتطبيع عديد من الدول العربية علاقاتها معها، ويأتي ضمن ذلك دولة الإمارات والبحرين والمغرب، إضافة إلى مصر والأردن سابقاً، ومع عُمان والسودان ربما. ولعل ما يميز الموجة الجديدة من التطبيع، أن الأمر لم يعد يقتصر على مجرد علاقات طبيعية، إذ هو انتقل إلى الصعيد الأمني والاقتصادي (مع الإمارات، والبحرين، والمغرب).

بيد أن ذلك لا يغطي أن ثمة مشكلات عدة تعوق إنجاز تلك المنظومة، المشكلة الأولى تتمثل بموقف المملكة العربية السعودية، بخصوص عدم نضج الوضع العربي للتطبيع، ومعارضتها إقامة منظومة أمنية في المنطقة تضم إسرائيل. والمشكلة الثانية، تتعلق بإسرائيل التي ترفض أن تتقدم بأي خطوات في التسوية مع الفلسطينيين، كما حصل سابقاً في التسعينيات بخصوص مشروع «الشرق الأوسط الجديد». والمشكلة الثالثة تتمثل بموقف الولايات المتحدة الأميركية إزاء أمن المنطقة، ولا سيما بما يتعلق بالتهديد الذي تمثله إيران، الأمر الذي يضعف الثقة بها، من قبل عديد من الحكومات العربية (بخاصة المملكة العربية السعودية ومصر)؛ وطبعاً يمكن ان يفهم في خلفية ذلك إدراك تلك الحكومات بأن توجه الإدارة الأميركية لها ما كان ليتم لولا حاجتها للنفط والغاز، في ظل التداعيات الناجمة عن الغزو الروسي لأوكرانيا.

مع ذلك، فإن عدم الحماس لمنظومة إقليمية تتواجد ضمنها إسرائيل، لا يعني طي هذا الملف، ذلك أن العمل يجري بطريقة مباشرة، وغير مباشرة، في اتجاهين، الأول، هو نشاء منظومة إقليمية من دول عربية مع الولايات المتحدة الأميركية، مع تعزيز العلاقات الثنائية في هذا المجال. والثاني، يتمثل بإقامة علاقات تعاون عسكري وأمني واقتصادي بين إسرائيل وبعض الدول العربية، بشكل ثنائي أو ثلاثي.

وكانت زيارة الرئيس الأميركي جو بايدن للسعودية (تموز ٢٠٢٢) مناسبة للإفصاح عن الموقف السعودي، الذي تجلى بشكل خاص في مسألتين، أولاً، التركيز على التعاون العسكري الثنائي مع الولايات المتحدة، بإنشاء فرقة مشتركة في البحر الأحمر، وأخرى مشتركة في خليج عمان وشمال بحر العرب تقودها السعودية، واتفقا على عمل القوات السعودية مع الأسطول الخامس الأميركي، مستخدمين التقنية الحديثة من السفن غير المأهولة والذكاء الصناعي في حماية المجال البحري...شمل التفاهم اتفاقيتين في مجال الأمن السيبراني.... ثانياً، فرملة موجة التطبيع الثانية، وتحجيم فكرة إنشاء منظومة إقليمية مع إسرائيل.

وفي الواقع فإن قمة جدة (١٧ تموز ٢٠٢٢)، التي جمعت الرئيس الأميركي بقادة تسع دول عربية (دول مجلس التعاون الخليجي، ومصر والأردن والعراق) كانت على غاية الأهمية، وتميزت بمكاشفة صريحة، بين الأطراف العرب والرئيس الأميركي، إضافة إلى أنها حجمت الطروحات المتعلقة بإمكان قيام ما يسمى ناتو عربي، بضغط الأحوال العربية الصعبة. أيضاً، فإن عديداً من قادة الدول الحاضرين أكدوا للرئيس الأميركي على أهمية دعم إقامة دولة فلسطينية مستقلة، وتمسكهم بمبادة السلام العربية. وقد أكد عادل الجبير وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية، في تصريحات له، أنه لم يطرأ أي تغيير على موقف السعودية - وأن التطبيع مع إسرائيل لن يكون ممكناً إلا بعد تطبيق حل الدولتين.

توازن قوى الأطراف الإقليمية. نظرة ختامية

قد يفيد في هذه المراجعة لأدوار وسياسات الفاعلين الدولتين في الشرق الأوسط إجراء نوع من مقارنة في القوى بينها، بالقياس للإحصائيات، علماً أن ذلك لا يغطي المعطيات الأساسية الأخرى، وضمنها، أولاً، تمتع إسرائيل بقوة مضافة، جراء العلاقة الإستراتيجية التي تربطها بالغرب عموماً، وبالولايات المتحدة خصوصاً، علماً أن تلك العلاقات باتت تشمل حتى الصين والهند وروسيا، حلفاء العرب التقليديين. ثانياً، وجود إسرائيل في مركز قوة علمي وتكنولوجي، ما يعزز من أهميتها، وقوتها، بالقياس

لـكل مـن إيـران وتركيـا. ثالثـاً، تتمتـع إيـران بقـوة مضافـة، إزاء الطرفـين الآخريـن، سـيما إزاء إسرائيـل، بحكـم امتداداتهـا في البلـدان الأخـرى، بحكـم طابعهـا الطائفـي /المذهبـي، وخصوصيـة المذهـب «الشـيعي»، الذيـن لديهـم نـوع مـن التقليـد الدينـي (هيكليـة لرجال الديـن، ونـوع مـن تنظيـم، ومـوارد). ثالثـاً، تتمتـع تركيـا بقـوة مضافـة مـن كونهـا منفتحـة في علاقاتهـا عـلى الطرفـين الإقليميـين الآخريـن (إسرائيـل وإيـران) كمـا في انفتاحهـا عـلى القطبـين الدوليـين (الولايـات المتحـدة وروسـيا)، عـلى الرغـم مـن مـا يشـوب ذلـك مـن توتـرات، وتقلبـات، إضافـة إلى إنهـا عضـو في حلـف «ناتـو».

أمـا عـلى الصعيـد الاقتصـادي، وبحسـب إحصائيـات البنـك الـدولي (٢٠٢١) فثمـة تفـوق كبـير لإسرائيـل، إذ يبلـغ ناتجهـا الإجمـالي نحـو ٤٨١ مليـار دولار، مـع حصـة للفـرد قدرهـا ٥١,٤ ألـف دولار، في حـين يبلـغ في تركيـا ٨١٥ مليـار دولار، مـع حصـة للفـرد قدرهـا ٩,٥ ألـف دولار، أمـا إيـران فيبلـغ ٢٣١ مليـار دولار، مـع حصـة للفـرد قدرهـا ٢,٧ ألـف دولار (طبعـاً ثمـة سـبب لـتردي وضـع إيـران ناجـم مـن العقوبـات الأميركيـة عليهـا). وبالنسـبة للقـوة التصديريـة، فقـد بلغـت صـادرات إسرائيـل، نحـو ٦٠ مليـاراً مـن الـدولارات، معظمهـا هايتيـك وصناعـات متقدمـة، في حـين بلغـت صـادرات تركيـا ٢٢٥ مليـاراً مـن الـدولارات، وصـادرات إيـران ٧٢ مليـاراً مـن الـدولارات.

عـلى صعيـد الإنفـاق العسـكري، فقـد بلـغ في إسرائيـل ٢٠,٥ مليـار دولار، في حـين بلـغ في تركيـا ٢٠,٤ مليـار دولار ، أمـا في إيـران فهـو في حـدود ١٢,٦ مليـار دولار. (بحسـب تقاريـر معهـد سـتوكهولم الـدولي لأبحـاث السـلام «سـيبري» ٢٦/٤/٢٠٢١)

مـع ذلـك يفـترض أن نلاحـظ، أو نـدرك، أن إسرائيـل هـي دولـة صغـيرة جـداً بمسـاحتها، وبعـدد سـكانها، بالقيـاس لتركيـا وإيـران اللذيـن يناهـز عـدد السـكان في كل منهمـا ٨٢ مليـون نسـمة، مـا يسـاوي عـشرة أضعـاف عـدد سـكان إسرائيـل (٨,٥ مليـون نسـمة)، مـع مسـاحة لإيـران تقـدر بـ ١,٦ مليـون كلـم٢ (مـا يعـادل ٦٠ ضعفـاً مـن مسـاحة فلسـطين التاريخيـة)، ولتركيـا ٧٨٣ ألـف كلـم٢ (مـا يعـادل ٢٧ ضعفـاً مـن مسـاحة فلسـطين التاريخيـة)، فيمـا مسـاحة فلسـطين التاريخيـة، حيـث تهيمـن إسرائيـل، تبلـغ ٢٧ ألـف كلـم مربـع، مـا يوضـح الفجـوة الكبـيرة بينهـا وبـين كل مـن الطرفـين الإقليميـين الآخريـن.

بخصـوص الوضـع السـياسي، والأمنـي، فـإن إسرائيل تجـد نفسـها في بيئـة معاديـة، ومكلفـة أمنيـاً، في صراعها مـع الفلسـطينيين، وبحكـم طابعهـا في المنطقـة العربيـة، فـإن الطرفـين الإقليميـين الآخريـن يعيشـان الوضـع نفسـه، إذ إيـران تسـتنزف جـزءاً كبـيراً مـن امكانياتهـا في العـراق ولبنـان وسـورية واليمـن، وفي الداخـل، وتعانـي تركيـا بدورهـا مـن مشـكلات داخليـة (الأكـراد ـ العلويـين ـ التوجّـس العلماني ـ الإسـلامي)، ومشـكلات خارجيـة في علاقاتهـا مـع جوارهـا، العـراق وسـورية، كمـا مـن توتـر علاقاتهـا مـع إيـران وروسـيا واليونـان والولايـات المتحـدة.

عـلى أي حـال، مـن المبكّـر التكهّـن بالتغـيّرات المحتملة في أدوار الفاعلـين الإقليميـين في الـشرق الأوسـط: إيـران وتركيـا وإسرائيـل، ومـا يتعلّـق بمكانـة كل واحـدة منهـم في المنطقـة ونوعيـة علاقاتهـا، الصراعيـة أو التنافسـية، بالدولتـين الأخريـين، بالنظـر إلى أننـا إزاء واقـع متحـرّك، لا أحـد يعـرف متـى سيسـتقّر أو كيـف، بحكـم التفاعلات والتكيّفـات الكبـيرة والسريعـة الجاريـة.

أماني الطويل*

لماذا تصاعد النفوذ الروسي؟ وماهي تداعياته على الشرق الأوسط؟

المقدمة

في غضون العقد الأخير، تعاظم دور روسيا على صعيد النظام الدولي، وذلك نتيجة عدد من العوامل المرتبطة بمواردها الاقتصادية التي استطاعت هيكلتها على نحو مؤثر اعتبارًا من العام ٢٠٠٠، وكذلك حالة التنسيق الذي يصل حدّ التحالف مع الصين، خصوصًا في ما يتعلق باستحداث آليات تنموية واقتصادية دولية مناظرة للآليات الغربية التي تتمثل في البنك وصندوق النقد الدوليين. وقد ساهمت الإستراتيجيات الروسية بالإجمال في زيادة النفوذ الروسي على الصعيد الدولي، كما أصبحت لاعبًا دوليًا مؤثرًا في الأزمات العالمية والإقليمية.واجهت روسيا، في هذا السياق، تحديات أساسية من الولايات المتحدة الأميركية وحلف الناتو في منطقة شرق أوروبا عمومًا وأوكرانيا تحديدًا، وهو ما يعد السبب الرئيس للحرب الدائرة حاليًا في أوكرانيا، الحرب التي تؤثر حاليًا على مجمل التفاعلات الدولية، خصوصًا بعد ضم أربع مناطق أوكرانية لروسيا الاتحادية، كما تنعكس إقليميًا على كافة الأزمات السابقة على حرب أوكرانيا واللاحقة لها خصوصًا في منطقتي الشرق الأوسط وشرق أفريقيا وهما

* د. أماني الطويل هي مستشارة مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية في القاهرة ومديرة البرنامج الأفريقي في المركز ورئيسة تحرير سلسلة أفريقيات.

التحقت روسيا بالآليات الصينية العالمية لبناء نفوذ الأولى، وهو ما انعكس على الوزن النسبي للقدرات الروسية بالإيجاب. فعلى صعيد مواز لبناء القدرات العسكرية الروسية على المستوى الداخلي، استحدثت كل من الصين وروسيا مجموعة من الآليات المناظرة لمنظمات دولية يسيطر عليها الغرب، منها منظمتا شنغهاي و"بريكس".

المنطقتان المتحكمتان في عدد من الممرات البحرية والمضائق التي يعتمد عليها نقل الطاقة عبر العالم، فضلًا عن حركة التجارة الدولية بشكل عام. هذا ما يرفع الأهمية الإستراتيجية للمنطقتين في الصراعات الدولية والتنافسية العالمية حول النفوذ والموارد، وكذلك يرفع من مستوى أهميتهما الإستراتيجية لروسيا التي تعاني من امتدادات برية فقط في حدودها الغربية، وتعاني من محدودية واجهاتها البحرية في المياه الدافئة.

تركز هذه المقالة على النفوذ الروسي المتصاعد بالتركيز على منطقة الشرق الأوسط. في القسم الأول، تنظر المقالة في أسباب صعود النفوذ الروسي في المنطقة. في القسم الثاني، تستعرض الآليات والأدوات التي تستخدمها روسيا لتعزيز نفوذها. وفي القسم الثالث، تحلل تداعيات تعاظم النفوذ الروسي. في القسم الرابع والأخير، تركز على علاقات روسيا مع أطراف مختلفة في المنطقة، من بينها إسرائيل.

أولًا: أسباب صعود النفوذ الروسي

تراجعت أمريكا عن وثيقة "روسيا- الناتو" التي وُقّعت في العام ١٩٩٧ والتي تلزم حلف الناتو بعدم نشر عدد كبير من قواته على أراضي شرق أوروبا بشكل دائم، حيث عمدت واشنطن منذ بداية العقد الأول في الألفية الثالثة إلى تطويق موسكو في أوروبا الشرقية، كما تطور هذا التطويق إلى دول الجوار المباشر مثل أوكرانيا التي اعتبرت موسكو أن عدم حيادها وانحيازها للغرب بمثابة تهديد لأمنها القومي.

ويمكن الإشارة إلى أن الاحتقان بين الأطراف ناتج عن اتجاه واشنطن لتركيز آلياتها القتالية بالقرب من الحدود الروسية في قواعد عسكرية بدول شرق أوروبا والبلطيق، وإعادة الأسلحة النووية الأميركية إلى أراضي بريطانيا، وكذلك استحداث ستة "مراكز قيادة" متعددة الجنسيات في شرق أوروبا، في كل من بلغاريا وإستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندا ورومانيا، فضلًا عن تشكيل قوة تدخل سريع، تشارك فيها فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وبريطانيا وبولندا، وذلك ردًا على ما اعتبره الحلف "أعمالًا عدوانية تقوم بها روسيا" في أوكرانيا.[1]

أما على المستوى السياسي فإن دعم واشنطن لسياسة "الأبواب المفتوحة" لحلف الناتو، وحق جورجيا وأوكرانيا في تقرير مستقبلهم كان استفزازًا إضافيًا لروسيا. وطبقًا لحالة تنامي التوتر بين روسيا والغرب فقد تم إعلان تجديد العقيدة العسكرية الروسية الرابعة استباقًا لموعدها بست سنوات كاملة، حيث دشنت في العام ٢٠١٤، وهي العقيدة التي تم فيها اعتبار الناتو مصدر خطر رئيس على الأمن القومي الروسي. ورغم تأكيد العقيدة العسكرية الروسية على طابعها الدفاعي وعدم التدخل عسكرياً إلا بعد استنفاد كل الوسائل السلمية، فإنها أكدت حق روسيا في الدفاع عن أمنها ومواجهة التهديدات السابقة بحسم وقوة، حيث خولت روسيا حق استخدام السلاح النووي ضد أي خطر يهدد وجود الدولة.

ولعل تصاعد التوتر بين روسيا والناتو كان وراء إلغاء زيارة أوباما لموسكو في العام ٢٠١٣. وبداية شتاء قاسٍ في العلاقات بين روسيا والغرب أنتجت الحرب في أوكرانيا التي يمكن تصنيفها على أنها صراع عالمي جديد قد يماثل بيئة الصراع العالمي ما قبل الحرب العالمية الأولى،[2] خصوصًا إذا تم رصد أن العقيدة العسكرية الروسية التي صدق عليها الرئيس بوتين يوم ٢٦ كانون الأول ٢٠١٤، وتعد

بوتين وولي العهد السعودي محمد بن سلمان في قمة مجموعة العشرين في العام ٢٠١٨. (رويترز)

الرابعة منذ تفكك الاتحاد السوفييتي، حيث تم استباق موعد التجديد بست سنوات كاملة في ضوء مجموعة من المستجدات والتحديات في مقدمتها تمدد حلف شمال الأطلسي (الناتو).

أما على الصعيد الاقتصادي، كان بناء القدرات الاقتصادية الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي أحد أسباب تصاعد النفوذ الروسي، حيث تعد روسيا أكبر مصدري البترول والغاز بما يزيد عن٥٧٪ على الصعيد العالمي، حيث ارتفع حجم تجارة روسيا الخارجية خلال ٢٠٢١ إلى ٧٨٩,٤ مليار دولار، بزيادة نسبتها ٣٧,٩٪ عن العام ٢٠٢٠. وسجل احتياطي المركزي الروسي ٦٤٣,٢ مليار دولار، في ٢٥ شباط ٢٠٢٢، وهو ما يعد رقمًا قياسيًا، إذ يعادل أكثر من ١٧ شهرًا من عائدات الصادرات الروسية.

تصدر روسيا نحو ٥ ملايين برميل يوميًا من النفط الخام، و٢,٥ مليون برميل يوميًا من المنتجات البترولية المكررة بما يمثل نحو ١٠٪ من تجارة النفط العالمية؛ أي أكثر من ٧٠٠ مليون دولار يوميًا من النقد النفطي. كما تصدر روسيا ٢٣ مليار قدم مكعبة يوميًا من صادرات الغاز الطبيعي (نحو مليارى قدم مكعبة في اليوم كانت تمر عبر أوكرانيا) بقيمة ٤٠٠ مليون دولار أخرى. ولعل المقاربة الاقتصادية الروسية الأهم هي إعادة التقويم بالذهب كبديل للدولار بما يشكله ذلك من تهديد لاقتصادها في ضوء عدم استقرار علاقتها بالولايات المتحدة الأميركية، حيث تمتلك روسيا حاليًا ما قيمته ١٣٠ مليار دولار من الذهب مقارنة بمليار واحد فقط في العام ١٩٩٥، كما أن صادراتها لكل من البرازيل والهند وجنوب أفريقيا والصين تتم بالعملة الروسية. .

ثانيا: آليات صعود النفوذ الروسي

التحقت روسيا بالآليات الصينية العالمية لبناء نفوذ الأولى، وهو ما انعكس على الوزن النسبي للقدرات الروسية بالإيجاب. فعلى صعيد مواز لبناء القدرات العسكرية الروسية على المستوى الداخلي، استحدثت كل من الصين وروسيا مجموعة من الآليات المناظرة لمنظمات دولية يسيطر عليها الغرب، منها منظمتا شنغهاي و"بريكس"، وقد تأسست الأولى في مدينة شنغهاي الصينية في العام١٩٩٦. وتضم حاليًا ثماني

دول هـي: الصـين والهنـد وكازاخسـتان وقرغيزسـتان وروسـيا وباكسـتان وطاجيكسـتان وأوزبكسـتان، وأربـع دول بصفـة مراقـب ترغـب بـأن تصبـح كاملـة العضويـة وهـي: أفغانسـتان، وبيلاروسـيا، وإيـران، ومنغوليـا. كمـا تقيـم المنظمـة علاقـات مـع سـت دول أخـرى بصفتهـا "شركاء الحـوار"، وهـي: أرمينيـا وأذربيجـان وكمبوديـا ونيبـال وسري لانـكا وتركيـا، وفي العـام ٢٠٢١ تقـرر البـدء بعمليـة ضـم إيـران إلى المنظمـة كدولـة كاملـة العضويـة. تأسسـت هـذه المجموعـة بهـدف أمنـي رئيـس هـو التعـاون في مجـال محاربـة الحـركات المتطرفـة والإرهابيـة، ومحاربـة الجريمـة وتجـارة المخـدرات، وقـد توسـعت أيضـاً في قمـة "أوفـا" التـي انعقـدت بروسـيا في العـام ٢٠١٣ لتضـم الهنـد وباكسـتان إلى جانـب روسـيا والصـين وأربـع مـن دول آسـيا الوسـطى، لتصبـح فاعـلًا أمنيًـا مؤثـرًا في منطقـة أوراسـيا، وليـبرز نـادٍ نـووي جديـد يضـم روسـيا والصـين والهنـد وباكسـتان في مواجهـة النـادي النـووي التقليـدي الـذي تتزعمـه الولايـات المتحـدة ويضـم حلفاءهـا الغربيـين في حلـف شـمال الأطلـسي.

أمـا الآليـة الثانيـة التـي تعتمـد عليهـا روسـيا فهـي مجموعـة "بريكـس" التـي ظهـرت للوجـود عـام ٢٠٠٩، وتضـم روسـيا والصـين والهنـد والبرازيـل، وانضمـت إليهـا جنـوب أفريقيـا عـام ٢٠١٠، بينمـا مـن المتوقـع أن تضـم دولتـين مـن أهـم دول الـشرق الأوسـط بنـاء عـلى طلبهمـا همـا مـصر والمملكـة السـعودية طبقًـا لتصريحـات رئيسـة المجموعـة في تمـوز المـاضي .

تبلـورت فكـرة "بريكـس" مـن وجـود حاجـة إلى صـوت للاقتصـادات الناشـئة في المجتمـع الـدولي خصوصًـا أن هـذه المجموعـة تمثـل ٤١ ٪مـن سـكان العالـم، أي أكثـر تسـع مـرات عـلى الأقـل مـن سـكان الولايـات المتحـدة، وتُشـكل مسـاحتها نحـو ٢٩ في المائـة مـن مسـاحة العالم، وهـي كذلـك دول أعضـاء في مجموعة العشريـن التـي تمثـل أقـوى اقتصـادات العالم. ويشـكل الناتـج القومـي لـدول "بريكـس" ٢٧ تريليـون دولار، قبـل انضمـام كل مـن مـصر والسـعودية؛ أي مـا يزيـد عـلى ربـع الناتـج القومـي العالمـي. وتشـير التوقعـات إلى أن العقـد القـادم سيشـهد زيـادة الناتـج القومـي لمجموعـة "بريكـس" ليصـل إلى نصـف الناتـج القومـي العالمـي؛ أي أنـه سـيتفوق عـلى اقتصـاد مجموعة السـبع. كمـا أن عـدد سـكان "بريكـس" البالـغ ٣,٢ مليار نسـمة (وهـم في ازديـاد) أكثـر مـن ثلاثـة أضعـاف عـدد سـكان مجموعـة السـبع البالـغ ٩٨٧ مليـون نسـمة.

وعـلى الرغـم مـن الـوزن الاقتصـادي والديمغـرافي لمجموعتـي "بريكـس" وشـنغهاي، فـإن تأثيرهمـا وتمثيلهمـا في المنظمـات الدوليـة مثـل البنـك الـدولي وصنـدوق النقـد الـدولي لا يقـارن بالـدول الأوروبيـة التـي يتـم دعمهـا أكثـر مـن غيرهـا، مـن هنـا أنشـأت مجموعـة "بريكـس" «بنـك التنميـة الجديـد» (NDB) عـام ٢٠١٥ بـرأس مـال بلـغ ٥٠ مليـار دولار، وبحصـص متسـاوية بـين الـدول الخمـس. يهـدف هـذا البنـك إلى دعـم مشـاريع البنـى التحتيـة في الـدول الأعضـاء في كل مـن "بريكـس" وشـنغهاي، حيـث دعـم خـلال الخمـس سـنوات الأخـيرة ٧٠ مشروعًـا للبنـى التحتيـة بأكثـر مـن ٢٥ مليـار دولار، ممـا أثبـت مصداقيـة عاليـة لهـذه المجموعـة عـلى الصعيـد العالمـي.

أمـا عـلى الصعيـد الإجرائـي، فقـد عمـدت مجموعتـا "بريكـس" وشـنغهاي أن تكـون قممهمـا موازيـة ومناظـرة للمنظمـات العالميـة الغربيـة حيـث جـاء انعقـاد الاجتمـاع الرابـع عـشر في الصـين أواخـر شـهر آب ٢٠٢٢، تزامنـا مـع انعقـاد اجتمـاع الـدول السـبع في ألمانيـا، واجتمـاع حلـف الناتـو في إسـبانيا.[٣] وهـي القمـة التـي تقدمـت فيهـا مـصر وقطـر والمملكـة العربيـة السـعودية بطلبـات للحصـول عـلى صفـة "شركاء الحـوار" في منظمـة شـنغهاي. ويمكـن القـول إن كل مـن منظمتـي "بريكـس" وشـنغهاي قـد بـرزا خـلال الفـترة الماضيـة كفواعـل دوليـة مهمـة ومؤثـرة عـلى الصعيديـن الاقتصـادي والأمنـي، فـكل دول "بريكـس" أعضـاء في الهيئـات الدوليـة مثـل اتفاقيـة التجـارة العالميـة ومجموعـة العشريـن. UNFCC، واتفاقيـة تغـير المنـاخ. OMC

وطبقًـا لذلـك، فـإن اسـتقرار الـشراكات والتحالفـات الاقتصاديـة والأمنيـة الروسـية في إطارهمـا، فضـلًا عـن حجـم موازنتهمـا البالغـة ٢٠٠ مليـار دولار، كلهـا تعـد مـؤشرات عـلى الصعـود الـروسي كقطـب عالمـي، خصوصًـا وأن ظهـور دول مجموعـة بريكـس كأقطـاب جديـدة للتنميـة مـن خـلال تحقيقهـا نمـوًا اقتصاديًـا مسـتدامًا، وزيـادة القـدرات العسـكرية، وفعاليـة التوسـع في مجـال التكنولوجيـا الحديثـة، وزيـادة معـدل السـكان جعلهـا توجـه حجمهـا الضخـم نحـو المصـادر السياسـية والعسـكرية ومحاولـة إعـادة توزيـع القـوى

في العالم، وتشكيل نظام متعدد الأقطاب، فظهور هذه الدول كفاعلين مؤثرين في النسق الدولي، جعل القوة لا تقتصر على الفاعلين التقليديين بزعامة الولايات المتحدة الأميركية، بل تم تصنيفهم كلاعبين جدد يمكن أن يؤثروا على ديناميكيات القوة العالمية، بما يشكله ذلك من تحدٍ لوضع الولايات المتحدة في هيكل الهيمنة العالمي .

وفي سياق موازٍ للآليات المشتركة مع الصين امتلكت روسيا آلياتها الخاصة، ومن ذلك الآليات العسكرية، حيث اعتمدت على فواعل عسكرية شبه مستقلة على الأرض وتصدير التكنولوجيا العسكرية، وتعد شركة فاغنر من أهم الآليات الروسية الراهنة في التفاعل مع الخارج، حيث بدأت الشركة هذه المسيرة عام ٢٠١٣ مع احتدام الأزمة السورية، وتنتشر حاليًا في ٢٣ دولة، وتعد آلية منخفضة التكاليف السياسية والاقتصادية بالنسبة لروسيا، وذلك عبر علاقة غير مباشرة بالحكومة الروسية، وبالتالي فالتكاليف السياسية منخفضة، فضلا عن انخفاض تكاليف عملها الاقتصادية مقارنة بالشركات الغربية المثيلة مثل black water الأميركية حيث يتقاضى المرتزق الأميركي أربعة أضعاف أجر المرتزق الروسي، وربما يكون توصيف بوتين لها واقعيًا لكونها وسيلة لتنفيذ المصالح الوطنية دون مشاركة مباشرة من الحكومة الروسية.[٤]

وتتعدد المهام التي تضطلع بها فاغنر في أفريقيا ما بين سياسية وعسكرية وأمنية وإعلامية، فإلى جانب المشاركة في عمليات القتال في الخطوط الأمامية، توفر الشركة الروسية التدريب على الأسلحة ودعم الشرطة وأجهزة الاستخبارات المدنية وعمليات التأمين الشخصي لكبار الشخصيات السياسية. وفي هذا السياق تنشط فاغنر في مجالي جمع المعلومات وتوجيه الرأي العام داخل الدول الأفريقية، وذلك من خلال منصات التواصل الاجتماعي، حيث تمتلك فاغنر ٧ حسابات على Instagram و٧٣ صفحة على Facebook بلغ عدد متابعيها أكثر ١,٧٢ مليون حساب، يركز محتواها على المصالح الروسية، ولعل أنشطة فاغنر في السودان تؤشر إلى مساندة السلطة الراهنة مقابل تحالف المعارضة السودانية.[٥]

وقد وفر هذا الانتشار لقوات شركة فاغنر الأمنية بيئة آمنة للاستثمارات الروسية في البيئة الإفريقية المضطربة تقليديًا، فنشطت الاستثمارات المباشرة الروسية في السودان - على سبيل المثال لا الحصر - التي تهتم فيها روسيا بالتعدين . وفي الأخير، يبدو أن حجم العوائد المالية المجزية لشركة فاغنر قد ساهم بشكل مباشر في فتح الباب أمام جيل ثانٍ من الشركات العسكرية الروسية الخاصة، حيث بدأت شركتان جديدتان هما باتريوت Patriot وسيو Sew للخدمات الأمنية عملياتهما في أفريقيا منذ العام ٢٠١٨.

أما على صعيد تصدير التكنولوجيا فقد باتت موسكو المورّد الرئيسَ للتكنولوجيا العسكرية للدول الإفريقية، ومن أهم موردي الأسلحة لدول الشرق الأوسط، حيث تجاوزت مبيعات الولايات المتحدة الأميركية. وكانت النسبة الأكبر لمبيعات الأسلحة الروسية إلى الجزائر (٥٨,٦٤٪) ثم مصر (٢٥,٩٦٪)، فأوغندا (٥,١٧٪)، والسودان (٢,٦٣ ٪) وأنغولا (٢,١١٪) .. وتشير الإحصائيات أن أكبر أربعة موردي أسلحة لأفريقيا في العام ٢٠١٧ هم: روسيا في المرتبة الأولى بنسبة ٣٧,٦٪ تليها الولايات المتحدة ١٦,٣٪ وفرنسا ١٤,٦٪ ثم الصين ٩,٢٪.[٦] وقد تطورت مبيعات الأسلحة الروسية للدول الإفريقية خلال السنوات اللاحقة طبقا للجدول الآتي:

صادرات الأسلحة من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والصين إلى إفريقيا

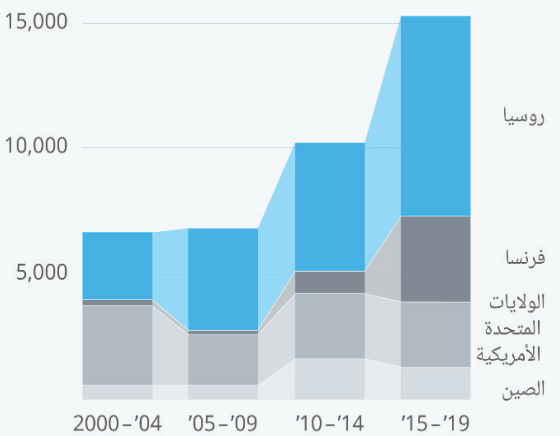

القيمة بالملايين بناء على مؤشر الاتجاه TIV، من أجل تسعير القدرة العسكرية لعمليات نقل الأسلحة بدلا من القيمة المادية

المصدر: معهد ستوكهولوم الدولي لأبحاث السلام

وقد نشطت روسيا ثالثًا في قطاع الطاقة بدول الشرق الأوسط وأفريقيا في ما يمكن تسميته بدبلوماسية الطاقة التي تشكل إحدى الروافع الرئيسة للنفوذ الروسي حاليًا، فالاستثمارات الرئيسة نجدها في النفط والغاز والتعدين والطاقة النووية. وتقود هذه الاستثمارات شركات مثل جازبروم ووكويل وروستيك وروساتوم التي لها استثمارات في الجزائر ومصر والسودان وجنوب أفريقيا وأوغندا وأنغولا، على أن الوجود الروسي في قطاع الطاقة قد يجد منافسة حادة من أوروبا نتيجة احتياجها لتوفير بدائل للغاز الروسي، وهو ما دفع ربما رئيس الوزراء الإيطالي ماريو دراجي لتنظيم جولة في عدد من الدول الإفريقية، كما سوف تحوز كل من مصر والجزائر أهمية إستراتيجية لأوروبا خصوصًا بعد أن أقدمت روسيا بالفعل على قطع إمدادات الغاز عن فنلندا، كما أنه من المتوقع أن تحوز الطاقة الشمسية في دول الساحل الإفريقي على اهتمام أوروبي في المرحلة القادمة.

ثالثًا: تداعيات صعود النفوذ الروسي في الشرق الأوسط

انفتحت مجموعة "بريكس" في تفاعلاتها مع محيطها الإقليمي والدولي وهو ما يمكن رصده على صعيد الشرق الأوسط من لقاء زعماء "بريكس" مع دول الاتحاد الأفريقي عام ٢٠١٣، حيث كانت القمة في جنوب أفريقيا. وفي أيار ٢٠٢٢ تم توسيع دائرة الحوار وتوسيع عضوية المجموعة حيث انضم إلى مشاورات "بريكس بلس" من دول الشرق الأوسط ممثلون عن كل من مصر ودولة الإمارات والمملكة السعودية إلى جانب نيجيريا وتايلاند والسنغال وإندونيسيا وكازاخستان وكلها دول تعتبر أعضاء محتملين في "بريكس".

يمكن في هذا السياق رصد التأثيرات المباشرة للصعود الروسي في النظام الدولي وزيادة تأثيره على دول الشرق الأوسط في عدد من المؤشرات، منها مضمون خطابات دول الشرق الأوسط في قمة الرئيس الأميركي جو بايدن بالمملكة السعودية حيث لوحظ أن خطاب ولي العهد السعودي محمد بن سلمان جاء محددًا سقف المملكة الأعلى في ما يتعلق بإمدادات الطاقة مفارقًا التوقعات الأميركية في هذا الملف، حيث طالب بايدن برفع طاقة المملكة الإنتاجية من البترول لحدود لم تقبلها الرياض، وذلك لمواجهة تداعيات خروج روسيا من سوق الطاقة الغربي، أما الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي فقد أشار إلى الدور الغربي في تفتيت الدول والتسبب في عدم الاستقرار الإقليمي.

شكلت زيارة وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف إلى شمال أفريقيا وشرقها في منتصف عام ٢٠٢٢ مؤشرًا إضافيًا على وجود اتجاه روسي بالعودة إلى منطقة الشرق الأوسط وشرق أفريقيا، حيث تم التأكيد في مصر على الالتزام الروسي بإنشاء محطة الضبعة النووية، كما تم التطرق إلى أزمة سد النهضة كأزمة إقليمية تتطلب جهدًا دوليًا.

رابعا: الأدوار الروسية في الشرق الأوسط

أ- العلاقة الروسية -السورية

يمكن القول إن المقاربات الروسية في الأزمة السورية أثبتت صمودها، مقابل المقاربات الأميركية، ذلك أن استمرار الرئيس السوري بشار الأسد في موقعه يعد نجاحًا للرؤية الروسية التي بلورت موقفها أن استمراره هو شرط عدم تفتت الكيان السوري، على الشاكلة التي جرت في كل من ليبيا والعراق.

في هذا السياق، يعد التدخل الروسي في أزمتي سورية وليبيا من المؤشرات المهمة على تصاعد الأدوار الروسية في المنطقة، حيث قادت روسيا حراكًا دبلوماسيًا في إطار رؤية تهدف إلى "مصالحة ما" بين الأطراف الإقليمية للأزمة السورية انطلاقًا من أن التحديات الخطيرة التي تتهددها جميعًا قد تمثل حافزًا لإعادة إطلاق العلاقات فيما بينها، وتشكيل تحالف واسع ضد تنظيم "داعش"، الذى أصبح تمدده المتواصل خطرًا حقيقيًا على دول المنطقة كلها.

ونظرًا لتعقد الأزمة السورية وتناقض الرؤى والتوجهات بشأنها، فقد أطلق وزير الخارجية السوري وليد المعلم في هذا التوقيت، على المبادرة الروسية "معجزة بوتين الشرق أوسطية" إذا تمت،

في سياق موازٍ للآليات المشتركة مع الصين، امتلكت روسيا آلياتها الخاصة، ومن ذلك الآليات العسكرية، حيث اعتمدت على فواعل عسكرية شبه مستقلة على الأرض وتصدير التكنولوجيا العسكرية، وتعد شركة فاغنر من أهم الآليات الروسية الراهنة في التفاعل مع الخارج، حيث بدأت الشركة هذه المسيرة عام ٢٠١٣ مع احتدام الأزمة السورية، وتنتشر حاليًا في ٢٣ دولة.

وأبدى استعداد سورية الدخول في أي تحالف تقوده وترعاه روسيا. ولا يتم الحديث هنا عن قوات مشتركة أو تدخل عسكري وإنما تعاون وتنسيق استخباراتي وأمني، وتفاهمات سياسية قادت في النهاية ضمن جهود بأوزان أقل إلى تسوية نسبية للأزمة السورية باعتبارها المعضلة الأم والحاضنة لتمدد الارهاب.

في هذا الإطار تحركت روسيا على محورين، الأول الانفتاح على مختلف الأطراف الدولية والإقليمية المعنية بالأزمة ومحاولة التقريب بينها. أما المحور الثاني، فيتمثل في سعي روسيا نحو لم شمل المعارضة السورية ومساعدتها على بلورة رؤية مشتركة لمستقبل سورية، حيث كان للدبلوماسية الروسية دور في التوصل لخطة كوفي أنان للتسوية في سورية. وكانت موسكو صاحبة مبادرة عقد مؤتمر جنيف الدولي للتسوية في سورية تحت رعاية الأمم المتحدة، كما طرحت روسيا مبادرة تدمير الأسلحة الكيماوية السورية مقابل وقف الضربة العسكرية الأميركية لسورية وعقد مؤتمر جنيف٢. ودعت روسيا لعقد مؤتمر جنيف ٣ بحضور كل الأطراف الدولية والإقليمية المعنية بالأزمة إلى جانب المعارضة والحكومة السورية.

في هذا السياق، بدأت حملة عسكرية روسية في سورية بتنسيق استخباري مع كل من إيران والعراق فضلًا عن الجيش السوري، حيث بدأت الضربات الجوية الروسية على الفور ضد مواقع تنظيم "داعش" الإرهابي وغيره من التنظيمات الإرهابية في سورية. ويبدو أن الحملة الروسية قد تحركت ضمن اعتبارات حماية الأمن القومي الروسي مع تصاعد التهديد الداعشي وانعكاسات ذلك على الداخل الروسي خاصة مع تنامي صلات التنظيم مع نظرائه في القوقاز، وتزايد أعداد المنضمين إلى صفوفه من الروس ودول آسيا الوسطى. فوفقًا لبيانات هيئة الأمن الروسية هناك ما يزيد عن ٢٤٠٠ من مواطني روسيا حاربوا في صفوف تنظيم "داعش". ومن ثم فإن خطر داعش لا يتهدد سورية والمنطقة فحسب، ولكن روسيا أيضاً، خاصة وأن التنظيم أعلن روسيا عدوًا له وأعلن "الجهاد" ضدها.

وطبقًا لخبراء عسكريين، فإن روسيا قد وجهت في حربها ضد داعش حتى العام ٢٠١٥، ١١٢ غارة جوية، وأطلقت ٢٦ صاروخًا مجنحًا من السفن الروسية في بحر قزوين إلى أهداف في سورية مباشرة عبر أجواء إيران والعراق بالتنسيق مع الدولتين باستخدام منظومة "كاليبر إن كا". وقد نجحت هذه الغارات في تدمير ٨٤ موقعًا لداعش تتضمن مراكز قيادة ومخازن سلاح ومستودعات ذخيرة وقواعد أسلحة ومراكز اتصالات ومعامل لصنع المتفجرات وخزانات وقود، إلى جانب معدات وآلات عسكرية ونقاط ارتكاز عدة، تمثل في مجموعها، وفق بعض التقديرات، نحو ٤٠٪ من البنى التحتية التابعة لتنظيم داعش.[٧]

وبطبيعة الحال انعكس التعاون الروسي مع النظام السوري على الصعيد الاقتصادي، حيث تطورت العلاقات بين البلدين في إطار عدد من المشروعات المهمة منها: الاهتمام بتطوير التنقيب عن النفط والغاز في سورية، وإنشاء قرية صادرات وواردات في اللاذقية، وكذلك افتتاح فروع للمصارف الروسية في سورية، وتمويل المشاريع بين البلدين بالعملات الوطنية، فضلًا عن إطلاق الممر الأخضر البحري بين البلدين.

يمكن القول إن التناقض الروسي الخليجي في ما يتعلق بالأزمة السورية قد أثر مرحليًا على العلاقات بين الطرفين وذلك مع الرؤية الخليجية بضرورة إزاحة بشار الأسد من المشهد السوري، المتوافقة في مع الرؤية الغربية ، لكن اعتبارًا من العام ٢٠١٣ تم تجاوز هذا التوتر نسبيًا.

ب- العلاقات الروسية مع دول الخليج

إن العلاقة التي تربط روسيا ودول الخليج العربية ترتبط بشكل كبير بالمتغيرات الإقليمية المحيطة بالمنطقة، والتحولات التي تظهر في النظام السياسي الدولي، حيث إن التحول الذي حدث في النظام الدولي، بعد تفكك الاتحاد السوفييتي في العام ١٩٩١، كان له أثره الكبير في حدوث تغيرات واضحة في الإستراتيجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط، ومن ضمنها منطقة الخليج العربي.

في هذا السياق، يمكن القول إن محددات العلاقات الروسية الخليجية تدور حول النفط، حيث يعتبر الطرفان مؤثرين على سوق النفط العالمي، ومن هنا يكون من الأهمية بمكان التنسيق لتجنب الأضرار المرتبطة بعدم التوافق على التسعير.

كما تشكل العلاقة مع إيران أحد المحددات في العلاقة بين الطرفين في ضوء الصراع الخليجي الإيراني الممتد منذ ثلاثة عقود تقريبًا، وأصبحت له تداعياته في منطقة الشرق الأوسط خصوصًا في اليمن ولبنان وشرق أفريقيا .

في هذا السياق، يمكن القول إن التناقض الروسي الخليجي في ما يتعلق بالأزمة السورية قد أثر مرحليًا على العلاقات بين الطرفين وذلك مع الرؤية الخليجية بضرورة إزاحة بشار الأسد من المشهد السوري، المتوافقة في مع الرؤية الغربية ، لكن اعتبارًا من العام ٢٠١٣ تم تجاوز هذا التوتر نسبيًا، وذلك مع النشاط الدبلوماسي الروسي في منطقة الشرق الأوسط عبر الدبلوماسية الرئاسية الروسية وزيارات الرئيس الروسي بوتين للشرق الأوسط ، حيث شهدت العلاقات الروسية الخليجية نقلة نوعية مع زيارة ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان لروسيا بعد نحو أربع سنوات من تجميد العلاقات بين موسكو والرياض على خلفية تباعد مواقف البلدين من الأزمة السورية. وقد شارك الأمير في فعاليات منتدى سان بطرسبرج الاقتصادي، حيث فرضت الملفات السياسية نفسها على المباحثات الثنائية نظرًا لإلحاحها ومحوريتها، وفي مقدمتها الملف اليمني وملف الطاقة وأسعار النفط، وسبل مواجهة الإرهاب في المنطقة وتمدد تنظيم الدولة الإسلامية "داعش". كما كان لمشاركة وفد عسكري سعودي رافق الأمير محمد بن سلمان في فعاليات منتدى "الجيش الروسي -٢٠١٥" الذي عُقد بضواحي موسكو أهميتها الخاصة، حيث أمكن مع حلول العام ٢٠١٥ تجاوز أزمة الحملة العسكرية الروسية على سورية وطبيعة رؤية الخليج لها وذلك على هامش فعاليات سباق السيارات "فورمولا - ١" التي حضرها ولي العهد السعودي في منتجع سوتشي الروسي، ذلك أن المباحثات بين الجانبين الروسي والخليجي تناولت كافة القضايا الإستراتيجية والسياسية المهمة وعكست تفاهمًا واضحًا حول الملف السوري.

في هذا السياق، تم بلورة أكثر من منتدى أعمال بين روسيا ودول الخليج كل على حدة، وتم عقد ١٥ اتفاقية عسكرية واقتصادية بين الرياض وموسكو وهو ما تكرر مع دول خليجية أخرى .كما تم تمويل خليجي لصفقات عسكرية استفادت منها كل من مصر تضمنت ٢٤ طائرة ميج ٢٩ وأنظمة صاروخية إم تو، كما أن دولة الإمارات تطرح تعاونًا عسكريًا مشتركًا مع روسيا في إطار تطوير أنواع من الصواريخ فضلًا عن التسليح الروسي للبحرين بمضادات للدبابات من نظام كورنيت آر أم. [٨]

رسم تعبيري عن التمدد الروسي، (عن"فورن بوليسي").

ج- العلاقات الروسية - المصرية

اعتبارًا من العام ٢٠١٥ تم تبادل الزيارات الرئاسية بين القاهرة وموسكو، وكانت مصر الشريك الرئيس لموسكو في القمة الروسية الإفريقية الأولى في العام٢٠١٩ التي انعقدت في سوتشي. ويمكن القول إن التعاون العسكري المصري الروسي يتصدر مشهد التعاون الثنائي بين البلدين، حيث انعقدت اللجنة المشتركة بين الطرفين في آذار ٢٠١٥، وتم توقيع برتوكول للتعاون العسكري والاستخباري في مجال مكافحة الإرهاب، وعلى صعيد مواز، تم توقيع اتفاق إنشاء المحطة النووية المصرية لتوليد الكهرباء في منطقة الضبع. وزار وفد روسي متخصص في مجال الطاقة النووية محافظة مرسي مطروح حيث من المقرر إقامة المشروع، صاحب ذلك عقد الملتقى المصري الروسي الأول في التطبيقات النووية السلمية بمشاركة أكثر من ثلاثين خبيرًا روسيًا في المجال النووي.

يضاف إلى ما سبق، الاتفاق حول قيام روسيا بتوريد ست شحنات من الغاز الطبيعي المسال سنويًا ولمدة خمس سنوات لمصر في محاولة لسد احتياجات الاستهلاك المحلي المتنامي من المنتجات النفطية والغاز الطبيعي. والاتفاق على إنشاء المنطقة الصناعية الروسية المتخصصة في الصناعات المغذية للسيارات والطائرات والحاسبات الإلكترونية وبعض السلع الهندسية في منطقة محور قناة السويس. والاتفاق على إنشاء منطقة تجارة حرة بين مصر والاتحاد الاقتصادي الأوراسي الذي يضم روسيا وبيلاروس وكازاخستان وأرمينيا، الأمر الذى يفتح أسواقًا جديدة أمام المنتجات المصرية ويعزز الصادرات المصرية لروسيا التي زادت بنسبة ٣٠٪ في الفترة من ٢٠١٥ إلى ٢٠٢١. كما تم الاتفاق على مشاركة روسيا في المشروع المصري لإنشاء المركز اللوجستي العالمي لتخزين الغلال والحبوب وتداولها، ومن المعروف أن روسيا تمد مصر بنحو ٤٠٪ من احتياجاتها من القمح بقيمة ١,١ مليار دولار. كما تتصدر روسيا قائمة الدول المصدرة

للسياحة لمصر، بنحو ٣ مليون سائح سنويًا.

في هذا السياق، بدأ اهتمام قطاع الأعمال الروسي بمصر منذ العام ٢٠١٥، حيث قام وزير الصناعة الروسي بأكثر من زيارة لمصر على رأس وفود ضخمة من رجال الأعمال الروس. ولعل الخطاب السياسي الروسي المؤسس على نهج مضاد للمناهج الغربية في فرض مشروطيات معينة في عمليات التحول نحو الديمقراطية أثر كبير في التقارب بين روسيا وبعض دول الشرق الأوسط وأفريقيا، حيث قال الرئيس بوتين "نشهد أن بعض الدول الغربية تنتهج منهج الضغط والترهيب والابتزاز تجاه حكومات البلدان الأفريقية ذات السيادة. إذ أنها تحاول باستخدام هذه الوسائلباستعادة نفوذها المفقود وهيمنتها الماضية في مستعمراتها السابقة، وتسعى - ولو "بغلاف جديد" - إلى الحصول على الأرباح الزائدة واستغلال القادة بغض النظر عن احتياجات سكانها أو إلى المخاطر البيئية وغيرها من المخاطر".[٩] وطبقًا لهذا الخطاب كانت المخرجات الاقتصادية لقمة سوتشي أكثر من ٥٠ من الاتفاقيات والمذكرات والعقود التي وُقّعت بين روسيا والدول الإفريقية، حيث بلغ إجمالي الحجم المالي للوثائق نحو٨٠٠ مليار روبل (نحو ١٢,٥ مليار دولار).[١٠]

د- العلاقات الروسية الإسرائيلية

في ضوء القوة الإقليمية الإسرائيلية وعلاقتها العضوية بالكتلة الغربية، فإن محددات العلاقات الروسية الإسرائيلية تتبلور في محاولة موسكو تحييد تل أبيب قدر الإمكان بما لا يشكل إضرارًا بمصالح روسيا الاتحادية، وطبقًا لذلك تحتاج موسكو إسرائيل لتقويض الجهود الغربية لوضع روسيا تحت عزلة دولية، فضلًا عن أهمية التنسيق معها في ما يتعلق بسورية نظرًا لطبيعة الدور الإسرائيلي في المعادلات السورية، كما يشكل وزن اليهود من أصول روسية داخل إسرائيل أحد محددات العلاقات بين الطرفين والذي فرض علاقات ثقافية مؤثرة فضلًا عن العلاقات الاقتصادية التي يلعب فيها تصدير السلاح الروسي لإسرائيل أحد أهداف موسكو.

لا يمنع بلورة العلاقات الروسية الإسرائيلية نحو احترام الأوزان المتبادل من وجود أزمات مؤثرة بين الطرفين لسببين، الأول: المخاوف الإسرائيلية من الأدوار الروسية في سورية، والثاني: طبيعة العلاقات الروسية الإسرائيلية .

وقد أنتجت الحرب الروسية على أوكرانيا أحدث الأزمات الروسية الإسرائيلية نظرًا لانحياز إسرائيل الملحوظ نحو أوكرانيا بعد مرحلة من محاولة تل أبيب التوازن بين موسكو وكييف، حيث سعت إلى لعب دور يمنع الاستقطاب الشامل، خصوصًا مع وجود رئيس أوكراني من أصل يهودي. لكن مع تطور الحرب ضاق هامش المناورة المسموح به من جانب واشنطن لإسرائيل، وأصبحت الأخيرة تمارس انحيازًا واضحًا لأوكرانيا، فأنشأت مستشفى ميدانيًا في أوكرانيا، وأرسلت شحنات من معدات الحماية إلى خدمات الطوارئ الأوكرانية، وقرَّرت التصويت لصالح قرار الأمم المتحدة بتعليق عضوية روسيا في لجنة حقوق الإنسان في نيسان.

في المقابل انتقدت موسكو الاعتداءات الإسرائيلية في القدس، وساعدت سورية بإسقاط صاروخ إسرائيلي دقيق التوجيه في خطوة هي الأولى من نوعها. وعلى الرغم من التوتُّر الراهن بين الطرفين لم تقدم إسرائيل دعمًا عسكريًا لأوكرانيا، وذلك تحسبًا، لحرمانها من حرية التحرك العسكري في سورية من جانب موسكو، فضلًا عما يمثله ذلك من دعم الحلف الروسي الإيراني الذي سيكون معاديًا لإسرائيل.

وطبقًا لهذه المعادلات الحرجة، فإن تفاعلات العلاقات الروسية الإسرائيلية سوف تتحدد في المرحلة المقبلة طبقًا لمسارات الحرب الروسية الأوكرانية ونتائجها النهائية.

هـ- العلاقات الروسية بشرق أفريقيا

تبدو كل من السودان وإثيوبيا مرشحين لتنامي النفوذ الروسي، وذلك بعد انتقال الحكم في ٢٥ تشرين الأول في السودان من ناحية، واهتمام سيرجي لافروف وزير الخارجية الروسي بزيارة إثيوبيا بعد اندلاع الحرب على أوكرانيا على خلفية محاولة صناعة دور روسي في أزمة سد النهضة.

على الصعيد السوداني هناك محاولات روسية للحصول على قاعدة عسكرية روسية على الشواطئ السودانية لم تصادف نجاحًا حتى الآن بسبب تأرجح التموضع السوداني على الصعيد الدولي بعد ثورة ٢٠١٨، وهو التأرجح المرتبط بالمعادلات السياسية الداخلية من جهة، وطبيعة الضغوط الغربية على المكون العسكري السوداني في الفترة الانتقالية من جهة أخرى.

وربما يكون من الأهمية بمكان ذكره هنا هو اعتراف نائب رئيس المجلس السيادي السوداني محمد حمدان دقلو بسيادة جمهوريتي دونيتسك ولوهانسك واستقلالهما عن دولة أوكرانيا في أعقاب الغزو الروسي لأوكرانيا مباشرة، وهو ما يؤكد الانتباه العام من القوى الشمولية وغير الديمقراطية لإمكانية الاستفادة من روسيا في هذا التوقيت في مواجهة الضغوط الغربية، حيث أن هذا الاعتراف السوداني بسيادة الإقليمين الأوكرانيين، قد ينتج عنه حصول حميدتي على طائرات درون روسية، الأمر الذي قد يتسبب بخلل في توازنات القوي بين القوات المسلحة السودانية الرسمية وقوات الدعم السريع التي يمكن أن تتحول بسهولة في ضوء هذا الخلل إلى نماذج مثل الحوثي أو حزب الله في المعادلة السياسية السودانية الحرجة أصلًا، وذلك مع ميزة تفضيلية لقوات الدعم السريع التي يمتد نطاقها القبلي (قبيلة الرزيقات) حتى أقصي غرب أفريقيا، وهو ما يعني في التحليل الأخير التأثير على الأمن الإقليمي الإفريقي فضلًا عن استقرار الدولة في كل من تشاد والسودان بالأساس.

في هذا السياق، رشحت تسريبات تم الحصول عليها بموجب علاقات شخصية بوجود تقرير غربي من ٢٥ صفحة سُلّم لأحد القيادات السودانية عن وجود علاقات بين شركة فاغنر الروسية وقوات الدعم السريع، حيث تم رصد تصدير للأسلحة عبر عدد من المطارات في السودان وبعض دول الشرق الأوسط، وهو ما أنكره نائب رئيس مجلس السيادة حميدتي إدراكًا منه بخطورة هذه الاتهامات ليس على الصعيد الداخلي السوداني فقط ولكن أيضًا على الصعيد الدولي .

خاتمة

تشكل النتائج النهائية للحرب الروسية على أوكرانيا أحد أهم آليات قياس الوزن الروسي في النظام الدولي على الصعيد المستقبلي بشكل عام، ووزنها ودورها في منطقتي الشرق الأوسط وشرق أفريقيا على نحو خاص.

وطبقًا للمؤشرات الراهنة فإن نجاح روسيا في ضم المناطق الشرقية لأوكرانيا تحت سيادتها يعني تقسيم أوكرانيا على النحو الذي جرت على أساسه التسوية في الحرب العالمية الثانية بتقسيم ألمانيا، وطبقًا لهذه المعطيات فإن علاقات القوة في النظام الدولي سوف تشهد تغييرًا مؤثرًا ليتجه العالم نحو نظام متعدد الأقطاب، وهو ما تقاومه الولايات المتحدة الأميركية حتى الآن في موقف تبدو فيه وحيدة، خصوصاً مع وجود إمكانية لتحول في الموقف الأوروبي تحت وطأة أمرين، الأول إستراتيجي وهو إدراك أن الانقسام في أوروبا بين روسيا وأوروبا الغربية هو في صالح الولايات المتحدة وليس في صالح أوروبا، وأن فاتورة الانحياز الأوروبي لواشنطن أصبحت باهظة الأثمان دفعت أوروبا فاتورتها كاملة في الحرب العالمية الثانية وفي فترة الحرب الباردة.

الأمر الثاني أن انحياز النظم الأوروبية لواشنطن بات مضادًا لمصالح المواطن الأوروبي الذي يعاني حاليًا من ارتفاع فاتورة الطاقة المؤثرة على مستوى معيشته كنتيجة مباشرة لاستفزازات حلف الناتو لروسيا الاتحادية.

الهوامش

١ د. نورهان الشيخ، **التقرير الإستراتيجي العربي**، ٢٠١٨ مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، ص ٢١٠.

٢ د. عمرو عادلي، الحرب الروسية علي أوكرانيا من منظور الاقتصاد السياسي الدولي، ورشة عمل بمركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية ،١٢ أيلول ٢٠٢٢.

٣ عبدالله الردادي، مجموعة بريكس، موقع العربية متاح على: https://2u.pw/Eroiw

٤ يونسي وليد، دور القوى الصاعدة، وتأثيرها في النسق الدولي، المركز العربي الديمقراطي، متاح على: https://democraticac.de/?p=43001

٥ أحمد عسكر، مستقبل قوات فاغنر الروسية في منطقة الساحل الإفريقي، مركز دراسات الشرق الأوسط، متاح على http://ncmes.org/ar/publications/middle-east-papers/504-

٦ تقرير التسلح - Trends in international arms transfers, 2020 - SIPRI, (sipri.org, March 2021, (accessed July 29, 2021)، https://bit.ly/3rYl-wba

٧ د. نورهان الشيخ، **التقرير الإستراتيجي العربي**، مرجع سابق.

٨ ماريا المكاحلة، ٣ محاور للعلاقات الروسية الخليجية، آراء حول الخليج، متاح على: https://2u.pw/HJigi

٩ مقتطفات من خطاب بوتين أمام قمة سوتشس في تشرين الأول ٢٠١٩ متاح على https://www.alqarn.dj/dialogue/203

10 Next Russia-Africa summit to take place in 2022, Russkiy Mir, 08.07.2020, (accessed July 31, 2021), https://bit.ly/3ymbjH

مالك سمارة *

من أرشيف إلياهو ساسون: يوميات حارة اليهود في دمشق

ثمة صفة/ وسم آخر، غير محكيّ تقريبًا، للصهيونية، عدا عن كونها استعمارية، إحلالية، عنصرية، تصفوية: إنها تمثل في إحدى صورها أول مشروع انفصالي في المنطقة العربية، بما اشتملته من بتر حضاري عنيف لليهود من الشرق، وللشرق من اليهود، وأحيانًا بالدسيسة، كما في حالة يهود العراق الذين فجرت كنسهم وممتلكاتهم بأيدي عملاء صهاينة، والأطفال اليمنيين الذين اختلسوا من آبائهم ليكبروا في كنف آباء أشكناز- وهذا فقط ما نعرفه. يبدو هذا "المشروع الانفصالي"، المدفوع بالدسيسة والمؤامرة، صورة أولى عما أُريد لهذه المنطقة منذ تصافحت يدا سايكس وبيكو: أن تكون بؤرة مرشحة للتقسيم دائمًا على أسس عرقية، أو دينية، أو طائفية، أو جهوية... إلخ؛ وهذا سبب آخر يشرح لماذا نجد لإسرائيل يدًا في كل مشروع انفصالي في المنطقة، بدءًا بالأكراد، وليس انتهاء عند "دولة البجا" التي باتت تلوّح مؤخرًا بالانفصال في شرق السودان.

هذه قراءة بأثر رجعي من الترجمة التي نقدّمها أدناه لمقاطع من ذكريات إلياهو ساسون المبكرة عن دمشق. قد تبدو القرائن في هذا الطرح فضفاضة للوهلة الأولى، لولا أن الحديث يدور هنا عن أول "ضابط اتصال" بين الحركة الصهيونية والعرب المنفتحين على فكرة تقسيم تركات المنطقة ضمن صفقات مرسومة طائفيًّا وجهويًّا. فساسون يدعي في مذكراته إنشاء اتصالات مع الملك فيصل بن

* باحث في الشؤون الإسرائيلية.

الحسين، بالإضافة الى رئيس جمهورية لبنان آنذاك بشارة الخوري، الذي يدعي ساسون أنه تبادل معه فكرة شراء جبل عامل، ثم ترحيل شيعته إلى العراق وإحلال الموارنة مكانهم.[1]

وتلك أيضًا قراءة بأثر رجعي من الانتقالة الناشزة والعنيفة التي نجدها في مذكرات ساسون: من بيئة دمشق الوادعة، المتجانسة، التي ظلّت حارة اليهود فيها، على امتداد الحقب والممالك آمنة إلا من قلاقل عابرة، إلى الانحلال والتشتت في أصقاع الأرض، بما في ذلك "أرض إسرائيل"؛ ومن الحشد لمواكب المفتي أمين الحسيني المناهضة للصهيونية، إلى حشد المريدين والمتعاونين -عربًا ويهودًا- في خدمة الصهيونية؛ ومن البيئة الشرقية العربية الأصيلة إلى البيئة الأورو-أشكنازية الهجينة؛ ومن بيت الأب الذي حلّ فيه مسلمو دمشق ومسيحيوها ويهودها ضيوفًا دائمين، إلى دولة لا تقبل إلا اليهود- بل وإلى المشاركة في اللجنة السريّة التي شكّلت في أيار ١٩٤٨ وكانت مهمتها التخطيط لطرد العرب؛[2] ومن الحديث عن طاعة الأب -طبقًا لـ"الوصايا العشرة" ولـ"التقاليد الشرقية"- وإنفاذ أوامره بترك الصهيونية، إلى الانفلات وراءها في السرّ والعلن؛ ومن تعليمه وتنشئته ليكون عضوًا فاعلًا في الحركة القومية العربية ذات التوجهات الوحدوية، إلى انتهائه في الحركة القومية الصهيونية ذات التوجهات الانفصالية. حدث هذا كله لما كانت الصهيونية في أوج صعودها، وبعد أن اتصل ساسون للمرّة الأولى، وهو لم يزل في صباه، بالقيادات الصهيونية التي نفتها تركيا إلى دمشق لشبهة التعاون مع الإنكليز والفرنسيين أثناء الحرب العالمية الأولى.

هذه المقتطفات مدوّنة عن شهادة أدلى بها ساسون لبرنامج "بيت أبي" الإذاعي، الذي كان يقدّمه الصحافي الإسرائيلي المخضرم دان رفيف. تلك الحلقة سجّلت حين كان ساسون وزيرًا للشرطة- أي بين عامي ١٩٦٧ و١٩٦٩ (لا تذكر الوثيقة موعدًا محددًا)، وبعد مسيرة سياسية حافلة بدأها الأخير مديرًا للقسم العربي في الدائرة السياسية التابعة للوكالة اليهودية، ثم مديرًا لدائرة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الإسرائيلية بعد قيام الدولة، قبل أن يتنقل في مناصب دبلوماسية عدّة، أبرزها تعيينه سفيرًا في تركيا. ويبدو أن ساسون طلب نسخة مدوّنة من أقواله واحتفظ بها في أرشيفه الخاص. ويبدو كذلك أنه عمد إلى حذف وتحرير بعض الجمل لغاية ما، ومنها حديثه عن نشاطه في حملات الدعاية ضد الصهيونية التي كان ينظمها أمين الحسيني على امتداد الأقطار العربية. هنا ترجمة لمقاطع من تلك المقابلة في صورة أسئلة وأجوبة:

المحاور يسأل: كانت ثمّة رابطة متبادلة لـ٢٥٠ عامًا بين دمشق والطائفة اليهودية التي عاشت فيها من جانب، وبين عائلة ساسون من جانب آخر. قبل الحديث عن عاقبة طائفة دمشق وهجرة عائلة ساسون إلى "أرض إسرائيل"، ربّما يجدر أن تحدثنا عن الطائفة اليهودية نفسها في أيام ازدهارها، وعن حياة عائلة ساسون هناك؟

(..) مع انتهاء الحرب العالمية الأولى، بلغ عدد اليهود في دمشق نحو ١٦ ألفًا؛ وكلنا تقريبًا تركزنا فيما كانت تسمى "حارة اليهود"، والتي كانت تناظر "الغيتو"، وفيها تركّزت كل الكنُس والمدارس والكتاتيب. كان التلاميذ يدرسون بالأساس الكتاب المقدس، والمتفوقون منهم كانوا يُرسلون إلى أرض إسرائيل (فلسطين) لاستكمال تعليمهم؛ فمنهم من يصبح مرتّلًا، ومنهم من يصبح لحّامًا (يشرف على طقوس الذبح وفق الشريعة اليهودية)، أو قاضيًا، أو حاخامًا...

عمل أبي تاجر جلود بالتجزئة -واستمرّ في هذه المهنة حين انتقل إلى القدس. كان دكانه في أحد الأسواق المركزية بدمشق- سوق الحرير، وكان ٩٨٪ ممن يحيطون به من التجار والباعة مسلمين. كان أبي معروفًا لدى جيرانه بالتواضع، والاستقامة، ومخافة الله، والرضى بقسمته، وحب مساعدة الضعيف بمعزل عن قوميته ودينه. تلك الخصال، بالذات في بلد شرقي كسورية، لم تحشد له فقط معجبين وأصدقاء -بينهم مسلمون ويهود ومسيحيون- ممن يتعاملون معه، بل أيضا حوّلته إلى محكّم- إلى وسيط وقاضٍ، في مسائل التجارة أو غيرها، وفي ساعات الصباح أو المساء. كلّ يوم تقريبًا حينما نستيقظ باكرًا، كان في بيتنا خمسة، عشرة، أو عشرون شخصًا؛ كل منهم يحمل مشكلة ما.

صورة مدمجة ضمن ملف في «مكور ريشون» عن الياهو ساسون (محاط بدائرة)، نُشر بتاريخ ٢٠١٩/٢/٢٥، تحت عنوان: الجاسوس الذي بنى المخابرات الإسرائيلية بيديه.

كنّا في البيت ثلاثة إخوة. عدد الأشخاص الذين كانوا يأتون للتقاضي، أو طلب الوساطة، أو السؤال، صار يكبر يومًا بعد يوم، بالذات بعد أن انتخب والدي خلال الحرب العالمية الأولى عضوًا في لجنة المجتمع اليهودي في دمشق، ثمّ نائبًا، ثم رئيسًا. لكن الالتماسات التي تقدّم بين يديه كانت تدفعه، في أحيان كثيرة، للذهاب إلى محامٍ طلبًا للمشورة والتعليمات في القضايا التي تطرح على طاولته، وكان يدفع أجر المحامي من جيبه الخاص. بطبيعة الحال، لم تكن تلك الاستشارات تكلّف والدي الكثير من الوقت وحسب، وإنما أيضًا خسارة زبائنه، وخسارة غير يسيرة في مداخيله؛ حتى وصلنا إلى حالة لم يعد في وسعه عندها التغطية على النفقات اللازمة لإدارة البيت- لكسوة أبناء العائلة ودفع رسوم الدراسة لي ولأخي. هكذا، خلّفت تلك الاستشارات والزيارات المتكررة أجواء متوترة عندنا في البيت. لكن أبي ظلّ ممسكًا دومًا بمنهجه، وجادل دائمًا بأنه ينفذ وصية "أحب جارك كما تحب نفسك"... لكن من

ناحيــة أخــرى، تحوّلــت عائلتنــا، بفضــل صنائــع أبــي، إلى واحــدة مــن أكثــر العائــلات حبًّــا ومنــاصرة في أوســاط العــرب واليهــود معًــا.

المحــاور بعــد أســئلة متسلســلة عــن عائلــة ساســون التــي عاشــت متماســكة ومتينــة الروابــط في دمشــق قبــل أن تتشــتّت إلى أصقــاع الأرض مــع تجــذّر المــشروع الصهيونــي: ألــم تفكّــر العائلــة، كونهــا قويّــة، بالهجــرة متّحــدة إلى أي بــلاد كانــت؟

كمــا قلــت لــك، هــذا الانفصــال حــدث لســبب واحــد: نحــن اخترنــا أرض إسرائيــل لأننــا منــذ فــترة الحــرب العالميــة الأولى أقمنــا روابــط ودّ متينــة مــع قيــادات "الييشــوف" الذيــن أُبعــدوا عــلى يــد الحاكــم التركــي جمــال باشــا إلى دمشــق- مثــل عائلــة دافيــد يلــين، عائلــة ميوحــس، المليــح، شــلوش، عنتيبــي، ديزنغــوف. ثــمّ بعــد تواصلنــا مــع هــؤلاء المنفيــين، تواصلنــا مــع المعلمــين العبريــين الذيــن أرســلوا إلى دمشــق فــور انتهــاء الحــرب العالميــة الأولى لمواصلــة المســعى القومــي التربــوي التثقيفــي الــذي بــذره المنفيّــون في يهــود دمشــق. هــذا الاتصــال أفــضى إلى ثلاثــة مخرجــات إيجابيــة: أوّلًا، تدشــين مدرســتين عبريتــين، واحــدة للبنــين وكانــت بــإدارة الكاتــب الشــهير يهــودا بــورلا، والثانيــة للبنــات بــإدارة البروفســور يوســف ريبلــين؛ فضــلًا عــن افتتــاح حديقــة أطفــال، وصفــوف مســائية لتعليــم العبريــة للكبــار؛ ثانيًــا، إقامــة نــوادٍ للمحــاضرة في مواضيــع صهيونيــة ويهوديــة، ولاســتقبال عــروض وفعاليــات رياضيــة؛ ثالثًــا، تحويــل معظــم ســكان دمشــق (اليهود) إلى صهاينــة مخلصــين، ثــم هجرتهــم إلى أرض إسرائيــل، وبطــرق غــير قانونيــة عــلى الأغلــب.

حــين كنــت طفــلًا، هــل تذكــر حــالات شــعرت فيهــا، بوصفــك أحــد أبنــاء عائلــة ساســون، بالمحبّــة والوئــام مــن قبــل قاطنــي دمشــق المســلمين؟

نعــم، ســأعطيك مثــالًا: عشــيّة انــدلاع الحــرب العالميــة الأولى، حــين كنــت ابــن ١٢ ربيعًــا، أنهيــت تعليمــي الأســاسي –في مدرســة "كل الإسرائيليــين رفــاق" (ألاينــس)[٣]، وأردت أن أفعــل كمــا فعــل أخــواي الأكــبران: أن أجــد لي عمــلًا أعــين مــن خلالــه أبــي في نفقــات البيــت التــي زادت وتراكمــت بســبب نشــاطه المجتمعــي، وتــركِ أبــواب بيتنــا مفتوحــة عــلى مصراعيهــا أمــام كل العابرين. لكــن أبــواي لــم يأذنــا لي بذلــك. أمــي –رحمهــا اللــه– عارضــت بقــوة واحتجّــت بــأن تضحيــة كهــذه ســتثقل ضميرهــا كثــيرًا ولــن تســتطيع التصالــح معهــا؛ كمــا أن خروجــي إلى ســوق العمــل وأنــا في ســنّ غضّــة، وبتعليــم أســاسي فقــط، لــن يضيــف إلى العائلــة قــدرًا واحترامًــا. أمّــا أبــي، فبعــد أن تفوقــت في موضــوع اللغــة العربيــة خــلال الامتحانــات النهائيــة، لقــي ضغطًــا متواصــلًا مــن بعــض روّاد بيتنــا العــرب، المعروفــين بنشــاطهم الاجتماعــي، وانتمائهــم لمنظمــات قوميــة مناوئــة لتركيــا، بــأن يتيــح لي اســتكمال تعليمــي الثانــوي والجامعــي. لقــد طلبــوا عــلى وجــه الخصــوص بــأن أركّــز عــلى اللغــة العربيــة وعــلى التاريــخ العربــي. نحــا اليهــود العــرب أيضًــا في طلباتهــم هــذا المنحــى؛ وطلبــوا مــن أبــي أن يســمح لي، فــور دخــولي المدرســة، بالانضمــام إلى بعــض التنظيمــات الشــبابية العربيــة، حتّــى أصبــح، حــين أكــبر وتحــين اللحظــة المناســبة، واحــدًا مــن كــوادر الحركــة القوميــة العربيــة، وأمثّــل عــبر مشــاركتي هــذه التضامــن الإســلامي المســيحي اليهــودي إزاء تحريــر العالــم العربــي مــن الظلــم التركــي القابــع فوقــه منــذ نحــو ٤٠٠ عــام، والحائــل دون تقدّمــه وحريّتــه. ومــن طــرف آخــر، ضغــط أخــواي عــلى أبــي وتعهّــدا بمضاعفــة ســاعات العمــل وتقليــص مصروفاتهــم الشــخصية قــدر الإمــكان للمشــاركة في نفقاتــي التعليميــة (...) هكــذا دخلــت إلى مدرســة "عزريــا" المســيحية التــي ســبق صيتهــا اســمها، وكان معظــم تلاميذهــا مــن أبنــاء العائــلات العربيــة النبيلــة والمــوسرة.

(...)

في مدرســة "عزريــا"، ولاحقًــا في كليــة ســانت جوزيــف في بــيروت، لــم أكتســب تعليمًــا ثانويًّــا وجامعيًّــا وحســب –عــلى أهميّتــه– بــل أيضًــا أصدقــاء عربًــا، مســلمين ومســيحيين، مــن ســورية ولبنــان والعــراق، ومــن بينهــم مــن أصبحــوا بمــرور الســنوات ناشــطين اجتماعيــين، وأمســكوا شــيئًا فشــيئًا الإدارة والســلطة في بلادهــم – ثمــة مــن عــيّن رئيسًــا للحكومــة، ومنهــم مــن عــيّن وزيــرًا، أو نائبًــا في البرلــمان، أو مديــر وزارة، أو رئيــس تحريــر في إحــدى الصحــف، أو أمينًــا عامًّــا في أحــد الأحــزاب. ثــمّ للحقيقــة والتاريــخ، بعضهــم كان لي عونًــا كبــيرًا، ولــم يحــن الوقــت بعــد للحديــث عنــه.

في كل مــرّة يقــرّر فيهــا مفتــي القــدس حــج أمــين

"من الصعب التمييز بين طبائع الإنسان العربي وطبائع اليهودي المشرقي. اليهودي الذي كبر في بلد شرقية هو تقريبًا من البيئة نفسها- من الطابع العربي ذاته. من الصعب ملاحظة اختلاف ما- ربّما الاختلاف الوحيد أن هؤلاء كانوا يذهبون إلى الكنيسة وأولئك إلى المسجد ونحن إلى الكنيس. قبل أن يبدأ العداء بيننا وبين العرب من الصعب القول إنه كان ثمّة اختلافات"

الحسيني الخروج في حملة إشهار ودعاية في البلاد العربية والإسلامية ضد المشروع الصهيوني في أرض إسرائيل، كنت أتطوّع للمساعدة. كان أبي يطوف البلاد العربية أكثر مني، وكان يخالط العرب كتاجر ٩٨٪ ممن يجاورونه (في السوق) هم مسلمون، وكبر في بلد مسلمة حتى سنّ الأربعين. لقد كانت معرفته بالعرب أوثق من معرفتي بكثير، وقد ساعدتني نصائحه كثيرًا في معرفتي بالعرب.

وما النصائح التي قدّمها لك والدك؟ أو بالأحرى؛ ما كان انطباع أبيك عن العربي وعن شخصيته، وما الذي حمله من كلّ تعاملاته معهم؟

ما زلت حتى اليوم أحب العرب، وقد ورثت هذه المحبة عن والدي. كانت لديه قوّة غامضة ما دفعته دائمًا لخدمة الآخر الضعيف، ولم يكن يلقي بالًا إلى ما إذا كان يهوديًّا أم عربيًّا، ولذا فقد غرس فينا حب الآخر؛ والآخر في ذلك الزمان كان في الغالب عربيًّا- في بيتنا كان ثمّة عرب، وعلى هذا أحببنا العرب، وهذه المحبّة هي ما فتحت أمامي أبوابًا بعدئذ وخلقت ثقة العرب بي.

(...)

من الصعب التمييز بين طبائع الإنسان العربي وطبائع اليهودي المشرقي. اليهودي الذي كبر في بلد شرقية هو تقريبًا من البيئة نفسها- من الطابع العربي ذاته. من الصعب ملاحظة اختلاف ما- ربّما الاختلاف الوحيد أن هؤلاء كانوا يذهبون إلى الكنيسة وأولئك إلى المسجد ونحن إلى الكنيس. قبل أن يبدأ العداء بيننا وبين العرب من الصعب القول إنه كان ثمّة اختلافات؛ كنا نجتمع ونتحرّك سويًّا- نفعل الأمر ذاته.

لكن على الرغم من التقاليد العائلية الراسخة إزاء عرب دمشق، فقد أصاب أمرٌ ما تلك الأجواء الحميمة وجرّ معه أيضًا انقسامًا في الرأي بين إلياهو ساسون وأبيه؟

في ١٩١٩، عندما عاد الملك فيصل بن الحسين - الذي كان ملكًا في سورية حينها ولاحقًا في العراق- من مشاركته ضمن لجنة السلام في سان ريمو، قررت حكومة سورية أن تعدّ له استقبالًا حميمًا وحافلًا، واستدعيت، بمعزل عن الجمهور اليهودي، كل الجماهير المسلمة والمسيحية في دمشق للخروج في مسيرات من أجله. في حفل الاستقبال، والذي شاركت فيه بصفة شخصية كأحد أعضاء المنتدى القومي العربي، هاجم أحد المتحدثين، وهو ناشط فلسطيني يعرف باسم الشيخ عبد القادر نزيفة، الطائفة اليهودية لغيابها عن الحفل، وصوّرها على أنها غير منشرحة لانعتاق العالم العربي وتحرره. نعتها بالخائنة، وادعى أنها تتلقى تعليماتها من قيادات الحركة الصهيونية في القدس، ودعا السلطات إلى التحقيق في المسألة ومعاقبة المذنبين. أقول لك الحقيقة؛ لقد سمعت هذا الكلام، وهدفه كان واضحًا: تأليب المتظاهرين وحملهم على ارتكاب مذبحة باليهود. حينما سمعت ذلك، أدركت أنه ليس من قبيل الصدفة أن الجمهور اليهودي لم يُدع إلى الحفل كسائر الجماهير، ورأيت من كافة الزوايا أن واجبي إفشال مسعى المتآمرين. بمساعدة أصدقائي في المنتدى العربي وتدخل أهاليهم، الذين كانوا على رأس المتظاهرين، وكانوا ذوي تأثير ومكانة في الحكم، حظيت فورًا بموافقة من الملك فيصل بفرصة الحديث في الحفل، وقلت إن كل الكلام الذي قيل على لسان المتحدث الفلسطيني ملفق في مضمونه، وغايته خلق شروخ في الرابطة السورية؛ وقلت إن المجتمع

اليهودي، على قدر ما أعلم، ليس أقلّ إخلاصًا حيال استقلال سورية وسيادتها، وسردت أنه لم يدع إلى الاحتفال كسائر الجماهير، وطلبت أن يفتحوا تحقيقًا. في نهاية حديثي، الذي كان مقتضبًا وحادًّا وفي حضرة الملك، طلبت إذنًا من الأخير في أن ينظّم المجتمع اليهودي في الغداة موكبًا خاصًّا، ليُظهر من خلاله ولاءه لجلالته وللسيادة السورية- وهذا ما كان. في اليوم التالي نظم المجتمع اليهودي موكبا تضامنيًّا في شوارع دمشق الرئيسة، بمشاركة نحو ٥٠٠٠-٦٠٠٠ شخص، وكان على رأسه أبي وسائر أعضاء لجنة المجتمع اليهودي. قوبل هذا الحراك بالتصفيق من الملك فيصل وكل رجال القصر.

هذا الحدث، الذي نشر في كل صحف دمشق والمدن السورية بعناوين بارزة ومدوّية، بعضها إيجابي وبعضها سلبي، قرّبني من الملك فيصل وحاشيته، لكنّه قسم المجتمع اليهودي إلى فريقين.

إلى أي فريق انتمى والدك؟

المؤيّدون - من عدّوا مع أولئك الذين تلقّوا من المنفيين من أرض إسرائيل دروسًا في الصهيونية وآمنوا مثلي بإمكانية حدوث فهم مشترك وتعاون بين الشعبين العربي واليهودي - رأوا في كل ذلك خطوة أولى نحو تحويل هذه النشاط إلى شيء منظم؛ بالذات بعد أن سمعنا باللقاء التاريخي الذي جمع في تلك الأيام الملك فيصل بحاييم وايزمان، وعن حزمه في ما يخص ضرورة تعاون كلتا الحركتين القوميتين - العربية واليهودية. وفي المقابل كان هناك المانعون، الذين عدّوا بالأساس الأكبر سنًّا من بين زعماء المجتمع اليهودي، والشخصيات الدينية، والعائلات الثرية والنبيلة.

ما يعني أن والدك كان من بينهم؟

نعم. لقد رأوا في كل ما جرى محاولة من قبلي للتصادم مع المتطرفين بين رؤوس الحكم ورؤوس الحركة القومية العربية، المعروفين بمناوءتهم للحركة الصهيونية، وخشوا أنهم سيضعون يدهم على السلطة يومًا ما ثم يصبون جام غضبهم ليس علي، ولا على أفراد عائلتي ورفاقي الشباب في "المكابي" ومؤسسات رياضية أخرى- بل على المجتمع اليهودي كله. هناك من استعادوا في ذاكرتهم الضربة التي تلقاها يهود دمشق في المؤامرة التي شهدها القرن الأخير، ومؤامرة اغتيال الراهب المسيحي أثناء زيارته،[٤] كما بدا، إلى الغيتو اليهودي.. ثم لم يستبعد هؤلاء أن مؤامرة كتلك ستقع مجدّدًا على يد القوميين العرب، ولن تتمخّض عن اعتقالات وحسب، بل عن مذبحة شاملة. للأسف، والداي، وأعمامي، وسائر أفراد عائلتي كانوا ضمن المانعين أولئك، وأوعزوا لي بأن أوقف كل فعالية صهيونية وكل نشاط اجتماعي، وأيضًا طلبوا مني أن أوقف زياراتي إلى كل المنتديات العربية، وألا أكتب بعد ذلك للصحيفتين العبريتين اللتين نشطتا حينئذ في أرض إسرائيل: "بريد اليوم" في القدس و"أخبار البلاد" في تل أبيب. وللحؤول دون أي فرصة للانخراط في أي نشاط كهذا خلال وقت فراغي، قرر أبي، بضغط من القيادات الدينية، إشراكي في روابط خيريّة ودينية، مثل رابطة "معين المساكين"، و"صدقة في السر"، و"زيارة المريض"، وغيرها. علاوة على ذلك، أجبرني على الانضمام إليه في الأعياد وفي أيام السبت، وزياراته الخارجية إلى الكنس والصلوات الجماعية، وسماع الدروس الدينية للحاخام المتوفّى عزرا مسلطون في ظهيرة كل سبت، وعلى امتداد ٣-٤ ساعات متصلة.. وأنا، بصفتي شخصًا يتبع بحزم وصية احترام الأب والأم، اتبعت، كما ينبغي، كل ما طلبه مني أبي (بحب ورضا)، بالذات بعد أن وجدت شأنًا كبيرًا في بعض الأمور.

العلاقات بيننا في العائلة كانت كلها مبنيّة على الاحترام الكلي من الصغير للكبير، وألا نتذمّر من أي طلب وتكليف نتلقاه.. هكذا تربّينا، وأقول بكل سعادة إن هذه التقاليد مستمرّة حتى اليوم أيضًا في عائلتي- هكذا يتصرّف أبنائي تجاهي.

كشاب يافع ومفكر، ألم تكن في داخلك مرارة حيال ما أجبرت على تركه؟

لكنني لم أتركه. لبيت ما طلب منّي أبي، لكنّني لم أتركه. لقد أرادوا أن يسدّوا عني أي وقت فراغ حتى لا أواصل العمل الصهيوني وفعلت ما أرادوا، لكنني لم أتركه. قلت إنني وجدت في كثير من الأعمال التي أشركني فيها أبي شأنًا كبيرًا؛ على سبيل المثال: أحببت استيقاظي في كلّ أيام شهر أيلول الساعة الثالثة أو الرابعة على نداء خادم الكنيس: "يا داود باشا، صلاة الاعتذارات،[٥] (كان اسم

من أرشيف إلياهو ساسون: يوميات حارة اليهود في دمشق

أبـي المتـوفّى دافيـد- داود)؛ ثـم لا يكـفّ السـاعي عـن ندائـه حتـى نجيبـه: نعـم، نعـم. وكان كل أبنـاء البيـت، وأبنـاء البيـوت المجـاورة، يسـتيقظون؛ منهـم مـن يسـب الخـادم ومنهـم مـن يدعـو لـه بالبركـة. لكنني وأبـي كنـا نعـدّ كأس قهـوة تركيـة، ثـم نـسرع إلى الكنيـس لقـراءة تراتيـل "الاعتـذارات".

(...)

في الأعيـاد كنـا نلتقـي جميعًـا، مـرّة لـدى جـدي وجدتـي لأمـي، ومـرّة لـدى عائلـة أبـي. مثـلًا عشـية عيـد الفصـح، أتذكـر أننـا كنـا نجلـس ٧٠-٨٠ نفـرًا في غرفـة واحـدة. كانـوا يعـدون المائـدة بالأسـاس مـن أجل العيـد، وكانـت الترتيبـات كلهـا وفـق العـادات الشرقيـة. هـذه العـادات انتقلـت أيضًـا هنـا إلى بيتـي.

(...)

لكـن كمـا قلـت آنفًـا، كل تلـك النشـاطات، الدينيـة والاجتماعيـة، لـم تحـل دون اسـتمراري في عضويـة المنتـدى القومـي العربـي وعمـلي الصهيونـي. بعـد مـرور شـهر واحـد مـن موكـب يهـود دمشـق دعانـا الملـك فيصـل عنـده. حكـى لي عمّـا يكنـه مـن محبـة للتطلعات القوميـة للشـعب اليهـودي، وكنـت حينهـا ابـن ١٨ عامًـا. طلـب منـي أن أصـدر تحـت رعايتـه وعـلى حسـابه صحيفـة عربيـة باسـم "الحيـاة"، لتبـشّر بالتفاهـم والعمـل المشـترك بـين اليهـود والعـرب في منطقـة الـشرق الأوسـط. اسـتمرّت الصحيفـة ٩ أشـهر، وتوقّفـت فـور احتـلال دمشـق مـن قبـل الفرنسـيين وطـرد فيصـل. كانـت الصحيفـة تصـدر ٣ مـرات أسـبوعيًّا، وحظيـت، مقارنـة مـع سـائر الصحـف الناشـطة تلـك الأيـام، بانتشـار واسـع- طبـع منهـا نحـو ٧٠٠٠ نسـخة- وبمشـاركة كتـاب مسـلمين ومسـيحيين ذائعـي الصيـت في المقـالات الرئيسـة. في الحقيقـة، ينبغـي أن أقـول إن أبي اجـترع هـذا الأمـر بصعوبـة بالغـة، وتمنّـى ألا يجلـب علي أي سـوء. لقـد طلـب منـي باسـم لجنـة الطائفة وباسـمه ألا أطـرح أي نقـد ضـد رجـالات الحكـم، ورؤسـاء الحركة القوميـة العربيـة المتطرفـين، وأن أمتنـع عـن كتابـة ونشر أي أمـر يخـص المجتمـع اليهـودي. أمّـا أمـي، والتـي تعاطـت بإيجابيـة حيـال مرافقتـي العـرب وانخراطـي في المنتـدى القومـي العربـي، فقـد باركـت اقترابـي مـن القـصر الملكـي ورجـالات الحكـم، وطلبـت منـي أمـرًا واحـدًا: أن أتذكـر دومًـا أننـي يهـودي، وأننـي أعيـش في المنفـى، وفي أرض العبيـد، وأن عـلي أن أكـون حـذرًا في كل خطـوة، وأن أزن جيّـدًا كلامـي، وألّا أثـير غضـب المسـلمين ولا حسـد المسـيحيين، ويجـدر بـي ألا أسـبّب للطائفـة أي كارثـة. أسـدت لي أمـي تلـك النصائـح لأنـه في مطلـع القـرن التاسـع عـشر، حـين كانـت سـورية وأرض إسرائيـل لا تـزالان تحـت الحكـم العثمانـي، عـيّن اثنـان مـن عائلـة فرحـي أمينـين عـلى الخزينـة، واحـد في دمشـق والآخـر في عـكا، وقـد أثـار هـذا الأمـر غـيرة المسـلمين، وأفـضى أحيانًـا، لأمـور هامشـية، إلى اشـتباكات داميـة بحـق بينهـم وبـين اليهـود.

حينمـا انتقـل أبـواي إلى القـدس في العـام ١٩١٩[٦]، وبقيـت أنـا في دمشـق نحـو سـنة ونصـف، أمرتنـي أمـي في دمشـق، بعـد أن سـمعت عـن رؤيـة هرتسـل في مسـألة الدولـة اليهوديـة، ألا أحـوّل مـكان سـكني عـلى وجـه السرعـة مـن سـورية إلى أرض إسرائيـل وحسـب؛ بـل وأنشـطتي العامـة مـن الحركـة القوميـة العربيـة إلى الحركـة القوميـة الصهيونيـة.[٧]

الهوامش

١ انظر كتاب: الحاج، بدر، الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان : قراءة في مذكرات الياهو ساسون والياهو ايلات، ١٩٨٢، بيروت: دار مصباح الفكر.

2 Morris, B. (1994). The birth of the Palestinian refugee problem, 19471949-. Cambridge U.P. P 312.

٣ أوّل منظمة إسرائيلية عالميّة حديثة، وتعرف اختصارًا باسم "ألاينس". تأسست في العام ١٨٦٠ حاملة شعارات "تحرير اليهود" وضمان مساواتهم مع السكان المحليين وتعزيز شعورهم بالاستقلالية والمقدرة على تمثيل قضاياهم والدفاع عنها. المدرسة المذكورة في المتن افتتحتها المنظمة في دمشق في العام ١٨٦٠، واستمرّت في فترتها الأولى مدة خمس سنوات، قبل أن يُعاد افتتاحها مرة أخرى في العام ١٨٨٠، وتُلحق بها مدرسة أخرى للإناث في العام ١٨٨٣.

٤ يقصد في الأولى غالبًا مقتلة الدروز والمسلمين والموارنة في لبنان، والتي طاولت اليهود اتهامات بتأجيجها وجرّت عليهم أعمالًا انتقامية؛ ويقصد بالثانية حادثة قتل راهب من الفرنسيسكان وخادمه المسلم أثناء زيارة حارة اليهود في دمشق.

٥ "سليحوت" بالعبريّة؛ وهي صلوات يؤديها اليهود قبل الفجر على امتداد ليالي شهر أيلول العبري وحتى موعد عيد الغفران.

٦ كانت هناك حركة هجرة نشطة في تلك الفترة مشفوعة بمجاعة في العام ١٩١٥، وتردّي الأحوال الاقتصادية، وشملت المسيحيين كذلك. ولم تكن الهجرات في حينها إلى فلسطين حصرًا، إذ هاجرت أعداد وفيرة إلى الأمريكيتين.

٧ يمكن قراءة الحوار كاملًا (باللغة العبرية) على موقع أرشيف الدولة الإسرائيلي. الوثيقة بعنوان: "مقاطع من مذكرات إلياهو سانون في المرحلة المبكرة من حياته"، رمز الوثيقة: بـ-٤٦٩٥/٢.

تمير سوريك*

استقطاب متخيل داخل معسكر التفوق اليهودي

طوال سنتين، كان يبدو أن مواطني إسرائيل اليهود يمسكون بخناق بعضهم بعضاً ـ أربع جولات انتخابية انتهت دون حسم، حكومة تعمل بدون ميزانية مُصادق عليها منذ سنتين، منظومات الحكم مصابة بالشلل، قمع عنيف (نسبياً) لمظاهرات احتجاجية متواصلة ـ وهذا كلّه على خلفية عدم القدرة على الحسم بشأن هوية رئيس الحكومة. ولكن فجأة، كلمْحِ صاروخ موجَّه، حظيت عمليات القصف التي حصدت أرواح مئات المواطنين في قطاع غزة بالتأييد الشامل في الساحة السياسية اليهودية. فقد أيد الجميع قرار الحكومة شن الهجوم على قطاع غزة ورفضها المتعنت للتوصل إلى وقف لإطلاق النار ـ بدءاً بكارهي النساء ومعادي المرأة في حزب "نوعَم"، مروراً بالجنرالات مفتولي العضلات في الاستوديوهات وانتهاءً بالممثلة الأبرز للنسويّة البيضاء، ميراف ميخائيلي. من الممثل السياسي الأصدق للبرجوازية الأشكنازية ـ العلمانية، يئير لبيد، مروراً بالسياسي الأبرز بين المهاجرين من الاتحاد السوفييتي السابق، أفيغدور ليبرمان، وحتى الممثل بلا منازع للحريديم الشرقيين، أرييه درعي. انهارت كل الخلافات في وجهات النظر وفي المصالح مع انهيار الأبراج التي دمرها الجيش الإسرائيلي في غزة. قد يكون المواطنون متفقين على بعض القضايا ومختلفين حول أخرى، غير أنّ الفجوة القائمة بين الصراع الغرائزي وانعدام

* بروفيسور ومحاضر في جامعة بانسيلفينيا في الولايات المتحدة. ابحاثه تتمحور حول الثقافة باعتبارها حقلا ينطوي على صراع ومقاومة، وهو يركز على السياق الفلسطيني-الاسرائيلي.

ما أدّعيه هنا هو أن ما بدا وكأنه استقطاب أيديولوجي حول مبادئ كونية، مثل سلطة القانون وحفظ المنظومات والمؤسسات الديمقراطية، كان ـ في صلبه وأساسيه ـ صراع قوى بين فئات اجتماعية مختلفة انتظمت حول محاور متقاطعة من التديّن والتضامن العِرقي ـ الطبقي. وقد شكّل الموقف من بنيامين نتنياهو في هذا السياق علامة على انتماء إلى مكانة اجتماعية أكثر من كونه تعبيراً عن موقف أيديولوجي كوني.

الثقة المتبادلة وبين التأييد الواسع وغير المشروط للخطوات الهجومية الحكومية تحتاج إلى تفسير. ما هي طبيعة هذا الاستقطاب الحاد الذي يشلّ المنظومة السياسية لكن يتم تعليقه كأنما بضربة عصا سحرية؟

ما أدّعيه هنا هو أن ما بدا وكأنه استقطاب أيديولوجي حول مبادئ كونية، مثل سلطة القانون وحفظ المنظومات والمؤسسات الديمقراطية، كان ـ في صلبه وأساسيه ـ صراع قوى بين فئات اجتماعية مختلفة انتظمت حول محاور متقاطعة من التديّن والتضامن العِرقي ـ الطبقي. وقد شكّل الموقف من بنيامين نتنياهو في هذا السياق علامة على انتماء إلى مكانة اجتماعية أكثر من كونه تعبيراً عن موقف أيديولوجي كوني ومبادئ تخص سلطة القانون. صحيح أن المعارضين لنتنياهو يتقاسمون مصالح مشتركة ومواقف متماثلة في عديد من المجالات، وخصوصاً في قضايا الدين والدولة. تتطلع غالبية هؤلاء نحو ضمان حركة المواصلات العامة في أيام السبت، إضعاف قوة الحاخامية، فرض التجنيد العسكري الإجباري على الحريديم، وتميل المسوّغات التي يطرحونها للحاجة إلى التفوق اليهودي لأن تكون أكثر "علمانية"، على غرار الحاجة إلى ملاذ من الملاحقات، ولا تعتمد كثيراً على النصوص الدينية المقدسة. إنه جمهور يميل إلى رؤية نفسه جزءاً من المجتمع الكوني، الذي ترتبط شبكاته الثقافية والاجتماعية بأوروبا والولايات المتحدة أيضاً، ولذا فهو أكثر حساسية تجاه صورة إسرائيل في ما وراء البحار. ومعارضو نتنياهو أكثر ميلاً، أيضاً، لتخيُّل إسرائيلية تقوم على اللغة والثقافة ويعتبرون أنفسهم ممثلين للقطب الصحيح على محور الحداثة في المجتمع الإسرائيلي. لكن في أوقات الأزمات، وخاصة حيال الصدامات بين المجموعات الاجتماعية في داخل الخط الأخضر، والتي تهدد امتيازاتهم كيهود، يتضح أن الفوارق بينهم وبين المعسكر المناوئ غير كافية لإتاحة المجال أمام عقد تحالفات سياسية راسخة ودائمة تتحدى التمييز بين المستوطنين والسكان الأصليين.

يُبيّن تحليل استطلاعات الرأي التي أجريَت منذ العام ٢٠٠٩ أن ثمة استقطاباً كبيراً قد حصل في ما يتعلق بالموقف من نتنياهو الشخص خلال فترة ولايته الثانية كرئيس للحكومة، لكن لم يكن ثمة استقطاب بالدرجة ذاتها في المواقف السياسية الأيديولوجية. على خطى عالِم الاجتماع الفرنسي بيير بورديه، أنا أعتبر إجابات المستطلَعة آراؤهم بشأن المواقف السياسية، بما فيها الموقف من قائد سياسي، نتاجاً لروح طبقية وليس حُكماً تقييمياً سياسياً. فالإجابات لا تعبر عن وعي طبقي، بل العكس هو الصحيح ـ إنها تعبر عن اللاوعي الطبقي. وكما أن محبتنا لموسيقى معينة تعبر عن الطبقة التي نشأنا وترعرعنا فيها، حتى لو لم نكن واعين لذلك، كذلك أيضاً محبتنا، أو كراهيتنا، للقادة السياسيين. التصريح بشأن الموقف من نتنياهو هو خيار جماليّ يعكس السيرة الاجتماعية، التموضع، المكانة وانتماء الفرد كما أنه يشكل، في الوقت ذاته، ممارسة تبلور التشخيصات الاجتماعية وتصوغها. يتضح من زاوية النظر هذه أنه في اللحظات التي يلوح فيها تهديد ملموس على الامتيازات المشتركة لجميع المجموعات اليهودية المختلفة، يكتسب الدفاع عنها أفضلية وأولوية على خلافات الرأي المبدئية. الاستقطاب بشأن نتنياهو هو تعبير عمّا أسماه ليف غرينبرغ "التجنيد القبليّ"، التجنيد المتبادل ضد الـ "آخر" يغذيه الشعور بوجود تهديد جماعيّ

"نتنياهو .. وخلافات أصلها صراع قوى غير أيديولوجي". (أ.ف.ب)

في ما يصبح نتنياهو، أو العداء له في المقابل، تجسيداً لهذا التهديد.

يمكن قياس الموقف من نتنياهو بواسطة تحليل استطلاعات الرأي بشأن الانتخابات والتي أجراها مشروع دراسات الانتخابات القومي الإسرائيلي في جامعة تل أبيب[1] بين الأعوام ٢٠٠٩ و٢٠٢٠. عشية كل جولة من الجولات الانتخابية، طُرح السؤال ذاته، تقريباً، حول موقف المشارك في استطلاع الرأي من بنيامين نتنياهو، وكلما كانت قيمة التدريج أعلى على سلم التقييم كان معنى ذلك درجة أعلى من التأييد والتعاطف. يستند الرسم البياني أدناه إلى إجابات ٣,٤٠١ مشارك في الاستطلاع في الإجمال، يشكلون عينة تمثيلية للسكان اليهود البالغين في كل واحدة من الجولات الانتخابية (في العام ٢٠١٩ تطرقت النتائج إلى الجولة الانتخابية التي جرت في نيسان فقط) وهو يعرض متوسط نسبة التأييد لدى كل واحدة من المجموعات السكانية على مدار السنوات[2]. ويدل الرسم البياني على أنه في العام 2009، عندما انتُخب نتنياهو لرئاسة الحكومة للمرة الثانية، كانت الفوارق ضئيلة في مدى التأييد بين مجموعات سكانية مختلفة ثم اتسعت وكُبرت مع مرّ السنوات، إذ تعمق تأييد نتنياهو واتسع بين الحريديم والشرقيين المتدينين والتقليديين، بينما تعمقت واتسعت في المقابل المعارضة لنتنياهو بين الأشكنازيين العلمانيين. هل هذا جزء من نمط الاستقطاب السياسي المتفاقم في المجتمع الإسرائيلي؟ لو كان الأمر كذلك حقاً، لكان يتعين أن نتوقع حصول الاستقطاب في المواقف السياسية أيضاً. لكن، ليست هذه هي الصورة التي ترتسم من تحليل المعطيات. على سبيل المثال، في ما يتعلق بمسألة إقامة دولة فلسطينية، الفجوة بين نسبة العلمانيين الأشكنازيين (المجموعة الأكثر تأييداً للدولة الفلسطينية) ونسبة الشرقيين المتدنيين والتقليديين تهبط من ٢٩٪ في العام ٢٠٠٩ إلى ١٩٪ في العام ٢٠١٩- ٢٠٢٠. في المجال الاقتصادي، ثمة أغلبية بين المجموعتين تفضل نظاماً اقتصادياً أكثر ميلاً لجهة الاشتراكية على النظام الرأسمالي والفجوة بين هاتين المجوعتين كانت صغيرة (٦٪ لصالح الأشكنازيين العلمانيين) ولم تطرأ عليها

استقطاب متخيل داخل معسكر التفوق اليهودي

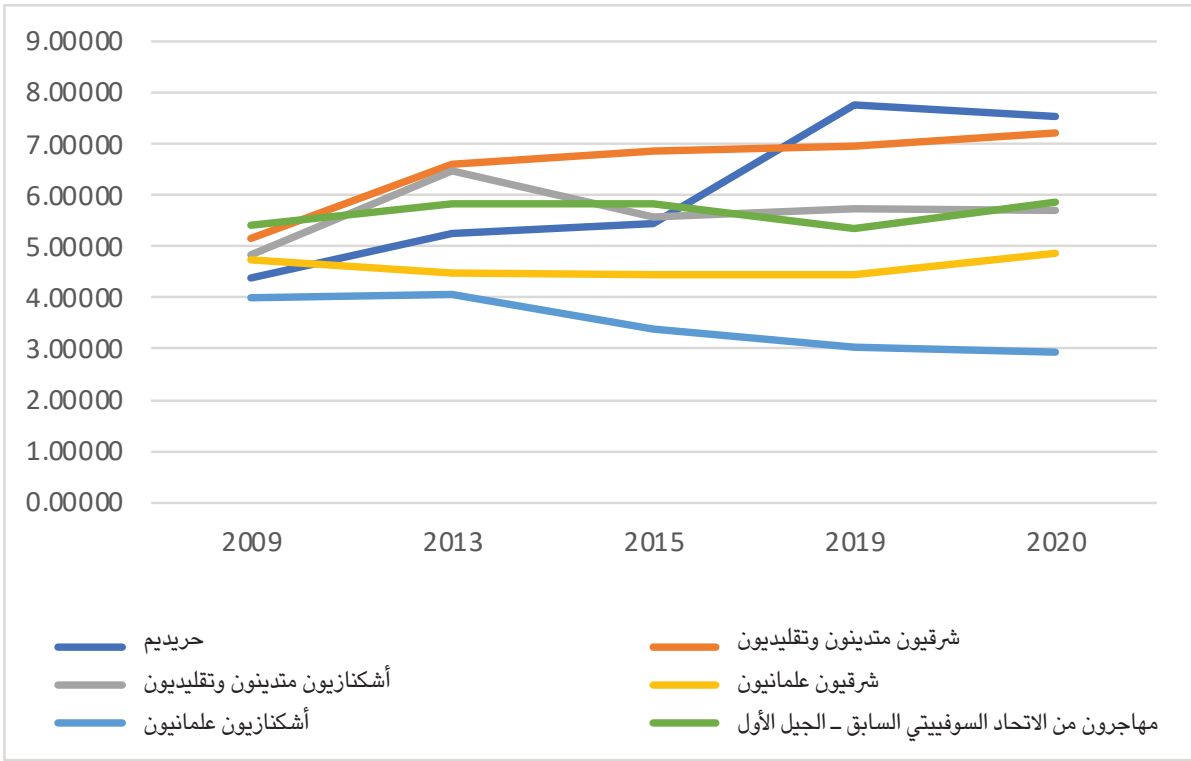

مستوى التأييد لنتنياهو حسب درجة التدين ٢٠٠٩- ٢٠٢٠

أي تغييرات جدية وذات أهمية خلال السنوات ٢٠٠٩ و٢٠١٩- ٢٠٢٠. في المجال الذي يشكل موضع الخلاف الأكبر والأكثر حدة بين المجوعتين، بالذات، والخاص بمسألة تأييد مسعى تقوده الحكومة لتعزيز مكانة الدين اليهودي في الحياة العامة، تقلّصت الفجوة بين المجموعتين من ٣٨٪ في العام ٢٠٠٩ إلى ٣٢٪ في العام ٢٠١٩- ٢٠٢٠. معنى هذا، أنه على الرغم من أن ثمة خلافات بارزة في الرأي بين المعسكرين بشأن الموقف من الدين ومكانته، فإنه خلافاً للموقف من نتنياهو ـ سنوات حكمه لم تؤد إلى تعميق الفجوات في هذه المواقف.

لفهم الاتجاهات المتعارضة التي تحركت فيها الفجوات في المواقف السياسية مقارنةً بالموقف من بنيامين نتنياهو، ينبغي النظر إلى ما حصل للفئات التي غيرت موقفها تجاهه خلال السنوات الأخيرة. فقد كانت لدى الحريديم والشرقيين التقليديين والمتدينين، الذين يشكلون المجموعتين اليهوديتين الأكثر فقراً وذواتي العائلات الأكبر عدداً من الأنفار، أسباب موضوعية تدفعهم إلى تفضيل عهد نتنياهو في رئاسة الحكومة (خلافاً لفترة توليه منصب وزير المالية). نتنياهو، الذي أصبح اعتماده على أحزاب حريديم كاملاً ومطلقاً، هو الذي أحدث الانقلاب في سياسة مخصصات الأطفال (مخصصات الدعم الحكومية)، ما أدى حقاً إلى خفض نسبة الأطفال تحت "خط الفقر" من ٣٦,٣٪ في العام ٢٠٠٩ إلى ٣٠,٨٪ في العام ٢٠١٣ ثم بقيت على هذه النسبة حتى العام ٢٠٢٠. وهي نسبة مماثلة لتلك التي كانت قبل تنفيذ نتنياهو التقليصات الاقتصادية في العام ٢٠٠٣، إبان إشغاله منصب وزير المالية. بالنسبة للحريديم بشكل خاص، كان من شأن تعزيز التحالف بين ممثليهم وبين نتنياهو، وكذلك تحدّيه الجهاز القضائي أيضاً (الذي يعتبره كثيرون منهم معقلاً لليبرالية المعادية للدين)، أن يوثقا ويعمقا ولاءهم له.

تأتي معارضة نتنياهو الشخص بصورة غير تناسبية، وعلى نحو تصاعديّ، من الجمهور العلماني ـ الأشكنازي. وبينما نفتقر إلى معطيات موثوقة حول أصول المحتجين، أظهر استطلاع للرأي أجراه

وقعت عملية "حارس الأسوار" والمواجهات العنيفة بين المواطنين المدنيين داخل الخط الأخضر بينما كان الجمهور اليهودي وسط ما بدا، ظاهرياً، أنه صراع أيديولوجي شديد. طبقاً لما يراه المحتجون، في تصورهم الذاتي، فهم منخرطون في النضال دفاعاً عن الديمقراطية وسيادة القانون وسط تجاهل فظ لواقع وجود نظامين قانونيين منفصلين، واحد للفلسطينيين وآخر لليهود، وتجاهل النهب المتواصل بحق الفلسطينيين.

المعهد الإسرائيلي للديمقراطية في آب ـ أيلول ٢٠٢٠ أن نحو ٨٠٪ من المشاركين في مظاهرات الاحتجاج التي جرت في تلك الفترة كانوا من العلمانيين ونحو ١١٪ عرّفوا أنفسهم بأنهم "تقليديون غير متدينين".[٣] ومن المهم الإشارة هنا إلى أنه بزعزعة مكانة الجهاز القضائي، بالتحريض المستمر ذي السمات العنصرية، بالطمع الذي لا يعرف الشبع وبطمس الحدود بين شؤونه الشخصية وشؤون الدولة الرسمية، قد زود نتنياهو المحتجين ضده بأسباب مشروعة للغضب والإحباط. لكن لماذا الإشكنازيون العلمانيون هم الأكثر غضباً من أي فئة أخرى؟ يجب أن نتذكر أن هؤلاء هم المجموعة التي شهدت تراجعاً متواصلاً في قوتها السياسية وفي رأسمالها الرمزي (وإن ليس في المجال الاقتصادي بالضرورة). وقد أشار باروخ كيمرلينغ، يوآف بيلد، غرشون شفير وآخرون إلى تفكيك هيمنة هذه المجموعة منذ العام ١٩٧٧ لكنّ وتيرة هذه السيرورة قد تسارعت خلال العقدين الأخيرين. المجال الأبرز هو الجهاز القضائي. في العام ١٩٤٨ كان سبعة من قضاة المحكمة العليا الثمانية (لم تكن ثمة قاضيات آنذاك) أشكنازيين علمانيين وحتى العام ٢٠٠٦ تم جسر الفجوة الجندرية غير أن الغالبية الساحقة، ١٠ من أصل ١٤ قاضياً، ظلت من الأشكنازيين العلمانيين. حصل خلال عهد نتنياهو انقلاب ديمغرافي في المحكمة العليا حتى وصلنا إلى وضع نرى فيه اليوم أن خمسة فقط من قضاة المحكمة العليا الخمسة عشر هم من الأشكنازيين العلمانيين، بينما تمثل التغيير الأساسي في انضمام قضاة متدينين إلى الحلبة، بتوسع، حصة أبناء الصهيونية الدينية في النخبة القضائية في إسرائيل أكبر من نسبتهم من السكان. تظهر وجهات مماثلة من التواجد الديني المكثف أيضاً في جهاز التعليم الرسمي، في الجيش وفي وسائل الإعلام. وبينما تشكل هذه السيرورات تهديداً على العلمانيين من مختلف الأصول، تمثل هذه الوجهة تحديداً بالنسبة للعلمانيين الأشكنازيين هبوطاً في المكانة الاجتماعية.

وقعت عملية "حارس الأسوار" والمواجهات العنيفة بين المواطنين المدنيين داخل الخط الأخضر بينما كان الجمهور اليهودي وسط ما بدا، ظاهرياً، أنه صراع أيديولوجي شديد. طبقاً لما يراه المحتجون، في تصورهم الذاتي (الذين تؤكد سلسلة استطلاعات الرأي التي عرضتها آنفاً الادعاءات بشأن طابعه العرقي ـ الطبقي)، فهم منخرطون في النضال دفاعاً عن الديمقراطية وسيادة القانون. لكنّ الاحتجاج ضد نتنياهو اكتفى بحدود ضيقة من النقد، كتلك التي لا تتحدى مبدأ التفوق اليهودي. في هوامش الاحتجاج ضد نتنياهو، كان من الممكن أن نسمع احتجاجاً ضد الاحتلال أيضاً، غير أنّ الصوت المهيمن دعا إلى تحصين سلطة القانون وإدانة جشع عائلة نتنياهو، وسط تجاهل فظ لواقع وجود نظامين قانونيين منفصلين، واحد للفلسطينيين وآخر لليهود، وتجاهل النهب المتواصل بحق الفلسطينيين. رموز الحملة الاحتجاجية، مثل إعادة تصميم صورة "عَلَم الحِبر" (أو: العَلَم المُحبَّر" ـ هو علم إسرائيلي مصنوع باليد، رُفع في حرب ١٩٤٨ للإشارة إلى استيلاء "القوات اليهودية" على أم الرشراش الفلسطينية، التي بُنيت على أنقاضها لاحقاً مدينة إيلات ـ المترجم) أو نماذج الغواصات التي كانت ترمز إلى خيانة نتنياهو للأجهزة الأمنية، كانت متأصلة عميقاً في الروح الصهيونية. كانت تلك الشعارات التي هيمنت على الاحتجاجات في "شارع بلفور"، في الاحتجاجات على الجسور وفي تصريحات قادة الأحزاب الصهيونية

استقطاب متخيل داخل معسكر التفوق اليهودي

الاستقطاب، الظاهريّ، في الموقف من العنف الفردي والتعامل معه يخفي توافقاً واسعاً حول عنف الدولة. الاستقطاب في الموقف من نتنياهو يخفي توافقاً حول مبدأ التفوق اليهودي. التوتر في المظاهرات ضد نتنياهو كان واضحاً، إلا أن وحدة ردة فعل معسكريّ مؤيدي نتنياهو ومعارضيه خلال أيام الحرب قد كشفت وأكدت، مرة أخرى، حقيقة أن المبدأ الناظم في السياسة الصهيونية هو الحفاظ على امتيازات الجمهور اليهودي الاستعمارية.

المعارضة لنتنياهو ـ وهذه هي، أيضاً، خلفية احتفالات الفرح في "ميدان رابين" ابتهاجاً بتشكيل حكومة (نفتالي) بينت ـ (يئير) لبيد التي يصعب، من الناحية السياسية الجوهرية، إيجاد أي فوارق جوهرية بين طريقها المُعلنة وبين حكومة نتنياهو المنتهية ولايتها.

في ما يتعلق بالموقف من الفلسطينيين، يبدو في مثل هذه الأزمة الراهنة أنّ ثمة اختلافات تجميلية بين معسكر نتنياهو ومعسكر خصومه قد تكون مخادعة وأنّ ردة الفعل على اندلاع العنف بين المجموعات السكانية في المدن المختلطة قد أتاحت الفرصة لعرض بعض الأمور بمثل هذه الصورة التحريفية. فبينما صدرت من معسكر مؤيدي نتنياهو تنديدات بالعنف العربي، بصورة أساسية (وزير الداخلية أرييه درعي شبّهها بأحداث العنف في العام ١٩١٧ ـ ثورة البُراق ـ وطالب بـ "إعادة الردع")، وجهت حركة الكيبوتسات رسالة تصالحية عاطفية دعت فيها إلى "وقف العنف المنفلت في الشوارع". زعيمة حزب "العمل"، ميراف ميخائيلي، دعت "المواطنات والمواطنين العرب ـ وكذلك اليهود ـ إلى عدم السماح للمتطرفين بأن يديروا شؤوننا". كتب رئيس حزب "يوجد مستقبل" يئير لبيد: "العنف لن يتحكم بحياتنا ويديرها. مثيرو الشغب في اللد وعكا لا يمثلون كل عرب إسرائيل، مثيرو الشغب في بات يام وأعضاء لا فاميليا (منظمة مشجعي فريق "بيتار القدس" لكرة القدم والمعروفة بتوجهاتها وممارساتها العنصرية المتطرفة ـ المترجم)، لهافا (منظمة يمينية عنصرية متطرفة تعمل في "إنقاذ الفتيات اليهوديات من الشبان العرب" ـ المترجم) و"كهانا حيّ" (الحركة اليمينية العنصرية التي نشأ فيها وترترع عضو الكنيست الحالي إيتمار بن غفير، وهي استمرار لحركة "كاخ" التي أسسها الحاخام اليهودي الأميركي مئير كهانا في إسرائيل ـ المحرر) هي مجموعة عنصريين بائسة لا تمثل اليهود في إسرائيل".

ظاهرياً، يبدو أن الاختلاف كبير وبالإمكان تفسيره بأنّ الجمهور الشرقي في المناطق الطرفية النائية، خلافاً لمعارضي نتنياهو، يشعر بتهديد أكبر من جراء حركية الفلسطينيين الطبقية في إسرائيل، بسبب مكانته المتدنية أصلاً في سلّم التدريج الطبقي الإسرائيلي. لكن الاختلاف يصبح أقل جدية وأهمية إذا ما انتبهنا إلى حقيقة أن المعسكر الذي يبدو وكأنه ليبرالي في إسرائيل حين يتحدث عن معارضة العنف فإنما يتحدث عن معارضة العنف الفردي لأنّ من شأنه ـ إذ ما أصبح على نطاق واسع ـ أن يزعزع الوضع القائم (الستاتيكو)، الأمن الشخصي وامتيازاته الطبقية. ليس من عادة هذا المعسكر الاحتجاج على عنف الدولة ضد مواطنيها ورعاياها الفلسطينيين، ولا على الحصار المضروب على قطاع غزة، ولا على قتل المتظاهرين عند الحدود مع قطاع غزة، ولا على زرع البؤر الاستيطانية الاستعمارية المسماة "نويات توراتية" في المدن المختلطة، ولا على هدم قرية أم الحيران، ولا على عمليات التهجير المستمرة في مناطق "سي" (C)، ولا على التهجير في حي الشيخ جراح. تأييد هذا فكرة الدولة اليهودية لا يُعتَبر، في هذا المعسكر، عنفاً. لكن الدولة هي تنظيم عنيف، وفق تعريفها. تحتاج الدولة إلى العنف من أجل تطبيق قوانينها وجباية الضرائب. وحين تكون غاية الدولة هي التهويد، فالدولة تستخدم العنف، عنفَها، لضمان الأغلبية اليهودية وتكريسها ولتعزيز السيطرة اليهودية على الحيز. وهي تستخدم العنف، عنفَها، كي تقرر مَن هو المهاجر المرغوب فيه على

أراضيها ومَن هو غير المرغوب فيه ومَن هو الذي يستحق الامتيازات تحت نظامها وسيادتها. السكان اليهود موحَّدون في دعم فكرة الدولة اليهودية وتأييد العنف المطلوب لتحقيقها وضمانها، وفي استخدام عنف الدولة لتشجيع الانقسام الفلسطيني الذي يعطّل المقاومة.

في أيار ٢٠٢١، بدا لوهلة وكأنّ مساعي تقسيم النضال الفلسطيني إلى نضالات ثانوية مرتبطة بسياقات محددة قد فشلت وانهارت. فإن مزيج صواريخ "حماس" من قطاع غزة، والاشتباكات في القدس وفي المدن المختلطة ومحاور الطرق المغلقة في قلب إسرائيل، فضلاً عن الإضراب في كلا طرفيّ الخط الأخضر (للمرة الأولى منذ النكبة)، قد شكّلا تهديداً لإمكانية الاستمرار في هذيان حل الدولتين الذي يُفترض أن يحل متاهة التناقضات غير المحتملة لدى الجمهور اليهودي ـ الصهيوني المتطلع نحو التنوّر. وقد أضيف إلى ذلك تهديد آخر من الجانب الثاني: أحداث أيار ٢٠٢١ كانت استثنائية أيضاً من حيث حجم العنف الذي مارسه مواطنون يهود ضد مواطنين عرب ونطاقه. اضطر المعنيون بتكريس شرعية عنف الدولة تجاه سكانها الأصليين، هم بالذات، إلى التمييز بين هذا العنف والعنف الفردي. طمس الحدود الفارقة بين هذين النوعين من العنف قد يؤدي إلى كشف طبيعة عنف الدولة بوصفه عنفاً استعمارياً وقد يجعل من الصعب على المعسكر العلماني الثريّ اقتصادياً الانخراط والاندماج في المجتمع الليبرالي الكونيّ، كما قد يجعل من الصعب أيضاً التمييز بينه وبين المعسكر المناوئ له. ولهذا، فبينما نددت حركة الكيبوتسات، ميراف ميخائيلي ويئير لبيد بالعنف الفردي، نرى أنهم أيدوا العنف الفتاك الذي مارسته الدولة ضد الفلسطينيين في قطاع غزة وسعوا إلى تقليص المسألة وحصرها في كونها "رداً على صواريخ حماس".

الاستقطاب، الظاهريّ، في الموقف من العنف الفردي والتعامل معه يخفي توافقاً واسعاً حول عنف الدولة. الاستقطاب في الموقف من نتنياهو يخفي توافقاً حول مبدأ التفوق اليهودي. التوتر في المظاهرات ضد نتنياهو كان واضحاً، إلا أن وحدة ردة فعل معسكريّ مؤيدي نتنياهو ومعارضيه خلال أيام الحرب قد كشفت وأكدت، مرة أخرى، حقيقة أن المبدأ الناظم في السياسة الصهيونية هو الحفاظ على امتيازات الجمهور اليهودي الاستعمارية، تكريسها وتحصينها. أما النضالات الأخرى كلها ـ الطبقية، الجندرية، بل وحتى قضايا الدين والدولة ـ فهي مُخضَعة لهذا المبدأ الناظم. وأما احتمال أن تكون أحداث أيار ـ حزيران ٢٠٢١ بمثابة نقطة تحوُّل فلا يكمن في تغيير الحكومة، الذي تحقق فعلياً، بل في قدرة الفلسطينيين على تحويل وحدة الصف المؤقتة التي تجسدت خلال الإضراب العام إلى مسار سياسي ثابت ومتواصل يتحدى التفوق اليهودي.

الهوامش

1 . https://www.tau.ac.il/~ines /

٢ التصنيفات التي تم التطرق إليها والبحث فيها هي بمثابة أداة تحليلية ومن المؤكد بالطبع أن الحدود بينها في الواقع مرنة وغير واضحة، لكن هذا لا يعني أنه من المفضل التخلي عن صحة التقسيم كأساس لتفسير سيرورات سياسية. المعنيون بتفاصيل أوسع عن المنهجية، بما في ذلك طريقة تحديد وتعريف التصنيفات/ الفئات الاجتماعية، يمكنهم التوجه إلى المؤلف: tjs6787@psu.edu

٣ مؤشر الصوت الإسرائيلي، أجرى الاستطلاع مركز فيتربي لاستطلاعات الرأي في المعهد الإسرائيلي للديمقراطية.

وديع عواودة *

مسيرة توصيات الأحزاب العربية في إسرائيل على مرشحين لتشكيل حكوماتها النقاشات داخل "المشتركة"

المقدمة

تشهد الحلبة السياسية العربية في إسرائيل، منذ تشكيل القائمة المشتركة في العام ٢٠١٥، نقاشات حادة تتعلق بجدوى توصية الأحزاب العربية على مرشح لرئاسة الحكومة. تثير هذه النقاشات الآن إشكاليات وخلافات حادة بخلاف مرات سابقة أوصت فيها أحزاب عربية على مرشحين من حزب "العمل" دون أن يثير ذلك نقاشًا جماهيريًا لاختلاف السياق والأجواء السياسية. حصل ذلك في جولات انتخابية سبقت انتخابات العام ١٩٩٢، وتعود إلى الانتخابات الأولى بعد "الانقلاب السياسي" في العام ١٩٧٧ عندما سقط حزب "العمل" للمرة الأولى وخسر الحكم أمام حزب "الليكود"، لكنه حاول استعادة مقاليد الحكم مرات عدة بالاستعانة بنواب عرب. وبفضل هؤلاء النواب العرب الذين اعتبروا بشكل فوري جزءًا من المعسكر المناهض لليكود نتجت "حالة تعادل" ونجح "العمل" في تقاسم السلطة ورئاسة الوزراء مع حزب الليكود (خاصة في ثمانينيات القرن العشرين) من خلال حكومات وحدة وطنية دون تقديم مقابل حقيقي سواء للأحزاب العربية أو للمجتمع العربي في إسرائيل. يشار إلى أنه حتى العام ١٩٧٧ استفاد "مباي" من قوائم "عربية" اصطناعية (شُكّلت في العام ١٩٤٩ واختفت في العام ١٩٨١) برئاسة شخصيات تقليدية عشائرية، كانت تدور في فلكه، وتحظى بدعمه، وكانت بمثابة "مقاول ثانوي" للفوز بالمزيد من أصوات العرب.

*كاتب وصحافي.

تعود هذه المقالة إلى مواد أرشيفية، ووثائق حزبية لترصد وتحلل مسيرة الأحزاب العربية في إسرائيل أثناء قيامها بالتوصية على مرشحين لرئاسة الحكومة الإسرائيلية منذ العام ١٩٨١ وحتى اليوم. وربما يعتبر العام ١٩٨١ منعطفًا سياسيًا ملائمًا لدراسة توصيات الأحزاب العربية لسببين: الأول، انتهاء حقبة الأحزاب العربية "الاصطناعية" التي شكّلها حزب المباي. والثاني، حدوث الانقلاب السياسي الذي أعاد تصفيف العلاقة بين الأحزاب اليسارية (وفي مقدمتها حزب العمل) والأحزاب العربية على قاعدة (سواء اتفقنا معها أم لم نتفق) تشكيل تحالف في وجه اليمين الصهيوني بقيادة الليكود. في القسم الأول، تنظر المقالة في التوصيات بين العامين ١٩٨١ و ١٩٩٩. في القسم الثاني، تنتقل المقالة إلى التوصيات الإشكالية والمثيرة للجدل التي حصلت في مسيرة القائمة العربية المشتركة بين العامين ٢٠١٥ و ٢٠٢١ بعد أن انفصلت القائمة العربية الموحدة عن القائمة العربية المشتركة ودخلت كشريك أساسي في ائتلاف حكومي إسرائيلي. في القسم الثالث، تعرج المقالة على بعض المقارنات بين نهج القائمة العربية الموحدة بعيد انتخابات آذار ٢٠٢١، ونهج الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة في العام ١٩٩٠.

١. توصيات الأحزاب العربية خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي

١.١ انتخابات الكنيست العاشرة ١٩٨١

كانت المرة الأولى التي تمت فيها التوصية على مرشح لرئاسة الحكومة من معسكر "اليسار الصهيوني" من أجل التقليل من حظوظ "معسكر اليمين"، في انتخابات الكنيست العاشرة في ١٩٨١/٠٦/٣٠، وهي الانتخابات الأولى بعد "الانقلاب" الكبير في انتخابات الكنيست التاسعة في ١٩٧٧/٠٥/١٧. للتذكير، في انتخابات العام ١٩٧٧ خسر حزب "العمل" برئاسة شمعون بيريس بعد أن حصل على ٣٢ مقعدًا ("مباي"/"المعراخ")، في المقابل، فاز "الليكود" برئاسة مناحم بيغن بـ ٤٣ مقعدًا مُنهيًا استئثار "مباي" (اليسار الصهيوني) بالحكم منذ قيام إسرائيل غداة النكبة وتحديدًا منذ انتخابات الكنيست الأولى في ١٩٤٩. في انتخابات الكنيست العاشرة في ١٩٨١/٠٦/٣٠ تعادلت قوة "الليكود" برئاسة مناحم بيغن (٤٨ مقعدًا) مع حزب "المعراخ" برئاسة شمعون بيريس (٤٧ مقعدًا) وكانت كتلة الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة برئاسة مئير فلنر (الكتلة العربية الوحيدة في الكنيست) فازت بأربعة مقاعد (تم شغرها من قبل النواب: مئير فلنر، وتوفيق طوبي، وتوفيق زياد، وتشارلي بيطون) وأوصت على بيريس أمام رئيس الدولة إسحق نافون بغية سد الطريق أمام عودة "الليكود" للحكم، لكن الرئيس كلّف مناحم بيغن.

١.٢ انتخابات الكنيست الحادية عشرة ١٩٨٤

تكرّرت نتيجة التعادل في انتخابات الكنيست الحادية عشرة في ١٩٨٤/٠٧/٢٣ حيث حاز "العمل" (المعراخ) برئاسة شمعون بيريس على ٤٤ مقعدًا و"الليكود" برئاسة إسحق شمير على ٤١ مقعدًا، ولم يكن من السهل على كل من الحزبين/ المعسكرين تشكيل حكومة بدون الآخر.

وفد الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة

في الأول من آب ١٩٨٤، استقبل الرئيس الإسرائيلي حاييم هرتسوغ ممثلي الأحزاب من أجل سماع توصياتهم على مرشحهم لتشكيل الحكومة بما في ذلك وفد الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة الذي ضم النواب: مئير فلنر، وتوفيق طوبي وتمار غوجانسكي، وسادت اللقاء أجواء ودية. أبلغ هرتسوغ وفد الجبهة أنه سيرفض استقبال رئيس حركة "كاخ" النائب مئير كهانا في ديوانه للاستماع إلى توصياته، إسوة بباقي الأحزاب، إلا إذا تراجع عن تصريحاته العنصرية، وفعلًا لم يُستدع بخلاف تقاليد وبروتوكولات عمل رئيس الدولة في هذا المضمار. افتتح الحديث عن الجبهة مئير فلنر وقال إنه من أجل الدقة سيقرأ عن الورق، فاستهل الحديث بالإشارة لوجود إسرائيل في مأزق سياسي اقتصادي واجتماعي وأخلاقي نتيجة أسباب عدة أهمها استمرار احتلال الأراضي الفلسطينية منذ العام ١٩٦٧، علاوة على حرب لبنان ١٩٨٢. مؤكدًا أن تحقيق السلام والأمن والازدهار يحتاج لتغيير السياسات الإسرائيلية السائدة التي يشترك في خطوطها العامة كل من الليكود والمعراخ الذي لم يطرح في الانتخابات الأخيرة سياسة بديلة عن سياسات الليكود.

أعضاء «المشتركة» بعد تصويت الكنيست على رفض تمديد قانون لم شمل الأسرة الفلسطيني.

(عن: فلاش ٩٠)

في تمهيده للتوصية على شمعون بيريس قال فلنر في ذاك اللقاء إنه على الرغم من ما سبق قوله فإن استمرار حكم الليكود وحلفائه يعني كارثة على إسرائيل، معربًا في الوقت نفسه عن رفض الجبهة القاطع لحكومة وحدة بين الليكود والمعراخ. موضحًا أنه على خلفية نتائج الانتخابات، ومن أجل منع تشكيل حكومة برئاسة "الليكود" أو مشاركته، فإن الجبهة تقترح على رئيس الدولة تكليف أحد قادة "المعراخ" بتشكيل حكومة تستند على القوى المعارضة لسياسة "الليكود" والمستعدة للدفع نحو السلام والديمقراطية والمساواة في الحقوق، وأضاف أن الجبهة ستحدد موقفها من الحكومة التي ستقوم وفقًا لبرنامجها.

عاد فلنر وقال إن الجبهة ستؤيد حكومة تنسحب من لبنان وتمد اليد للسلام الإسرائيلي- الفلسطيني على أساس دولة فلسطينية مستقلة، وتشرع قانونًا يحظر العنصرية ويحظر التنظيمات عنصرية، وتكفل مساواة في الحقوق القومية والمدنية الكاملة للمواطنين العرب في إسرائيل وغيرها من القضايا، منوهًا أن كل ذلك يخدم مصالح حقيقية للشعبين".

عقب هرتسوغ بالشكر والقول "إن الأمور واضحة جدًا". وعندها سأل فلنر: إلى أين تتجه الأمور؟. أجاب هرتسوغ: "لا أستطيع أن أقول لك لأنني بالكاد بدأت بالأحاديث مع وفود الأحزاب، لكنني بادرت لمقترح تشكيل حكومة وحدة وطنية لهدف واحد ووحيد وهو حل المشكلة الاقتصادية المتفاقمة". وعن إغفاله القضية الفلسطينية وتسويتها قال هرتسوغ إن إصبعه على نبض أهالي الضفة وغزة وإنه يلتقيهم، لكن هناك حاجة لمرور المزيد من الوقت، ولا أرى أن العرب في العالم العربي يقفون في طابور لمفاوضات. وعقب فلنر بالإشارة لوجهة نظر مغايرة ترى بضرورة وإمكانية عقد مؤتمر دولي برعاية الأمم المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي.. إلخ، مشددًا على أن حكومة وحدة وطنية لن تحل قضية السلام ولا القضايا الداخلية في إسرائيل. ويتدخل توفيق طوبي وينتقد تبعية إسرائيل للولايات المتحدة ويحّذر هو الآخر من أن حكومة وحدة وطنية ستؤدي لتعقيدات جديدة ولا تحل مشكلة

تعود التوصية الأهم التي منحتها أحزاب عربية إلى العام 1992، قبيل توقيع اتفاق أوسلو. وقد ذكّرالعديدون الأحزاب العربية الحالية (في العام 2019-2022) بهذه التوصية القديمة ضمن محاولات تبرير التوصية على غانتس ولابيد منذ عامين ونيّف.

اقتصادية أو سياسية. ويشير توفيق طوبي إلى أن القانون يلزم رئيس الدولة بتسمية نائب معين لتشكيل حكومة بدلًا من التوصية بإقامة حكومة وحدة.

يتبّين في نهاية الحديث أن الجبهة كانت لا تفضّل القول صراحة إنها توصي على بيريس أو على مرشح آخر من "المعراخ"، وأنها تستصعب التوصية المباشرة العينية، وتشدد على السياق السياسي الذي دفعها لموقفها. هنا يعود هرتسوغ ويسأل: إن كنت قد فهمتكم بشكل صحيح فأنتم تبلغونني الآن بأنكم تعارضون بشدة حكومة بقيادة "الليكود"، وقلتم إنه في الظروف الراهنة أنتم تدعمون مرشح "المعراخ"، هل هذا صحيح؟

توفيق طوبي: "لا ندعم، بل نقترح أو ننصح أن تكلف في الظروف الراهنة نائباً من "المعراخ"، ونحن سنتطرق للحكومة عند إقامتها".

هرتسوغ: "أقرأ على مسامعكم رسالتكم لي: "في الظروف المعطاة كنتيجة للانتخابات ومن أجل منع إقامة حكومة ليكود أو [حكومة وحدة تجمع] المعراخ والليكود فنحن نقترح على رئيس الدولة إحالة مهمة تركيب الحكومة على عضو كنيست من المعراخ".

طوبي: "بذلك نحن واضحون".

هرتسوغ: "إذن أنا فهمتكم بشكل صحيح".

فلنر: "هذا صحيح. وتحديد موقفنا من الحكومة لاحقًا".

هرتسوغ: "هذا شأن بينكم وبين من سيُركب الحكومة ولا أتدخل به".

طوبي: "المشكلة المطروحة الآن هي من تكلف من النواب ليحاول تشكيل حكومة".

هرتسوغ: "هذه وظيفتي، وأنا بحاجة لأن أحسم".

فلنر: "نحن نسد الطريق أمام المرشح الثاني [الليكود]. وندعو لإحالة المهمة لرئيس الحزب الأكبر [وهو المعراخ] وموقفنا سياسي".

هرتسوغ: "فهمت. أنا ملزم بأخذ موقفكم بالحسبان. كتلتكم مهمة من الناحية العددية".

وفد الحركة التقدمية للسلام

في اليوم التالي، التقى هرتسوغ ضمن لقاءاته مع الأحزاب مع وفد الحركة التقدمية للسلام: النائب محمد ميعاري، والمطران رياح أبو العسل، والناشط السياسي والكاتب أوري أفنيري، والسياسي حاييم هنغبي. وكانت الحركة التقدمية للسلام قد تأسست في العام نفسه (أي ١٩٨٤) بعد دمج "الحركة التقدمية" التي خرجت عن جبهة الناصرة مع حركة "الترنتيفا" اليهودية (ماتي بيلد، وأوري أفنيري وحاييم برعام المنشقة عن حركة "شيلي") وحركة "أنصار" من أم الفحم المنبثقة عن "أبناء البلد"، وحركة "ماتسبين" وشخصيات مستقلة، وكانت حركة عربية – يهودية، وفازت بمقعدين في انتخابات الكنيست ١٩٨٤ شغرهما النائبان محمد ميعاري وماتي بيلد.

يستدل من محاضر هذا اللقاء التاريخي كم ابتعدت فكرة الشراكة العربية اليهودية اليوم عما كانت عليه بالنظر للمضامين والمصطلحات ومجمل اللغة المعتمدة من قبل العرب واليهود على الأقل في ذلك اللقاء مع رئيس الدولة (لقاء الرئيس الإسرائيلي مع الحركة التقدمية، وكذلك اللقاء مع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة). فقد استهل هرتسوغ الحديث بالقول إن إسرائيل تقف أمام وضع برلماني غير مسبوق، وأنه كرئيس يقف أيضًا أمام وضع غير مسبوق. واستهل الحديث عن الحركة التقدمية للسلام رئيسها محمد ميعاري:"اسمح لي بداية أن أسجّل ملاحظة. أشكرك شكرًا كبيرًا على مواقف معينة تهتم فيها بمشاعر

مواطني الدولة. نحن ٧٠٠ ألف مواطن عربي يقيمون في إسرائيل اليوم ويبحثون عن مكانهم وعن تأثيرهم. هم مدركون تمامًا أن النضال من أجل المساواة والسلام العادل يمكن أن ينجح فقط من خلال نضال مشترك. إذا لعب عربي بمفرده ويهودي لعب بمفرده فهل تفضي اللعبة لشيء؟ لذلك اخترنا الطريق الأفضل في الدولة. عندما يستطيع المواطنون عربًا ويهودًا صياغة برنامج معين وتعريف نقاط معينة والعمل بالمشاركة الصادقة والمتساوية وسط احترام متبادل – نعتقد أن هذا الطريق هو الأفضل. وأضاف ميعاري في مديح الشراكة العربية اليهودية: "أكثر من ذلك، نحن نعطي إشارة الطريق عربًا ويهودًا كل منا فخور بقوميته ونستطيع إيجاد لغة مشتركة وحياة مشتركة بغية تحقيق الغاية من الحياة. هذه هي الرسالة".

في ما يتعلق بالتوصية، قال عضو الكنيست محمد ميعاري ما يتطابق مع موقف الجبهة من ناحية الموقف من حكومة ليكود أو حكومة وحدة وطنية وكذلك من ناحية التوصية: "بما يتعلق بموقفنا فنحن نتابع التطورات، وفق برنامجنا ومقابل الوضع الذي نحن قبالته اعتقد أننا نصرح بشكل قاطع أننا ضد حكومة ليكود. نبتت العنصرية الحالية في هذه الأجواء ونريد أن نضع لها حدًا وهكذا بالنسبة لحكومة وحدة وطنية. هناك خيار ثالث واقترح أن يتحدث عنه أوري أفنيري".

أوري أفنيري: "على خلفية ما قاله محمد ميعاري فإن الخيار الوحيد بعد معارضتنا حكومة ليكود أو حكومة وحدة هو إقامة حكومة أقلية مكونة من القوى التي نعرفّها كقوى تقدمية في الدولة".

حول خيار المشاركة في الحكومة تابع أفنيري: "لو قامت هذه الحكومة على أساس برنامجنا لشاركنا فيها برغبة لكننا لا نتوقع ذلك، ونحاول أن نكون واقعيين. فأي قيام لحكومة أقلية ندعمها من الخارج، نتيح إقامتها من خلال تصويتنا معها ضمن تصويت ثقة بها في المرة الأولى. إذا كلف رئيس الدولة شمعون بيريس بتشكيل حكومة كما نتوقع فنحن مستعدون لإدارة مفاوضات معه لمنحه دعمنا على أساس شروط الحد الأدنى الخاصة بخطوط الحكومة العامة". واستعرض أفنيري النقاط المقترح تضمينها لخطوط الحكومة العامة: دعم مبادرة السكرتير العام للأمم المتحدة لعقد مؤتمر سلام دولي بمشاركة كل الأطراف بما فيها إسرائيل ومنظمة التحرير من أجل تسوية القضية الفلسطينية، إعلان إسرائيل عن انسحاب فوري من لبنان، وقف الاستيطان، تنشط الحكومة بشكل فعال لتصفية الفجوات الطائفية والاجتماعية، إلغاء نظام الطوارئ ومصادرة الأراضي العربية، مساواة ميزانيات السلطات المحلية اليهودية والعربية ومساواة مخصصات التأمين الوطني دون تمييز، توطين البدو في قرى زراعية وإلغاء "الدوريات الخضراء"، سن قانون ضد العنصرية وسعي الحكومة قولًا وفعلًا من أجل دفع مساواة المرأة ومن أجل الاعتراف بالعربية والعبرية كلغتين رسميتين".

رئيس الدولة: "لا أريد الدخول في موضوع خطوط السياسات فهذا خارج نطاق مسؤوليتي. أفهم أنكم توصون أمامي بتكليف شمعون بيريس بتشكيل حكومة إن كان ذلك حكومة أقلية أم أغلبية".

أوري أفنيري: "نحن نتوقع أن يقوم بذلك سيادة الرئيس".

هرتسوغ: "بعد خطاباتكم غير الطويلة - أحتاج لأن أعود للتوصل للجوهر كي لا يقولوا لاحقًا نعم قلت أو لم أقل. لا أعرف هل ستكون هذه حكومة أغلبية أم أقلية لكنكم ستدعمون حكومة برئاسة بيريس، وهذا يعني أنكم توصون أمامي على تكليف شمعون بيرس لتشكيل حكومة.

ميعاري: "الفارق بين برنامج حركتنا وبين برنامج حزب المعراخ كبير، ولذا لا نستطيع المشاركة في الائتلاف ولا دعمه، هذه حقيقة، لكننا ضد الليكود بكل الظروف مثلما نعارض حكومة وحدة وطنية".

يعود رئيس الدولة ويشرح لماذا يؤيد فكرة حكومة وحدة وطنية، ويرد عليه أوري أفنيري الذي يشكّك بجدواها سياسيًا واقتصاديًا. ويختتم هرتسوغ الحديث بالقول: الصورة التي طرحتموها أمامي واضحة. بعده تحدث المطران أبو العسل بالإنكليزية بروح ما تحدث به ميعاري وأفنيري.

في نهاية المطاف، وبخلاف رغبة الحزبين العربيين (الجبهة والتقدمية)، تمخّضت مفاوضات طويلة عن تشكيل حكومة وحدة وطنية بين "المعراخ" و"الليكود"، تولى بموجبها بيريس رئاسة الحكومة مدة عامين، فيما أشغل إسحق شمير منصب نائب رئيس الحكومة ووزير الخارجية، وبعد عامين تبادلا الوظيفتين.

١.٣ انتخابات الكنيست الثانية عشرة ١٩٨٨/١١/٠١

في ١٩٨٨/١١/٠١ جرت انتخابات الكنيست الثانية عشرة وكانت خلفيتها الأبرز الانتفاضة الأولى وتبعاتها، فيما جاء حزبا "الليكود" و "المعراخ" من حكومة وحدة وطنية برئاسة شمعون بيريس وإسحق شمير بالتناوب بعد تمخض انتخابات ١٩٨٤ عن نتيجة تعادل بينهما. في انتخابات ١٩٨٨ فاز "الليكود" برئاسة إسحق شمير بـ ٤٠ مقعدًا والمعراخ برئاسة شمعون بيريس بـ ٣٩ مقعدًا، مما يعني تكرار نتيجة التعادل الشديد بين المعسكرين المتصارعين على الحكم.

في تلك الانتخابات، فازت الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة بأربعة مقاعد (مئير فلنر، وتوفيق طوبي، وتوفيق زياد، وتشارلي بيطون). لاحقًا، وعلى خلفية انهيار الاتحاد السوفييتي وتصاعد دعوات التجديد وتغيير المندوبين القدامى للجبهة في الكنيست دخل عام ١٩٩٠ هاشم محاميد بدلًا من فلنر ومحمد نفاع بدلًا من زيّاد وتمار غوجانسكي دخلت بدلًا من طوبي). أما الحركة التقدمية للسلام برئاسة محمد ميعاري فهبطت من مقعدين إلى مقعد، والحزب الديمقراطي العربي برئاسة عبد الوهاب دراوشة فاز بمقعد واحد وكانت هذه الانتخابات الأولى له ضمن حزب عربي مستقل بعدما استقال عن حزب العمل.

في فصل التوصيات/ حظي شمعون بيريس رئيس "المعراخ" بدعم كل من "المعراخ"، و"مبام"، "راتس"، و"الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة "، و"الحزب الديمقراطي العربي"، والحركة التقدمية للسلام، وكانت الكتل العربية الثلاث قد تشاركت في الموقف بأنها توصي على مرشح "العمل" لسد الطريق على مرشح الليكود. تمكن بيريس بفضل هذا الدعم العربي من صياغة معسكر مضاد لليكود (شمل أغودات يسرائيل) تعداده ٦٠ مقعدًا، وبذلك شق الطريق لتقاسم رئاسة الحكومة مع إسحق شامير مناصفة، تمامًا كما حصل عقب انتخابات ١٩٨٤.

عندما سئل عبد الوهاب دراوشة كيف ستجلس في حكومة واحدة مع إسحق رابين؟ (كان قد دعا قبل عام لتكسير عظام الفلسطينيين في الانتفاضة الأولى وأثار غضبًا واسعًا) قال دراوشة في تصريح لصحيفة "يديعوت أحرونوت" في ١٩٨٨/١١/١١ إنه سيواصل توجيه الانتقادات لسياسات القبضة الحديدية في الأراضي الفلسطينية، وإن المشكلة ليست شخصية مع وزير الأمن رابين. نحن مستعدون للانضمام للائتلاف بالشروط الآتية: مؤتمر دولي للسلام بمشاركة إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، وتغيير السياسات حيال الأراضي الفلسطينية ومساواة في كل مجالات الحياة".

كما هو الحال لدى بقية الأحزاب العربية في الجولات الانتخابية خلال العقد الثامن من القرن العشرين عبّر دراوشة عن رفضه لحكومة وحدة وطنية. وردًا على سؤال الصحيفة المذكورة عن احتمال تشكيل كتلة مانعة مع الحركة التقدمية للسلام قال دراوشة: "نبارك "البلوك البرلماني" مع أحزاب اليسار. لا يوجد موضوع عيني مع الحركة التقدمية لكننا مستعدون للتعاون مع كل معسكر السلام، يهودًا وعربًا".

وكان مندوب التقدمية النائب محمد ميعاري المندوب الأخير الذي وصل لديوان رئيس الدولة حاييم هرتسوغ، وقال هناك إنه معارض لحكومة الليكود أو حكومة وحدة وطنية، وإنه يدعم حكومة تشرّع قانونًا يضمن مساواة المواطنين العرب وتستجيب لمطلب المؤتمر الدولي مع منظمة التحرير. لكن ميعاري امتنع خلال حديثه مع رئيس الدولة عن التوصية المباشرة على شمعون بيريس مكتفيًا بالحديث غير المباشر.

١.٤ شبكة أمان لحكومتي رابين وبيريس (١٩٩٢-١٩٩٦)

ربما أن التوصية الأهم التي منحتها أحزاب عربية تعود إلى العام ١٩٩٢، قبيل توقيع اتفاق أوسلو. وقد قام العديدون بإعادة تذكير الأحزاب العربية الحالية (في العام ٢٠١٩-٢٠٢٢) بهذه التوصية القديمة ضمن محاولات تبرير التوصية على غانتس ولابيد منذ عامين ونيّف. يتلخص الادعاء الذي ساقته الأحزاب خلال السنوات الأخيرة بأنه هناك "سيئ" وهناك "أسوأ"، وأن إسقاط بنيامين نتنياهو عن سدة الحكم سينطوي على مصلحة فلسطينية عامة تتعلق بالقضية الوطنية ومنع الإجهاز عليها بالمشاركة مع الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب اللذين يسعيا إلى ضمّ الشطر الشرقي من القدس المحتلة وبتطبيق صفقة القرن وغيرها ،علاوة على مصلحة تتعلق بالحقوق الخاصة للمواطنين العرب في إسرائيل، ومجابهة حملات التحريض ونزع الشرعية عنهم وعن مواطنتهم.. إلخ. عندما أثيرت هذه النقاشات داخل القائمة العربية المشتركة (انظر القسم الثاني من هذه الورقة)، أشار البعض لقيام قيادات

منصور عباس.. انزياح مفاجئ وتفاهمات لم تتحقق. (رويترز)

وطنية تاريخية بالأمر نفسه، أي من باب المنطق البراغماتي والبحث عن "أهون الشرّين" أو من باب خدمة القضية الفلسطينية كما بعد انتخابات الكنيست الثالثة عشرة في ٢٣/٠٦/١٩٩٢، عندما استجابت الأحزاب العربية حينها إلى طلب منظمة التحرير الفلسطينية بتوصيتها على مرشح غير يميني لرئاسة الحكومة.

بالعودة إلى ما حصل في العام ١٩٩٢، فقد منحت الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة برئاسة توفيق زياد (ثلاثة نواب: توفيق زياد وهاشم محاميد وتمار غوجانسكي) والحزب الديمقراطي العربي برئاسة النائب الأسبق عبد الوهّاب دراوشة (نائبان: دراوشة وطلب الصانع) "شبكة أمان" على شكل "كتلة مانعة" لحكومة إسحق رابين لحمايتها من الانهيار. جاء ذلك أولًا استجابة لطلب منظمة التحرير ورئيسها الراحل ياسر عرفات مما سهّل الإقدام على مشاركة النواب العرب في منح الحماية الخارجية لحكومة رابين الذي دعا لتكسير عظام الفلسطينيين قبل ذلك بسنوات قليلة خلال الانتفاضة الأولى. وإلى جانب منظمة التحرير الفلسطينية، شاركت مصر والأردن في عملية تشجيع المواطنين العرب على المشاركة في عملية الاقتراع ضمن انتخابات الكنيست عام ١٩٩٢، وتوحيد طاقاتهم لضمان أكبر تمثيل لهم لمساعدة حزب "العمل" تمهيدًا لتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل بقيادة حكومته، حيث تبين أن المداولات السياسية جارية سرًا في أوسلو وقتذاك. وفي هذه الإطار، استدعى مسؤول إسرائيل في منظمة التحرير وقتذاك محمود عباس "أبو مازن"، كلًا من رئيس لجنة المتابعة العليا الراحل إبراهيم نمر حسين، ورئيس الحركة التقدمية المحامي محمد ميعاري، ورئيس الحزب الديمقراطي العربي عبد الوهاب دراوشة إلى القاهرة لتوحيد الحركة مع الحزب في قائمة انتخابية واحدة، لكن المساعي فشلت. عاد ميعاري من القاهرة دون أن يوقع اتفاق تحالف مع دراوشة الذي عرض عليه المكانين الأول والرابع أو الثاني والثالث كما يقول في كتاب مذكراته.

وهناك رواية مغايرة يقدمها ميعاري الذي رفض الانخراط في مبادرة دعم حزب "العمل" التي بادرت

لهـا منظمـة التحريـر ممـا دفـع محمـود عبـاس إلى إرسـال مذكّـرة عاجلـة بالفاكس "تأمـر" ميعاري بـالامتثال لـنداء الوحـدة، لكـن ميعـاري لـم يكـترث بهـا كمـا أكد في شـهادة تاريخيـة مطّولـة لـكاتب هـذه السـطور، وسـيتضمنها كتـاب مذكـرات لميعـاري يصـدر قريبًـا، وكانـت النتيجـة أن فشـلت الحركـة التقدميـة في اجتيـاز نسـبة الحسـم في تلـك الانتخابـات ومـن وقتهـا بـدأت تندثـر.

يذكـر أن عمليـة تحفيـز الناخبـين العـرب للإقبـال بنسـب أعـلى عـلى صناديـق الاقـتراع في انتخابـات الكنيسـت الرابعـة عـشرة تكـرّرت لاحقًـا أيضًـا، في ١٩٩٦، لكـن تـورط إسرائيـل بـمذبحة قانـا خـلال عمليـة "عناقيـد الغضب" في لبنـان عشـية الانتخابـات دفـع قسـمًا مـن المواطنـين العـرب للبقـاء في بيوتهـم، فتراجعـت نسـبة التصويـت لديهـم قليـلًا (مـن ٧٧٪ في انتخابـات ١٩٩٢ إلى ٧٥٪ في انتخابـات ١٩٩٦) ففـاز بنيامـين نتنياهـو مرشـح "الليكـود" عـلى شـمعون بيريـس مرشـح "العمـل" في تلـك الانتخابـات المبـاشرة بفـارق ٢٨٥٠٠ صـوت فقـط. وكانـت المسـاعي العربيـة والفلسـطينية قـد شـملت محاولـة إقنـاع الحركـة الإسـلامية في البـلاد بذلـك قبـل انقسـامها بالترغيـب وبالترهيـب، ويـورد الشـيخ رائـد صـلاح تفاصيـل هـذه المحـاولات في مذكراتـه.

اضطـر رابـين بعد الكشـف عـن نتائـج انتخابـات ١٩٩٢ لـلاستعانة بنـواب الجبهـة والحـزب الديمقراطـي العربـي لمنـح حكومتـه "شـبكة أمـان"، وهكـذا حصـل، فقـد وقـع "العمـل" عـلى اتفـاق مـع كتلـة الجبهـة الديمقراطيـة للسـلام والمسـاواة مهّـد لـتوصيتها عـلى إسـحق رابـين أمام رئيـس الدولـة حاييـم هرتسـوغ والـد الرئيـس الإسرائيـلي الحـالي إسـحق هرتسـوغ. وجـاء في مذكّـرة "الجبهـة" لـهرتسوغ إنهـا سـعيدة بالفشـل الذريـع لليكود ومعسـكر اليمـين معتـبرة نتائـج الانتخابـات تعبـيرًا عـن رفـض الشـعب في إسرائيـل سياسـات "أرض إسرائيـل الكاملـة بمـا فيهـا الاحتـلال والقمـع".[١]

في مقدمتهـا تنبّـه المذكّـرة المتـدة عـلى ثـلاث صفحـات إلى أن التوصيـة عـلى مرشـح حـزب "العمـل" لا تعنـي الموافقـة عـلى برامجـه وعـلى لاءاتـه المعروفـة، بـل هـي دعـم لمسـيرة السـلام ولسياسـات تنشـد سـلامًا حقيقيـاً وأمـلًا أن ينجـز حـل يعـبّر عـن حقـوق كل الأطـراف، وأن يفتـح "العمـل" صفحـة جديـدة ويسـتوعب الرسـالة والتـصرف كمـا يجـب والنجـاح بـالمهمة التاريخيـة". وتؤكـد المذكّـرة عـلى عـدم وجـود حـل عـادل وثابـت عـدا حـل الدولتـين لشـعبين والاعـتراف بحـق الشـعب الفلسـطيني بتقريـر المصـير وتسـوية مشـكلة اللاجئـين وفـق القـرار الأممـي رقـم ١٩٤ والاعـتراف بـأن منظمـة التحريـر هـي الممثـل الشرعـي والوحيـد للشـعب الفلسـطيني. وفي الجانـب المدنـي المتعلـق بـالمواطنين العـرب أكـدت مذّكـرة التوصيـة عـلى واجـب الحكومـة بالعمـل لحـل المشـكلة المركزيـة - تطبيـق المسـاواة الكاملـة للمواطنـين العـرب، خاصـة وقـف هـدم البيـوت ومصـادرة الأراضي، وهنـاك طلبـات مدنيـة أخـرى تضمنتهـا المذكـرة التـي خلصـت للقـول "عـلى أسـاس المذكـور أعـلاه تـوصي كتلـة الجبهـة عـلى مرشـح "العمـل" السـيد إسـحق رابـين لـتشكيل حكومـة عـلى أن تكـون "الجبهـة " مسـتعدة لدعـم هـذه الحكومـة التـي تتبنـى تغيـير السياسـات المرجـو". وقـد وقّـع المذّكـرة نـواب الجبهـة الثلاثـة: توفيـق زيـاد وهاشـم محاميـد وتمـار غوجانسـكي. بالطبـع هـذه المذكّـرة لا تلـزم الحكومـة بمـا جـاء فيهـا مقابـل التوصيـة، بـل هـي بيـان للنـاس توضـح فيهـا "الجبهـة" لمـاذا تـوصي عـلى رابـين ولاحقًـا منـح حكومتـه "كتلـة مانعـة".

وقـدم ممثلـو الجبهـة (النـواب توفيـق زيـاد وهاشـم محاميـد تمـار وغوجانسـكي ورئيـس مجلـس محـلي عبلـين صالـح مرشـد وغالـب سـيف ممثـل الجبهـة في الهسـتدروت وآخـرون) المذكـرة لـهرتسوغ الـذي اسـتهل حديثـه بمـا قالـه لبقيـة الوفـود الحزبيـة بـضرورة عـدم اقتبـاس أقوالـه خـلال اللقـاء. اسـتعرض توفيـق زيـاد موقـف الجبهـة وأكـد عـلى مضامـين المذكّـرة المذكـورة وشـدد عـلى الحقـوق الفلسـطينية وعـلى قضايـا الحقـوق الخاصـة بالعـرب في إسرائيـل. وخلـص زياد لـلقول: "نقـترح عليك أن تـوكل إسـحق رابـين مهمـة تشـكيل حكومـة، وقـد أبلغـت رابـين أنـه ليـس بحاجـة لانتظـار تأسـيس الحكومـة، وإنـه يسـتطيع البـدء بالاعتمـاد عـلى "الكتلـة المانعـة" مـع ٦١ نائبًـا ومواصلـة المفاوضـات مـع الأحـزاب التـي يمكنهـا الانضمـام. نحـن مسـتعدون لدعـم حكومـة تقـود سياسـات تغيـير، وشـكل ومقـدار دعمنـا لهـا منوطـان بالطـرف الآخـر أيضًـا- سياسـات حـزب "العمـل". ويمكـن النظـر لـكل ذلـك في "أرشـيف الدولـة":[٢]

كمـا وقـّع الحـزب الديمقراطـي العربـي عـلى تفاهمـات مـع حـزب "العمـل" وبتشـجيع غـير معلـن مـن منظمـة التحريـر. وأمـام رئيـس الدولـة في ٢٩/٠٦/١٩٩٢ أوصى النائبـان عبـد الوهـاب دراوشـة وطلـب الصانـع عـلى إسـحق رابـين لكنهمـا عـبّرا عـن امتعاضهمـا مـن مواقـف

بدأت الأحزاب العربية تشارك في عملية التوصيات أمام رئيس الدولة في إسرائيل بعدما صار لها قدرة على التأثير وربما حسم هوية رئيس الوزراء الإسرائيلي عقب انتهاء حقبة هيمنة حزب "المعراخ" (مباي) على مقاليد الحكم في 1977، وبداية مرحلة التعادل في القوى بينه وبين معسكر اليمين بقيادة الليكود.

حزب "العمل". شمل وفد الحزب الديمقراطي العربي النائبين دراوشة والصانع وعشر شخصيات أخرى من بينها الشاعر الراحل حنا إبراهيم ومحمد زيدان رئيس مجلس محلي كفرمندا وعبد الرؤوف مواسي رئيس مجلس محلي الفريديس والدكتوره خضرة حليحل والشاعر الراحل محمود دسوقي وآخرين. رحب هرتسوغ بالوفد ودعاه للتحدث بالعربية: "تفضلوا". واستهل دراوشة حديثه بتوجيه انتقادات لـ حزب "العمل" رغم التوصية على مرشحه رابين: "قلنا قبيل انتخابات الكنيست إننا جزء لا يتجزأ من المنظومة السياسية الإسرائيلية وأعلنا رغبتنا أن نكون جزءًا من الائتلاف الحاكم. الآن وللأسف حزب "العمل" لا يرى بنا ولا بـ "راكاح"(الجبهة) شركاء في الائتلاف بل يطمحون للحصول على دعمنا له فقط". وهنا تدخل هرتسوغ (ابن حزب "العمل") مقدمًا لائحة دفاع: "أنتم تعرفون السياسة. وتعلمون ماذا تعني عملية انتخابات التي يقولون فيها شيئا ويقصدون شيئًا آخر. هذا موجود في كل الأحزاب".

لكن دراوشة مضى في التعبير عن عتب يبلغ حد الغضب: "بالنسبة لـ حزب "العمل" نحن جيدّون كقوة مانعة بيد أننا لسنا جيدين للائتلاف وهذا يثير تحاملًا كبيرًا ليس فقط داخل حزبنا بل لدى المجتمع العربي، لأن هذا استخفاف حيث تصلنا مئات المكالمات الهاتفية التي تقول: لا تدعموا مرشح "العمل"، لكننا نقول: لا. علينا أن ندعم أولًا ونمنح رابين "الكريديت في البداية". يعود هرتسوغ ليدافع عن "العمل": لا أعتقد أن الكلمة الصحيحة هي استخفاف. هذه سياسة وهناك لعبة سياسية، وكل واحد ينظر يمنة ويسارًا وفوق كتفه. هذا هو الواقع وهذا الواقع عندكم أيضًا عندما تتخذون موقفًا ما".

حسب مذكرات دراوشة فقد كان الاتفاق ثلاثيًا بين الديمقراطي العربي والجبهة والعمل :"توصل الحزب الديمقراطي العربي لاتفاق خطي مع "العمل" بعد مفاوضات شارك فيها بيريس ورابين وموشيه شاحال احتوى على: إلغاء قانون منع اللقاءات مع منظمة التحريرو السعي لتحقيق السلام وكذلك المساواة ومن ضمن ذلك مساواة مخصّصات التأمين الوطني للأولاد، وإقامة مؤسسة أكاديمية في الناصرة والاعتراف بقرى غير معترف بها وتخصيص ميزانيات كافية لرفع شأن التعليم العربي. ووقع على الاتفاق موشيه شاحال ووقعت أنا وتوفيق زياد وبدأت فترة تعتبر ذهبية في تاريخ العلاقات العربية اليهودية داخل إسرائيل وأصبحت نقطة تحول حقيقية في السياسة الإسرائيلية الرسمية حتى مقتل رابين".

هكذا تمكن حزب "العمل" برئاسة رابين من المصادقة على اتفاق أوسلو بفضل دعم النواب العرب الخمسة وهذا تكرر مع رئيس الحكومة أريئيل شارون الذي تمكّن من المصادقة البرلمانية على "فك الارتباط" مع غزة العام ٢٠٠٥ بفضل نواب عرب. كما حظيت حكومة بيريس قصيرة الأمد عقب اغتيال رابين في ١٩٩٥ بـ "كتلة مانعة" من نواب الجبهة والديمقراطي العربي.

١.٥ بين بيريس وبين نتنياهو - انتخابات ١٩٩٦

كما يحصل حتى اليوم، يميل رؤساء الحكومات الإسرائيلية لخلط الحسابات السياسية الداخلية بالأمنية لدواع انتخابية، وهذا ما فعله شمعون بيريس يوم شن حملة "عناقيد الغضب" على جنوب لبنان في ١١ نيسان ١٩٩٦ عشية انتخابات الكنيست الرابعة عشرة والانتخابات المباشرة لرئاسة الحكومة في ١٩٩٦/٠٥/٢٩. خلال تلك الحملة العسكرية وقعت مذبحة قانا في جنوب لبنان مما أثار حملة غضب ودعوات للثأر من بيريس بالعزوف عن المشاركة في الانتخابات. على

خلفية المذبحة توجه رئيس التجمع عزمي بشارة بنداء للجمهور بعنوان "صدر شعبكم واسع" حمل فيه على حزب "العمل" مشيرًا لمعاداته للعرب وناشد من كان ينتمي لـ "العمل" بالاستقالة والعودة للصف الوطني. تكرّرت هذه التصريحات على لسان بشارة ورفاقه في قيادة التجمع مما زاد من مأزق "العمل" في الشارع العربي، فتوجه رئيسه بيريس للناخبين العرب في أحاديث صحافية متتالية بلغة تصل حد التوسّل أحيانًا. (على سبيل المثال اقرأ مقابلة لكاتب هذه السطور مع شمعون بيريس نشرت في "كل العرب في ٠٣/٠٥/١٩٩٦). كما دفع "العمل" شخصيات عربية لمحاولة تخفيف وطأة غضب المواطنين العرب بالتحذير من صعود اليمين برئاسة نتنياهو من بينها الشاعر الراحل سميح القاسم الذي دعا صراحة للتصويت لبيريس في "كل العرب" التي تولى رئاسة تحريرها، وفي العدد نفسه من الصحيفة سئل الشاعر محمود درويش خلال زيارة عائلته في الجديدة حول الموضوع فقال: "الناخب العربي سيميز بين السيء والأسوأ".

وقد دخل على الخط وزير السياحة عوزي برعام، فالتقى ممثلي قائمتي الجبهة- التجمع والعربية الموحدة الذين طرحوا شروطًا لخدمة حقوق مدنية من أجل التصويت لبيريس الذي اجتمع بنفسه لاحقًا بمندوبي الجبهة والتجمع ووعدهم بتعميق المساواة المدنية ومواصلة المسيرة السياسية مع منظمة التحرير. وعاد برعام وأكد اجتماعه مع قادة التجمع وطلب منهم تخفيف اللهجة ضد بيريس وحذرهم من مخاطر انتخاب نتنياهو الذي يعني محو كافة جهود بيريس ورابين من أجل السلام. وعن ذلك قال برعام "لا أعرف كم كانت ناجعة مساعينا هذه، لكنني أعتقد أنهم خففوا وطأة الهجوم على بيريس".

بيد أن كل مساعي الترهيب والترغيب في الأسبوعين الأخيرين قبيل اليوم الحاسم لم تجد نفعًا كما فشلت ضغوط مصر والأردن والسلطة الفلسطينية لإقناع العرب للخروج للصناديق بنسب عالية جدًا ففاز نتنياهو بفارق ٢٨٥٠٠ صوتًا فقط. ولاحقًا وجهت أوساط عربية ويهودية إصبع الاتهام للمجتمع العربي بسبب استنكاف بعض الفئات عن التصويت لبيريس وتصدت بعض الجهات لهذه التهم من بينها عزمي بشارة الذي أكد في حديث موسع لصحيفة "كل العرب" غداة الخسارة أن الشعب الإسرائيلي رفض بيريس ورفض السلام، وعاد التجمع وأكد على هذا الموقف في بيان بعنوان "بيان النصر والهزيمة".

١.٦ مرشح عربي لرئاسة حكومة إسرائيل

انتخابات ١٩٩٩

في ما يتعلق بالاندماج العربي في المنظومة السياسية الإسرائيلية، دلالته، ومكاسبه وأثمانه وتداعياته، يندرج ترّشح دكتور عزمي بشارة لرئاسة الوزراء الإسرائيلية عام ١٩٩٩ مقابل مرشح "العمل" إيهود براك ومرشح "الليكود" بنيامين نتنياهو، وهو أمر اعتبره التجمع الوطني خطوة مهمة لرفع شأن فلسطينيي الداخل ولفت الأنظار لقضاياهم وتحريرهم من التبعية، فيما اعتبر منافسون سياسيون ذاك الترشيح مثالًا تقليديًا لـ "الأسرلة التامة".

في "نداء أخير إلى الناخب العربي" اعتبر عزمي بشارة أن ترشيح نفسه وحزبه (تحالف التجمع الوحدوي الوطني) للكنيست ورئاسة الحكومة في الانتخابات المباشرة عام ١٩٩٩ هو تعبير عن موقف يرى بأن المساواة تعني رفض فتات المائدة ومشاركة ومساواة في كل شيء". ويرى أن ترشيح عربي لرئاسة الحكومة تعبير عن المواطنة الكاملة وعن انتمائنا القومي وقوة سياسية تطرح قضايانا على الرأي العام وعلى المرشحين الآخرين لرئاسة الحكومة وتخرجنا من حالة التهميش".

وفي اليوم نفسه، نشر عشرات المثقفين الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ "مذكرة موقف" دعموا فيها ترشيح بشارة لرئاسة الحكومة الإسرائيلية مستخدمة التبرير نفسه، وبعض المصطلحات الواردة في خطاب بشارة: "نرى في تأييد مرشح عربي لرئاسة الحكومة نهاية عهد التعامل مع الصوت العربي مقابل الفتات وبداية عهد التعامل مع العرب صوتًا واحدًا مقابل تحقيق المطالب والمشروع الوطني القومي".

واختتمت بالقول "فيما يجنح براك ومردخاي نحو اليمين كاشفين حقيقة سياساتهما التوسعية آملين كسب الصوت اليهودي فإن وجود دكتور عزمي بشارة يمّثل محاولة لشدّ هؤلاء يسارًا الأمر الذي سيعود بالنفع على الفلسطينيين في الداخل وفي الخارج.

لقد نشر النداء المذكور في الصفحة نفسها إلى جانب إعلان انتخابي لبراك ("كل العرب" ١٤/٠٥/١٩٩٩) يعد

فيه الناخبين العرب بأن تكون "إسرائيل دولة للجميع، ومساواة للجميع ومستقبل مشترك وواعد".

وعلّل دكتور عزمي بشارة ترشحه باعتباره جزءًا من الاستغلال الضروري للمساحات المتاحة في إسرائيل بهدف تحسين شروط الحياة لتعزيز الهوية والبقاء والصمود وكحلقة من مسلسل توسيع الهامش الديمقراطي المتاح وتحديه. في حديث لبرنامج "رواية" في تلفزيون العربي تحدث عزمي بشارة عن السياق الخاص بالترشح لرئاسة الوزراء الإسرائيلية بالقول عام ٢٠١٧ إن "الفرق بيننا كوطنيين فلسطينيين وعروبيين وبين من قبلوا بالعيش على هامش الحقوق الإسرائيلية أي الأسرلة أو الاحتواء داخلها هو أننا نأخذها في خدمة قضية وطنية ونوسّعها باستمرار وفي تناقض دائم مع الصهيونية وهنا المثال حول الترشح لرئاسة الحكومة".

في المقابلة المذكورة لم يتطرق بشارة لانسحابه من الترشح لكنه اعتبر أن ترشّحه كعربي دفع إسرائيل في العالم التالي لإلغاء قانون الانتخابات المباشرة لأنها تعني امتلاك العرب خيارًا خاصًا بهم وأنهم ليسوا مضمونين فيما يعرف بـ "اليسار الصهيوني" بل يساومون ويتفاوضون على الحقوق.

كان بشارة قد سحب ترشيحه لرئاسة الحكومة بعدما تصاعدت الضغوط السياسية العربية واليهودية عليه لسحب ترشيحه لـ "سدّ الطريق على نتنياهو" ما يعني فوز باراك ومن الجولة الأولى، كما جاء في نداء الشاعر سميح القاسم ومحمد زيدان وعماد دكور في بيان مشترك.

قبيل يومين من الانتخابات (١٥/٠٥/١٩٩٩)، أعلن عزمي بشارة عن انسحابه من المنافسة في بثّ تلفزيوني مباشر من الناصرة زاعمًا أن ترشحه قد حقّق أهدافه كلّها، موضحًا أن الحملة الدعائية استهدفت أصلًا طرح المشاكل والاحتياجات والمعرفة العامة الخاصة بالمواطنين العرب. كما قال في بيانه المتلفز إنه توصّل لتفاهم مع حزب "العمل" حول "الحاجة لمعالجة ملائمة وأساسية لمشاكل العرب بما يشمل علاجًا فوريًا بعد الانتخابات لمشاكل ملحّة عدة منها: الاعتراف بقرى غير معترف بها، تسوية مشاكل الأرض بما في ذلك أراضي منطقة الروحة وتشغيل موظفين عرب بمناصب مرموقة ودفع التطوير الاقتصادي للبلدات العربية".[٣]

عقب انسحاب بشارة ودعوة الأحزاب العربية بأشكال مختلفة لدعم باراك فاز الأخير بـ ٥٧٪ من مجمل أصوات الناخبين في انتخابات رئاسة الحكومة (صوت له من الناخبين اليهود ٥١٪ فقط) وحاز على ٩٥٪ من أصوات الناخبين العرب - ما يعادل ٦٪ من مجمل الأصوات التي حاز عليها - فيما فاز نتنياهو بـ ٤٣٪.ف ي كتابهما المشترك (التصويت العربي للكنيست الخامسة عشرة، جفعات حبيبة ١٩٩٩) يؤكد الباحثان سارة أسوتسكي لازار وأسعد غانم أن باراك استمر بعد انتصاره أيضًا بتجاهل المواطنين العرب، ولم يدل بتصريحات علنية مناصرة لهم أو لممثليهم في الكنيست.

خلاصة القول إن الأحزاب العربية بدأت تشارك في عملية التوصيات أمام رئيس الدولة في إسرائيل بعدما صار لها قدرة على التأثير وربما حسم هوية رئيس الوزراء الإسرائيلي عقب انتهاء حقبة هيمنة حزب "المعراخ" (مباي) على مقاليد الحكم في ١٩٧٧، وبداية مرحلة التعادل في القوى بينه وبين معسكر اليمين بقيادة الليكود، حيث كانت جولات انتخابية عدة بدءًا من انتخابات ١٩٨١ قد أفرزت حالة تعادل شديد بين المعسكرين المتنافسين. في المرحلة الأولى - خاصة خلال العقد الأول بعد "انقلاب ١٩٧٧" - شاركت أحزاب عربية في التوصية على مرشح معسكر اليسار الصهيوني لتشكيل حكومة دون شروط صارمة وكبيرة تتعلق بالقضية الفلسطينية أو قضية المواطنة المتساوية فاكتفت بشروط أو طلبات فضفاضة لأن الجوهر بالنسبة لها في تلك الفترة تمثّل بمنع صعود اليمين الصهيوني للحكم أو استمراره فيه. لذا وبنظرة تاريخية للخلف، ومع مضي السنين والابتعاد عن عام النكبة وأسباب عملية أخرى، قبلت الأحزاب العربية التقدم خطوة في اللعبة السياسية الإسرائيلية والاندماج أكثر فأكثر في نظام الحكم من هذه الناحية، ورفع التكاليف بينها وبين المؤسسة الرسمية، وزيادة ترجيح كفة المواطنة مقابل الوطن، كل ذلك في سبيل محاولة الحيلولة دون تسلم الليكود بكل معانيه وتداعياته للسلطة.

في تلك المرحلة عقب صعود "الليكود" كحزب سلطة وندّ لـ "المعراخ" زاد التقارب بين الأحزاب العربية و"اليسار الصهيوني" لدرجة أن النائب الجبهوي الراحل توفيق زياد قطع زيارته لليابان وعاد للبلاد كي يشارك في انتخاب رئيس الدولة عام ١٩٨٣ بناء على

طلب الوزير العمالي الأسبق ورئيس الطاقم الانتخابي عوزي برعام، بعدما تبّين أن المنافسة شديدة جدًا بين مرشح المعراخ حاييم هرتسوغ ومرشح "الليكود" وقاضي المحكمة العليا مناحم ألون. وعما حصل قال برعام "لم نبذل الكثير من الجهود لإقناع الحزب الشيوعي للتصويت لهرتسوغ فقد كانوا مصممّين على مناهضة الليكود ومرشحه. بيد أننا طلبنا من الحزب الشيوعي أن يعود زياد من طوكيو، وفعلًا أعاده رفاقه في الحزب الشيوعي للبلاد، وكان صوته مهمًا بسبب وجود حالة تعادل: انقسم الكنيست وقتها بين ٦٤ مع الليكود مقابل ٥٤ مع المعراخ. وفاز هرتسوغ بـ ٦١ مقابل ٥٨ فيما امتنع نائب عن التصويت. لاحقًا صرت صديقًا لتوفيق زياد وعندما زارني في مكتبي كوزير للسياحة أدهشني عندما قال لي إن هذه المرة الأولى هي التي يزور فيها مكتب وزير، وفيما بعد زرت بلدية الناصرة عدة مرات وكافأته على موقفه".[٤] كانت المرة الأولى التي تحققت فيها مطالب هذه الأحزاب العربية وشروطها أو جزء مهم منها مقابل التوصية على مرشح "العمل" قد حصلت في ١٩٩٢ خاصة بما يتعلق بميزانيات الحكم المحلي ومساواة مخصّصات التأمين الوطني للعرب واليهود، لكن لا شك أن دور ورغبة منظمة التحرير الفلسطينية ومصر والأردن التي لعبت دورًا من وراء الكواليس دفع هذه الأحزاب العربية للتوصية على رابين دون تردّد بفضل "غطاء الشرعية" الممنوح من هذه الجهات الفلسطينية والعربية. وقبل ذلك كادت وعود "المعراخ" للأحزاب العربية مقابل التصويت لمرشحيهم لرئاسة الوزراء تبقى في جوهرها وفي كثير من المرات حبرًا على ورق، عدا بعض المساعدات العينية في مجال الحقوق والمطالب الحياتية المدنية.[٥]

٢. توصيات الأحزاب العربية في عهد القائمة العربية المشتركة (٢٠١٥-٢٠٢١)

٢.١ التوصية على غانتس- ٢٠١٩

في السنوات الأخيرة، اشتعل الجدل حيال هذه المسألة خاصة بعدما أوصت المشتركة، عدا مندوب التجمع الوطني الديمقراطي، على رئيس حزب "كاحول لافان"("أزرق- أبيض") قائد الجيش الأسبق النائب بيني غانتس غداة انتخابات الكنيست الثانية والعشرين في أيلول ٢٠١٩.

بغية توضيح موقفه، أصدر التجمّع الوطني الديمقراطي وقتذاك بيانًا أكّد فيه رفضه للتوصية على الجنرال بيني غانتس كمرشّح لتشكيل الحكومة الإسرائيلية بسبب أيديولوجيته الصهيونية ومواقفه اليمينية، التي لا تختلف كثيرًا عن مواقف حزب "الليكود"، وتاريخه العسكري الدموي والعدواني ولأنّه ينوي إقامة حكومة "وحدة قومية"، بمشاركة "يسرائيل بيتينو" و"الليكود"، وهي أسوأ من حكومات اليمين. معتبرًا أن حزب "كاحول لافان" رفض الالتزام علنًا بتنفيذ المطالب، التي قدمتها القائمة المشتركة، وفضّل تجاهلها وعدم الرد عليها رسميًا وأن أيًا من هذه الأسباب كاف لعدم التوصية عليه، وكلّها مجتمعة تؤدّي إلى ذلك بالتأكيد.

يشار أن النائب أيمن عودة كان قد كشف في هذا المضمار أن غانتس طلب منه تخفيض حجم الدعم المعلن من قبل المشتركة له بصفته مرشحًا لتشكيل حكومة، وذلك ليتمكن من استجماع القوى المطلوبة من الأحزاب اليهودية وصولًا لعدد كاف من التوصيات، ما دفع بعض المراقبين للقول بسخرية "رضينا بـ البين والبين ما رضي فينا".

في توضيح لسؤال طرح في تلك الفترة عن البديل المحتمل والمتّعلق بعودة نتنياهو للحكم نتيجة رفض التوصية على غانتس قال التجمع الوطني الديمقراطي في بيانه المذكور: "يريد الجنرال غانتس أصوات المشتركة لإقامة حكومة مع الليكود وليبرمان، والتوصية عليه تعني التوصية على "حكومة وحدة وطنية"، وهو حتّى لم يتوجّه للمشتركة بطلب دعمه، ورفض التفاوض الرسمي معها حول مطالب المجتمع العربي في البلاد، وأصدر بيانات تنفي قبول أي من شروط المشتركة".

وتابع "التجمع" مقدّمًا تعليله لموقفه: "المسعى لإسقاط نتنياهو، الذي عملت لأجله القائمة المشتركة في الانتخابات لا يعني دعم غانتس، بل جرى تطبيقه من خلال رفع تمثيل المشتركة، وتقليص قوة المعسكر الداعم لنتنياهو ومنعه من الأغلبية اللازمة للحصول على أغلبية تمكّنه من تشكيل حكومة".

في تصريحات إعلامية، يعتبر النائب السابق عن التجمع ومرشحه الحالي للكنيست امطانس شحادة أن تلك التوصية كانت خطأ سياسيًا.[٤]

من جهته، برّر رئيس القائمة المشتركة أيمن عودة

تجلت محدودية تأثير الموحدة و"خطاب التأثير" رغم دعمها الائتلاف في ازدياد انتهاكات الحرم القدسي الشريف وازدياد هدم البيوت العربية في النقب خلال 2021 بشكل غير مسبوق، حيث يؤكد "منتدى التعايش السلمي في النقب من أجل المساواة المدنية" أن العام المذكور شهد أكبر عدد من هدم البيوت في تاريخ النقب (نحو 3004 مبنى وبيت).

التوصية على غانتس بـ القول إن "القرار يأتي استجابة للموقف الشعبي الواسع الداعم والداعي لهذا القرار، والذي تجلى في الدعم الكبير الذي حظيت به المشتركة في الانتخابات بحصولها على ١٣ مقعدًا". وأوضح عودة أن القائمة المشتركة تبنت موقفًا ثابتًا ووضعت على أجندتها هدف إسقاط نتنياهو وحكومته التي أمعنت بالتشريعات العنصرية وبث خطاب الكراهية والتحريض على الشعب الفلسطيني وتصفية القضية الفلسطينية من خلال ما تسمى "صفقة القرن".

وردًا على موقف التجمع الوطني، قال عودة "نؤكد أن الموقف من التوصية لا يعني ولا بأي شكل من الأشكال دعم الحكومة المقبلة، علمًا أن هناك فرقًا بين التوصية والتكليف بتشكيل الحكومة".

وعلى الرغم من توصية أحزاب عربية، فقد فشل غانتس في تشكيل حكومة مثلما فشل أيضًا رئيس "الليكود" بنيامين نتنياهو في تشكيل حكومة بعدما حكم إسرائيل دون انقطاع منذ ٢٠٠٩ حتى نهاية ٢٠١٨ فذهبت إسرائيل لانتخابات مبكّرة جديدة في آذار ٢٠٢٠.

أعيدت الكرّة مجدّدًا في انتخابات الكنيست الثالثة والعشرين في آذار ٢٠٢٠ حيث عادت المشتركة، للتوصية على غانتس، بكامل مركباتها الأربعة هذه المرة. واستبق رئيس القائمة المشتركة أيمن عودة يوم الانتخابات بتأكيده أنه لا يستبعد احتمال أن توصي قائمته على بيني غانتس وتنضم إلى ائتلاف بقيادته، فقال إن قائمته تشترط انضمامها إلى ائتلاف الوسط واليسار بتعّهد الائتلاف بتحسين ظروف المجتمع العربي في مجالات التخطيط والبناء والرفاه ومحاربة العنف، إلى جانب إلغاء قانون القومية واستئناف المفاوضات السياسية مع الفلسطينيين.

ردًا على سؤال ناحوم برنياع من "يديعوت أحرونوت" حول ما إذا كانت هناك إمكانية ما لدخول الائتلاف الحكومي، قال النائب أيمن عودة رئيس القائمة المشتركة: "نعم، إذا نُفذت الشروط الآتية، وهي: إنهاء الاحتلال وإقامة دولة فلسطينية إلى جانب اسرائيل، وإلغاء قانون القومية، وإلغاء قانون كمينتس، وتوسيع مسطحات الأراضي وإلغاء هدم البيوت، وخطة حقيقية وناجحة لاستئصال العنف والجريمة، وإقامة أول مدينة عربية، ومستشفى رسمي بمدينة عربية وجامعة عربية، وميزانيات للسلطات المحلية، وعدل اجتماعي لكل المواطنين، للفقراء العرب واليهود بما في ذلك رفع مخصّصات التأمين للمسنين". وفي نوع من التحفظ والاحتفاظ بخط رجعة حيال تصريحاته غير المسبوقة له ولبقية مكونات المشتركة قال عودة في الحديث مع الصحيفة العبرية إنه لا يرى شريكًا لقضايا السلام والمساواة والعدل الاجتماعي الذي يطرحه، لكن ليكونوا هم بموقع المدافعين والرافضين وليس نحن".

من أجل تبريرها سياسيًا وجماهيريًا رأت القائمة المشتركة أن عدم توصية القائمة المشتركة على غانتس أمام رئيس الدولة الإسرائيلي، فإن هذا يعني أن "نتنياهو سيكون رئيس الحكومة المقبلة، بكل تأكيد".[٦]

تجدد النقاش داخل المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل حيال هذه المسألة بعد توصية المشتركة في انتخابات الكنيست الثالثة والعشرين في آذار ٢٠٢٠ على غانتس، لكنه بقي فاترًا وعابرًا، ويبدو أن ذلك بسبب قوة التيار السائد في صفوف فلسطينيي الداخل ممن أولوا أهمية كبيرة لمنع عودة نتنياهو لمقود السلطة.

مع ذلك كانت أوساط قليلة لدى فلسطينيي الداخل قد شذّت عن المزاج العام بشكل عام والداعم للتوصية على غانتس لسّد الطريق أمام الفاشية وأمام نتنياهو محذّرة من أن مثل هذه التوصية ستفضي سريعًا للمزيد من الاندماج واختزال المسافة بينهم وبين المؤسسة الإسرائيلية، كما كاتب الناشط السياسي

والمعلق الصحافي سليمان أبو رشيد على سبيل المثال.

لكن النقاشات بشكل عام بقيت غير معمّقة وتكاد تنحصر في مقولة واحدة متكّررة مفادها أن هناك ما هو مرّ وهناك ما هو أمّر تحت شعار مركزي هيمن على المشهد السياسي العربي في الداخل: "إسقاط نتنياهو". لم تصل تلك النقاشات حد الغوص في الأسئلة المفتاحية من نحن وماذا نريد من أنفسنا وماهي حدود الاندماج في المنظومة السياسية الإسرائيلية ومقابل أي منجزات وما قيمة هذه المنجزات وحيويتها والآن في الذات؟ وما هي المعادلة أو المقاربة الأكثر منطقية بين الوطن والمواطنة، بين احتياجات الواقع الراهن في المنظور القريب والاحتياجات وأحلام المستقبل، بين التاريخ والجغرافيا.. إلخ.

وما لبث هذا أن انقلب الجنرال/ النائب غانتس على نفسه وعلى الأحزاب العربية وعلى معسكره عندما انشق عن تحالفه مع حزب "يش عتيد" برئاسة يائير لابيد وانضم بحزبه "أزرق- أبيض" لمعسكر الليكود برئاسة بنيامين نتنياهو على الرغم من أن المشتركة اشترطت على غانتس عدم إجراء مداولات مع الليكود لتشكيل "حكومة وحدة وطنية". وهكذا دفعت المشتركة (١٥ مقعدا) وجمهورها (المجتمع العربي في إسرائيل) ثمنًا معنويًا رمزيًا منوطًا بالتوصية دون تحقيق أي مكسب حقيقي.

٢.٢ التوصية على يائير لابيد

لكن هذه التجربة الفاشلة التي لا تخلو من روح المغامرة تكررّت بعد شهور عندما عادت القائمة المشتركة ممثلة بنواب الجبهة والعربية للتغيير (رفض نائب التجمع سامي أبو شحادة المشاركة في التوصية على خلفية "انقلاب غانتس" المذكور) وأوصت على يائير لابيد الذي استبدل غانتس في قيادة المعسكر المناهض لنتنياهو وذلك في انتخابات الكنيست الرابعة والعشرين (٢٠٢١/٠٣/٢٣).

وقالت القائمة المشتركة لريفلين إن عضو الكنيست سامي أبو شحادة، رئيس حزب التجمع الوطني الديمقراطي الشريك في القائمة المشتركة، لن يوصي على أي شخص، بينما يدعم نواب الحزب الخمسة الآخرون لابيد. وعلى الرغم من علمها المسبق أن نفتالي بينيت هو الذي سيترأس الحكومة في مرحلتها الأولى (على أساس اتفاق تناوب معلن بين بينيت ولابيد) فقد أضافت القائمة المشتركة في مذكرتها لريفلين إنها تشدد على أنها لا تدعم حكومة بقيادة عضو الكنيست نفتالي بينيت وإنها ستواصل اتصالاتها مع عضو الكنيست يائير لابيد.

من جهته، وفي ظل مزاودات من معسكر نتنياهو ومعارضة أوساط داخل "معسكر التغيير" للتعاون مع نواب من المشتركة سعى لابيد لتبرير اعتماده على توصية المشتركة أو معظمها بالقول بلهجة اعتذارية إن توصية مرة واحدة من قبل "المشتركة" أفضل من الذهاب لانتخابات رابعة وكنت سعيدًا لو توفرّت خيارات أخرى، ولكن ما العمل؟ ما يرشدنا هو صالح دولة إسرائيل".[٧]

تحدث لابيد بهذه اللهجة الاعتذارية على الرغم من أن نتنياهو قد سبقه بمغازلة القائمة العربية الموحدة وكاد يوقّع معها اتفاقًا يتعدى التوصية ويبلغ حد المشاركة في ائتلاف حاكم برئاسته لولا معارضة حزب "الصهيونية الدينية" التي اعتبرت "الإخوان المسلمين" خطًا أحمر.

وجاء دعم خمسة من سداسية المشتركة للابيد في التوصية دون اتفاق خطي معلن بين الطرفين وبالاكتفاء بلقاء لابيد مع أيمن عودة وأحمد الطيبي في تل أبيب في ٢٠٢١/٠٤/٠١. وبعد اللقاء جاء في بيان حزب "يش عتيد" إن لابيد التقى مع عودة والطيبي، وناقشوا السبل لتشكيل حكومة جدية تمنع رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، والنائبين عن حزب اليمين المتطرف "الصهيونية المتدينة" إيتمار بن غفير وبتسلئيل سموتريتش من تشكيل حكومة. وجاء في البيان المكتوب بلغة مهلهلة غير محدّدة وتفسّر على أوجه عدة أن الثلاثة ناقشوا "مجموعة من القضايا المؤلمة التي تؤثر على المجتمع العربي، لا سيما آفة العنف والحلول الممكنة واتفقوا على مواصلة المناقشات لاستطلاع الخيارات المتاحة لتغيير كل من الحكومة الحالية وسياسات نتنياهو، وإحداث تغيير حقيقي".

في بيان منفصل، أكد رئيسا القائمة المشتركة أيمن عودة وأحمد الطيبي على أنهما لن ينظرا في إمكانية التوصية على لابيد إذا لم يتمكن من الحصول على ٥٥ توصية من أعضاء كنيست آخرين، وقال عودة في هذا المضمار "أولًا، يجب أن يصل لابيد إلى ٥٥ توصية.

إذا وصل إلى هذا العدد، نحن على استعداد لدراسة المسألة من جميع الزوايا، وعبر جميع القضايا، من القضية الوطنية الشاملة إلى القضايا التي تهم المواطنين العرب في إسرائيل".

وأشار عودة إلى قانون الدولة القومية اليهودية ومكافحة العنف والجريمة المنظمة في المجتمع العربي، وقانون كامينيتس الذي يستهدف البناء العربي غير القانوني، وميزانيات السلطات المحلية العربية باعتبارها قضايا رئيسة، فيما أشار الطيبي إلى تحسين التخطيط الحضري وتقليل البطالة في صفوف المواطنين العرب كأولويات.

من جهتها لم توص القائمة العربية الموحدة على مرّشح، لكن رئيسها النائب منصور عباس قال للرئيس الإسرائيلي رؤوفين ريفلين "إنه سيتفاوض بطريقة إيجابية" مع أي شخص مكلف، ويمكنه إضافة دعم أعضاء الكنيست الأربعة إذا تمّت تلبية مطالبه.

بعد تعثر مساعي التوافق بين نتنياهو ومنصور عباس، وقّع الأخير مع لابيد اتفاقًا يقضي بانضمام القائمة الموحدة إلى الحكومة، شمل تفاهمات أُتفِق عليها بين القائمتين، وملحقًا يُنظِّم عمل الحكومة، كجزء من الاتفاق بين الطرفين. وبعد مرور عام تبين أن الكثير من بنود هذا الاتفاق خاصة المّتعلقة بالقضايا المرتبطة بالصراع كالاعتراف بقرى في النقب وهدم البيوت، وتعديل قانون المواطنة (قانون منع لم شمل العائلات الفلسطينية) لم يتحقق أو تحقق جزئيًا فقط. هذا على الرغم من المواقف السياسية المهادنة بشكل غير مسبوق لنواب الموحدة ممن صوت بعضهم مع تمديد قانون المواطنة المذكور وإعلان رئيسها عن تأييده لليهودية الدولة وغيره مما تسبب باحتكاكات ومشاكل بين الموحدة والحكومة مرات عدة.

وتجلت محدودية تأثير الموحدة و"خطاب التأثير" رغم دعمها الائتلاف في ازدياد انتهاكات الحرم القدسي الشريف وازدياد هدم البيوت العربية في النقب خلال ٢٠٢١ بشكل غير مسبوق، حيث يؤكد "منتدى التعايش السلمي في النقب من أجل المساواة المدنية" أن العام المذكور شهد أكبر عدد من هدم البيوت في تاريخ النقب (نحو ٣٠٠٤ مبنى وبيت).[٨] ويمكن مراجعة اتفاق الائتلاف بنصه الكامل بين الموحدة وبين "يش عتيد" وهو يقتصر على مواضيع حياتية دون إشارة للقضية الفلسطينية أو القضية الحقوق السياسية للعرب في إسرائيل.[٩]

٢.٣ هل تستخلص الدروس؟

على خلفية عدم نجاح المشتركة في انتزاع مكاسب حقيقة كبيرة للمجتمع العربي في إسرائيل مقابل التوصيات المذكورة على لابيد وغانتس، بات أقطاب "المشتركة الثنائية" (الجبهة والتغيير) في الفترة الأخيرة وعشية الانتخابات البرلمانية الخامسة(٢٠٢٢/١١/٠١) أكثر حذرًا في تصريحاتهم ومجمل سلوكياتهم في التعامل مع هذا الموضوع. ينعكس ذلك في تصريحات إعلامية أدلى بها رئيس القائمة المشتركة النائب أيمن عودة (لاحقا تفككت المشتركة فصار عودة رئيسًا لتحالف جبهة/عربية للتغيير) مفادها أن التوصية هذه المرة لن تكون فورية بل صعبة، وأن هناك شروطًا أكبر وأوضح مقابلها، وأن لابيد أو غانتس سيضطران لأن يتصببّا عرقًا كي تتحقق التوصية هذه المرة. في الوقت نفسه، وفي التصريحات الإعلامية نفسها ،عاد عودة وكرّر تبريره لدعمه الوشيك والمحتمل جدًا للمعسكر المناهض لنتنياهو بالتذكير بشعار "السدّ أمام الفاشية" الذي استخدمته المشتركة في جولات سابقة، وبالبديل الأصعب على شاكلة "هناك مرّ وهناك أمّر" بقوله "نتجه لنقول للجمهور العربي إن مسؤوليتنا مشتركة وإننا نقف اليوم أمام خيارين إما أن نرفع الراية البيضاء أو "نوقف إسرائيل على قدم واحدة" ونقف سدًا أمام عودة نتنياهو للسلطة هو وزمرته من الفاشيين الأكثر خطرًا خاصة حزب "الصهيونية الدينية" العنصري الداعي للترحيل بقيادة بتسلئيل سموتريتش وايتمار بن غفير".[١٠]

وحول الشروط التي سيطلبها مقابل التوصية يوضح أيضًا أن المشتركة لن تدعم مباشرة المعسكر المناهض، بل عليه أن يتصّبب عرقًا قبل أن يحظى بدعمها، واشتراط أي دعم بتغييرات جوهرية وتلبية شروط وردت في اتفاق سياسي بين مركبات المشتركة، منها على سبيل المثال إلغاء قانون القومية العنصري وإعلان خطة طوارئ لمدة زمنية محددة للقضاء على الجريمة داخل البلدات العربية.

يأتي ذلك بعد التجربة المربكة مع غانتس ومن ثم مع يائير لابيد الذي حظي بتوصية "المشتركة" في ٢٠٢١ وقاد تشكيل "حكومة التغيير" ليتضح لاحقًا أنها لم تختلف جوهريًا في قضايا مهمة تتعلق بالقضية الفلسطينية بشكل عام، وبقضايا حقوق المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل ومكانته. لكن

التجمع الوطني الديمقراطي وعلى خلفية التجارب المذكورة وغيرها بدأ في الفترة الأخيرة ينأى بنفسه عن موضوع التوصية، ومنذ الإعلان عن انتخابات خامسة في إسرائيل وقبيل تفكيك المشتركة أكد ناطقون بلسانه أنه لا جدوى من المشاركة في لعبة التوصيات طالما أنه لا فرق بين ما يسمى يمين وما يسمى يسار في إسرائيل، وأن الصراع يدور بينهما على السلطة فقط ولا يختلفان في التعامل مع الفلسطينيين على طرفي الخط الأخضر بشكل جوهري.

هذا ما دفع التجمع الوطني الديمقراطي هذه المرة في مطلع أيلول ٢٠٢٢عشية الانتخابات الخامسة والعشرين للكنيست، أن يصّر على تضمين الاتفاق السياسي الثنائي مع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة بندًا مهمًا يقضي بعدم المشاركة في لعبة التوصيات، إذ جاء في اتفاقية مبادئ إعادة بناء القائمة المشتركة بين الجبهة والتجمع: "الكتلة البرلمانية ليست جزءًا من المعسكرات المنافسة على سدة الحكم وتمارس الكتلة دورها البرلماني المعارض".

وحتى لا تبدو مقاطعة مبدئية بشكل مطلق جاء البند الثاني في سلة شروط تبدو موافقة الأحزاب الصهيونية عليها مستبعدة: "إن الذي يسعى للحصول على تكليف لتشكيل الحكومة وإذا طلب دعم كتلة التحالف الانتخابي يجب عليه أن يوافق على الشروط الآتية: ١) الشروع في مفاوضات مع منظمة التحرير لغرض إنهاء الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية ضمن اتفاق. ٢) أن يوقف جميع السياسات العنصرية ويلغي القائم منها إن كانت سياسات أو قوانين أو مشاريع قوانين وفي طليعتها قانون القومية. ٣) أن تكون هذه التعهدات مكتوبة وموقع عليها من جانب المرشح لتشكيل الحكومة. ٤) إن التحالف الانتخابي لا يرى في الحالة السياسية القائمة مع الكنيست الـ ٢٥ شخصية سياسية تتلاءم مع شروط وأهداف التحالف كي تتم التوصية".

في هذه المرحلة يبرز التجمع الوطني الديمقراطي رفضه للتوصية على أي من المرشحين المحتملين، والآن وهو يخوض الانتخابات الإسرائيلية بمفرده للمرة الأولى منذ العام ٢٠١٥، عام ميلاد القائمة المشتركة، يؤكد رفضه المشاركة في ما يسميه لعبة المعسكرات ورغبته في التميز بخطه وببرنامجه السياسي. كان كل هذا قد ورد في خطاب رئيس التجمع النائب سامي أبو شحادة خلال مؤتمره العام في شفاعمرو في ٢٠٢٢/٠٨/٠٦، وفيه شرح لماذا على التجمع خوض الانتخابات وحده متحالفًا مع شخصيات وطنية مع برنامجه المختلف من نواح عدة بما فيها موضوع التوصية، وقد وردت مقاطع مطولة من خطاب أبو شحادة في صفحة كاتب هذه السطور.[١١]

٣. وجه الشبه بين ائتلاف القائمة العربية الموحدة مع ائتلاف بينيت-لابيد (٢٠٢١) اتفاق الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة مع المعراخ (١٩٩٠)

على الرغم من اختلاف المراحل، فهناك إمكانية ربما للمقارنة بين اتفاق القائمة العربية الموحدة مع ائتلاف يائير لابيد ونفتالي بينيت من العام ٢٠٢١ مع اتفاق وقعتّه الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة في العام ١٩٩٠. في العام ١٩٩٠ حاول زعيم حزب "المعراخ"("العمل") شمعون بيريس القيام بما يعرف في إسرائيل بـ "المناورة القذرة" للتخّلص من اتفاق حكومة الوحدة مع "الليكود" برئاسة إسحق شامير تمهيدًا لتشكيل حكومة ضيقة بقيادته.

في الجانب السياسي و"موضوع السلام" تحدث اتفاق "الجبهة " و"المعراخ" عام ١٩٩٠ عن سياسات الحكومة الخاصة بدفع مسيرة السلام في المنطقة بناء على خطة السلام التي تبنّتها الحكومة السابقة (حكومة وحدة وطنية بين المعراخ والليكود: ١٩٨٤-١٩٨٨) على أن تعمل الحكومة من أجل دفع علاقات صداقة متبادلة بين إسرائيل وبين كل دولة تنشد السلام. كما جاء في الاتفاق بين الجبهة والمعراخ أن تسعى الحكومة لتعميق علاقات الصداقة القائمة بين الولايات المتحدة وبين إسرائيل كما تعمل الحكومة لتجديد العلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل وبين الاتحاد السوفييتي وتسعى لتحسين علاقاتها مع الاتحاد الأوروبي ومع دول العالم الثالث. وفي البند الثالث من الاتفاق بين المعراخ والجبهة أن الحكومة تفحص بين الفينة والأخرى كافة النظم المعتمدة في "المناطق" كي تكون متساوقة مع سلطة القانون واحترام حقوق الإنسان والتزامات إسرائيل الدولية. وتتطرق بقية بنود الاتفاق (٢٩ بندًا) لموضوع تقليص الفجوات بين العرب واليهود في الحقوق المدنية : العمل والأجور ووقف إجراءات تشريع

قانـون حظـر تلقـي تبرعـات مـن الخـارج، وفي موضـوع المسـاواة للسـكان العـرب هنـاك بنـد يقـضي بـأن تقـوم الحكومـة فـورًا بـجدولة ديـون السـلطات المحليـة العربيـة وإقامـة لجـان تخطيـط وبنـاء محليـة وبنـاء شـبكة مجـارٍ داخـل البلـدات العربيـة فـورًا واحـترام رسـمي وعمـلي للغـة العربيـة في الدوائـر الرسـمية وضـم عـرب لمجلـس التعليـم العـالي ودعـم جمعيـة "الهلال" لـمكافحة السـموم وتشـكيل لجنـة فرعيـة خاصـة لـمعاينة مجمـل مواضيـع تتعلـق بالأوقـاف الإسـلامية، أمـا البنـد الأخـير في الاتفـاق فيشـير لتشـكيل لجنـة متابعـة مشـتركة لتطبيـق البنـود أعـلاه.

وعـودة لـ "القائمـة العربيـة الموحـدة" فـبعد شـهور قليلـة اضطّـرت لـتعليق مشـاركتها في الائتـلاف الحـالي بشـكل أو بـآخر أو الاسـتنكاف عـن المشـاركة في أعمـال الكنيسـت نتيجـة مؤثـرّات ومفاعيـل الـصراع الكبير(الـصراع الفلسـطيني-الإسرائيلي)على هـذه الشراكـة غـير المسـبوقة مـن قبـل حـزب عربـي مسـتقل منـذ انتخابـات الكنيسـت الأول في ١٩٤٩، كمـا حصـل عقـب الاعتـداء عـلى الحـرم القـدسي الشريـف والمسـاس بـ "الوضـع الراهـن" فيـه، حيـث اشـترط منصـور عبـاس عـودة الموحـدة للنشـاط داخـل الائتـلاف الحاكـم بالتفاهـم مـع المملكـة الأردنيـة حـول الوضـع الراهـن في الحـرم القـدسي عقـب الانتهـاكات والاعتـداءات المتكـررة في ٢٠٢١ .[١٢]

الهوامش

١ أرشـيف الدولـة، "الرئيـس حاييـم هرتسـوغ- تشـكيل الحكومـة في حزيـران ١٩٩٢- المشـاورات"، ملـف (ISA-President-LetterCredence-000ei7q). راجـع/ي الرابـط الآتي:
https://www.archives.gov.il/archives/Archive/0b071706800399c8/File/0b07170680867ed0

٢ نفس المصدر نفسه.

٣ غانـم وسـارة إوستسـكي لـزار، التصويـت العـربي في انتخابـات الكنيسـت الخامسـة عـشرة. (القـدس، مركـز دراسـات السـلام، 1999).

٤ مقابلة هاتفية مع عوزي برعام بتاريخ ٢٨ أيلول ٢٠٢٢.

٥ أخبـار سـيروغيم، "عبـاس إلى لابيـد: هـذا شرطـي للعـودة إلى الائتـلاف"، في سـيروغيم، بتاريـخ ١ أيـار ٢٠٢٢. انظـر/ي الرابـط التـالي:
https://bit.ly/3yvAiKV

٦ سـبوتنيك، "مـع بـدء الرئيـس الإسرائيـلي مشـاوراته... القائمـة المشـتركة تـوصي بغانتـس لتشـكيل الحكومـة"، في سـبوتنيك العـربي، بتاريـخ ١٥ اذار ٢٠٢٢. انظـر/ي الرابـط التـالي: https://bit.ly/3MoiQNX

٧ تـال شـاليف، "لابيـد: دعـم لمـرة واحـدة مـن القائمـة المشـتركة أفضـل مـن الذهـاب إلى انتخابـات رابعـة"، موقـع والـلا الاخبـاري، بتاريـخ ١٠ اذار ٢٠٢٠. انظـر/ي الرابـط التـالي: https://news.walla.co.il/item/3345621

٨ راجع/ي الإحصائية الآتية:
https://infogram.com/heb-demolitions-in-the-naqab-during-20211-ho16vovro1d84n

٩ مـوران ازولاي، "عبـاس بعـد التوقيـع عـلى حكومـة بينيت-لابيـد: نعمـل بـكل حـرص حتـى تنجـح التجربـة"، في واينـت، بتاريـخ ٣ حزيـران ٢٠٢١. انظـر/ي الرابـط التـالي: https://www.ynet.co.il/news/article/SJBypIB900

١٠ وديـع عـواودة، "اليـوم تقديـم اللوائـح الانتخابيـة... والأحـزاب العربيـة تبحـث عـن تحريـك الميـاه الانتخابيـة الراكـدة في واقـع مقعـد"، في القـدس العـربي، بتاريـخ ١٥ أيلـول ٢٠٢٢. انظـر/ي الرابـط الآتي: https://bit.ly/3MkvihT

١١ شـاهد فيديـو بعنـوان: " سـامي أبـو شـحادة يـشرح لمـاذا ينبغـي أن يشـارك التجمـع في الانتخابـات وحـده. في مؤتمـر التجمـع في ظـل الحـرب عـلى غـزة، منشـور بتاريـخ ٦ اب ٢٠٢٢، عـلى الرابـط الآتي:
https://fb.watch/g4WNfpwyp7/

١٢ أخبـار سـيروغيم، "عبـاس إلى لابيـد: هـذا شرطـي للعـودة إلى الائتـلاف"، في سـيروغيم، بتاريـخ ١ أيـار ٢٠٢٢. انظـر/ي الرابـط الآتي:
https://bit.ly/3yvAiKV

مالك سمارة

شالوم حانوخ.. أغاني «روك» إسرائيلية لنهاية العالم

رماد ما بعد حرب لبنان الأولى؛ الجنود العائدون من الجبهة محمّلين باعترافات عن ضراوة المعارك وعن "مشاعر الذنب"؛ المظاهرات المناهضة للحرب في شوارع تل أبيب؛ حالة عدم اليقين إزاء المستقبل، وانعدام الأفق النهائي من القتال؛ الأخبار التي تصل عن "تضليل" العسكر للقيادة السياسية، وعن حرب يقودها وزير الدفاع، شارون، دون تنسيق مع رئيسه، بيغن؛ استقالة أوّل حكومة من خارج حزب العمل بعد ستّ سنوات وحسب من تبشيرها بـ"إسرائيل ثانية"، أيضًا على وقع فضائح الحرب ومجازرها؛ انهيار سوق البورصة الإسرائيلية ومعه نحو ثلث استثمارات الجمهور في البنوك- كانت تلك صورة إسرائيل خارج الأستديو الذي سجّل فيه شالوم حانوخ أغنيته "في انتظار المسيح" في العام ١٩٨٥. ومن معدّات بدائية فرضها نقص الميزانية بعد فشل ألبوميه السابقين، ومن سوء فهم مع الموزّع قلب الموسيقى من نمط "البوب روك" البطيئ الذي درج عليه في بداياته، إلى النمط الإيقاعي الصاخب لـ"الهارد روك"- سيصبح حانوخ، بعد هذا الألبوم، رائد موسيقى الروك في إسرائيل، وأب "أغاني الاحتجاج والثورة"،[1] وسينقش على هذا أيقونته الفنيّة.

لكن ربما ينبئ ذاك "الخلل الفني العارض" بإجابة ما عن الأسئلة التي تهمّنا في حالة شالوم حانوخ؛ ما موقعه من المنظومة السياسية والصهيونية والاستعمار، وهو الصاعد من فرق الجيش الفنية ليطاول سقف النقد السياسي في إسرائيل، حدّ هجاء كل التابوهات القيَميّة التي تتحصّن داخلها تلك

الدولة/الجيش: العسكرة، القومية، الدين، التضحية، الحرب، الشعب، العصبويّة؟ ما موقعه أيضًا وهو الذي، رغم كل ذلك، لم يصرّح عن موقف سياسي عمليّ، واكتفى بالتعبير عنه لمزًا وسخرية عبر أغانيه؟ في الواقع، تحمل تلك "الزلّة الفنية" صورة قياسية عن أغنية حانوخ "الثورية": هي في بعدها الرمزي تحاكي نقديّة عفوية؛ ورفضيّة تطفو فوق انفلات وسخط، وتظلّ طافية وحسب، بلا "قرار". وفي الاتجاه نفسه أيضًا، تحمل التجربة الشخصية لحانوخ في حينها - وهو القادم من ألبومين فاشلين ومن حالة "حزن وجودي" ملازمة[٢]- صورة قياسية عن التجربة الإسرائيلية العامة: إنها تجربة موسومة بمرارة الخسارة المادية والوجدانية، والرغبة في التنفيس/ التعويض عن كليهما، وفي محاكاة الهمّ العام واستثماره في آن معًا. ابتداءً من تلك "الزلّة الفنيّة" السعيدة، سيضم حانوخ "الروك الثقيل"، ومعه الأغنية السياسية، إلى عائلته الموسيقية، بعد بداية فنيّة مترنّحة مع الأغاني الوجدانية وموسيقى الـ"بوب روك". وهذا كلُّه ليس إلا امتدادًا واحدًا، وظاهريًّا، للإجابة.

الامتداد الآخر يعود إلى تاريخ موسيقى "الروك" نفسها- إلى فترة الخمسينيات والستينيات في العالم الغربي، تحديدًا أميركا، وإلى سياق جيوسياسي وسمته كآبة ما بعد الحرب العالمية الثانية. في تلك الحقبة، بينما كان الغرب يتعافى من "تروما" الكارثة التي خلّفها وراءه، دخلت الولايات المتحدة في صراعات خاسرة مرة تلو المرة، معزّزة مشاعر اليأس وهواجس القيامة في بلدان ما بعد الحرب: الحرب الباردة، الحرب الكورية، أزمة الصواريخ الكوبية، ثمّ وصولًا إلى الذروة مع دخولها حرب فيتنام. في ظلّ هذه الأجواء، بدأ يتشكّل مناخ معادٍ للحروب، وشعور بالغبن من السياسيين. وفي السياق الاجتماعي الموازي، انبثقت نهضة أقلّوية، وتبلورت في حركة الحقوق المدنية الأميركية. تحت هذه الظرفية الاجتماعية-السياسية، ولدت موسيقى الروك، محمّلة بقلق وجودي، وصخب ثوري، وبهموم المهمّشين، وبغضب لا هوادة فيه على "الأستبلشمنت" (المنظومة)، وبكل شكوك ما بعد الحداثة وقنوطها من السرديات الكبيرة. تشكّلت في تلك الحقبة، وحتى أواسط السبعينيات، حركة فنّية غريمة لـ"الإستبلشمنت" اصطلح على تسميتها "حركة الثقافة المضادّة"، وفي أتونها طفرت "الروك" عن صنفها الأم "الروك أند رول"، وظهرت بشكلها الجديد- الإيقاعي، العنفواني، اللاذع إزاء كل مثُل الـ"Main stream"؛ وكان أبرز وجوهها بوب ديلان وفرقة السبت الأسود و"ذا رولينغ ستونز"، ولا تنفكّ عنها أيضًا فرقة الـ"بيتلز" البريطانية الشهيرة.[٣]

يمكن القول إن هذه السياقيّة التاريخية كانت الرافد لمدارك حانوخ الفنية/ الثقافية؛ وهذا كله في واقع جيوسياسيّ مماثل: في مناخ ملبّد بالحروب واللا يقين والخسارة، الأخلاقية والمادية- بدءًا من حرب أكتوبر، والكساد الاقتصادي الذي لحقها، مرورًا بالاحتجاجات الإثنية التي تصدّرتها حركة الفهود السود، وصولًا إلى حرب لبنان وانهيار سوق المال. من هنا، تبدو "ثورية" حانوخ منطبعة في هويّة موسيقى الروك نفسها، في نمطها الاحتجاجي الإنسانوي العابر للأمم، وفي الحداثة التل-أبيبية المتأففة من الحروب والمتنكّرة لتاريخ الصراع- أكثر من كونها "ثورية" لا صهيونيّة.

ثمّ هناك امتداد ثالث متّصل بطبيعة الفنّ من الأساس، بوصفه خروجًا عن السائد وانعتاقًا من قيود السلطة والمجتمع، وبوصفه أيضًا "حلبة نزال ناعم" -إن صحّ التعبير- بين المنظومة وخصومها، وفي تلك الحلبة هوامش احتجاج أكثر مرونة من هوامش السياسة والبيروقراطيا. قد نرى هذا، للمفارقة، في بعض الأنظمة السلطوية كما نراه في الأنظمة الديمقراطية. "ثورة الروك" الأميركية تلك، بكل ما فيها من عنفوان و"تطاول" على المؤسسة، وبكل سياقها الاجتماعي متمثّلًا في حركة الحقوق المدنية وحركة مناهضة حرب فيتنام، أصبحت في نهاية المطاف جزءًا من التاريخ الاجتماعي للولايات المتحدة[٤]؛ لقد ابتلع الثقب الأسود الكبير لـ"الأستبلشمنت" كل هذا الزخم الاحتجاجي، وأعاد إنتاجها -أي المنظومة- في لَدِينة جديدة. على هذا النحو أيضًا، صار حانوخ أحد أبرز وجوه التاريخ الفنّي في إسرائيل، وقوبلت أغانيه باحتفاء كبير، من إذاعة "جالي تساهل" التابعة للجيش، والتي اختارت "في انتظار المسيح" أغنيةَ العام في حينها، إلى أقصى حويصلات "اليسار الإسرائيلي"، وإلى الهوامش والقواعد الشعبية. هذا لأن الاحتجاج من الداخل

شالوم حانوخ. (عن: ويكيميديا)

على خطايا "الإستبلشمنت"، لا على "الإستبلشمنت" نفسها، يوطّد المنظومة بأثر عكسي ولا يلغيها.

لكن تنسلّ من هذا النقاش مفارقة دالّة، وهي أن موسيقى حانوخ انبثقت من المركز لا الهوامش- من حفلات "حديقة اليركون" الفارهة وسط تل أبيب، لا من ميادين الاحتجاج "الأقلّوية" (رغم حرصه اللافت على نطق حرف "الراء" باللكنة الشرقية في أغانيه، فإنه كان يطلق العنان للثغته الأشكنازية في المقابلات). في النصف الآخر من العالم، كانت أنماط الروك تتموسق مع صدى الأحداث، ونميمة الحارات والأزقة، وتتناسل مع تناسل مشاغلها وتقليعاتها؛ من "الروك الناعم"؛ إلى الروك الثقيل وتير الإيقاع؛ إلى "الروك الهذياني" (Psychedelic rock) المفتتن بالمخدرات الهلوسية وبفلسفة "الخفّة الوجودية" والتسامي فوق وطأة الواقع؛ مرورًا بـ"روك الرعاع" (punk rock) الموسوم بالتهكمية سليطة اللسان حيال أشكال السلطة وشخوصها؛ وصولًا إلى الأنماط الأشد تطرفًا مع دخول الثمانينيات، مثل موسيقى "الروك الأسود" (black rock) حيث تمجيد السوداوية واليأس على إيقاع صاخب، ونظيرتها "روك الموت" (Doom rock) حيث الاحتفاء بالموت والعذاب على إيقاع بطيء هامس. تقع موسيقى حانوخ الثورية في مكان ما بين كل تلك الأنماط، أو لعلّها، مع تلك الصدفة التي نقلتها من الإيقاع البطيء إلى السريع، تكون مزيجًا من ثيماتها جميعًا: صورة السجائر المحترقة على غلاف "في انتظار المسيح"؛ الرغبة في الانعتاق من "ضغط" قيود الدين والقومية و"الخروج من هنا" بلا وجهة؛ الاستيقاظ لحظة السقوط الحر في الهاوية؛ "باروديا" ملحمة النهاية، حيث الجميع يتقافزون من فوق الأسطح، ومعهم المسيح؛ الجمهور الإسرائيلي واقفًا برمّته - رئيس الوزراء وملكة الجمال والسكران معًا- في طابور ينتظر دفع الفاتورة، فاتورة الفكرة الصهيونية - كلّها ومضات ارتجاعيّة من ثقافات "روك" مختلفة، نمرّ عليها في أغانيه المترجمة أدناه، والتي ألّفها ولحّنها بنفسه. لكن في الوقت الذي كانت تجري فيه أنماط الروك المستحدثة عكس التيار عبر العالم، وتتخذ أشكالًا "بوهيمية"، وتستقطب أذواقًا جماهيرية

من هنا، تبدو "ثورية" حانوخ منطبعة في هويّة موسيقى الروك نفسها، في نمطها الاحتجاجي الإنسانوي العابر للأمم، وفي الحداثة التل-أبيبية المتأففة من الحروب والمتنكّرة لتاريخ الصراع- أكثر من كونها "ثورية" لا صهيونيّة.

معينـة، وتمنـح صوتًـا للأقليـات والهوامـش؛ جـرت أغنية حانـوخ مـع "التيـار الرئيـس" في البـلاد، ونالـت حظـوة لـدى النخبـة والعامـة، وصـار هـذا الأخـير مـن الوجـوه التـي تعـرّف إسرائيـل نفسـها بهـا فنّيًـا.

لـم تكـن أغنيـة حانـوخ الثوريـة مجـرد "تريـند" موسـوم بزمانـه وسـياقه وحسـب؛ حتـى في العـام ٢٠١٠، عـلى سـبيل المثـال، ظلّـت أغنيتـه "في انتظـار المسـيح" تـدور في محطّـات الراديـو الإسرائيليـة، عـلى اختلافهـا، بمعـدّل مرتـين في اليـوم،[٥] وفي العـام نفسـه، انتخبهـا ملحـق "الليـالي السـبعة" في صحيفـة "يديعـوت أحرونـوت"، بعـد اسـتفتاء عـشرات النقـاد والموسـيقيين والمحرريـن، في صـدارة قائمـة أفضـل الأغانـي الإسرائيليـة عـبر كلّ الأزمنـة، أو، بتعبـير المحـرر، الأغانـي التـي تجسّـد "الموسـيقى التصويريـة المثـلى للبـلاد". تعلـل الصحيفـة قـرار النقـاد بالقـول: "ربّمـا لأن 'انتظـار المسـيح' هـو الزمـن الإسرائيـلي نفسـه، وكذلـك اللازمـن الإسرائيـلي حيـال كلّ الأمـل واليـأس والذهـاب إلى التعبئـة العسـكرية والأمـوال المبـددة؛ لـكل ذلـك، 'انتظـار المسـيح' هـو، ببسـاطة، الإسرائيليـة بصورتهـا الخـام".[٦] هـذه أمّـة، حتـى في أيـام مجدهـا، لا تـزال في خلَدهـا تنتظـر القيامـة.

في انتظار المسيح[٧]

جالسين لساعات
في انتظار أن يأتي المسيح
المسيح هو شخصية مفتاحية
يده في كل شيء، وكل شيء في يده[٨]
سحابة سميكة
ترمش شفتا يروحام[٩]
وينظر يهودا[١٠] في ساعته ويدوّر مقلتيه
ثمة مكتب في الشمال
الوقت بعد الظهيرة
أرتسـيالي[١١] جالـس هنـاك يقـدّم استشـاراته في الشركـة المحـدودة
وفي الخارج العالم يجري سريعًا
ينقر الجرسَ وينادي:
أحضر لنا القهوة

ولا يحضر المسيح
المسيح لا يتّصل أيضًا

صمت تامّ
خمسة أشخاص متوتّرين
ويفتح الباب
وياردينا[١٢] بوجه تغمره البسمات:
الأسود من أجل يهودا، والشاي لأرتسيلي الابن
تذهب ياردينا خارجًا
وعزرا لا يكف عن التدخين
وبينما تمرّ ساعة وراء أخرى
يدرك أرتسيلي العجوز أنه لم يكن مخطئًا
يقطر عرقًا ويهدر على ابنه:

نقاد: "ربّما لأن 'انتظار المسيح' هو الزمن الإسرائيلي نفسه، وكذلك اللازمن الإسرائيلي حيال كلّ الأمل واليأس والذهاب إلى التعبئة العسكرية والأموال المبددة؛ لكل ذلك، 'انتظار المسيح' هو، ببساطة، الإسرائيلية بصورتها الخام".

المسيح لا يأتي
المسيح أيضًا لا يتصل

يخترق جرس الباب هسهسة المكيّف
يفزّ يروحام إلى الباب ويرمي سيجارته
ينظر أرتسيالي الابن إلى أبيه عن جنب
وراء كوّة الباب شرطي وقبعته في يده
يقول يهودا: أمر ما حدث لا محالة
يقول يروحام: لا يرسلون الشرطة بلا سبب
يقول الشرطي: كان هناك حادث.. ولذا..

لن يأتي المسيح
المسيح أيضا لن يتّصل

"حادث لمن"؟
يسأل أرتسيالي الابن
حادث للمدينة
يردّ الشرطي المسكين
انهارت البورصة
الناس يقفزون عن الأسطح
المسيح أيضًا قفز معهم
وأعلنوا أنه قُتل
"ضاع كل شيء"- بكى المقاول عزرا دهان
المسيح في السماء
ونحن هنا بلا مال
تمتمت يردينا الجميلة: هذا لا يمكن أن يحدث

لن يأتي المسيح
المسيح لن يتّصل أيضًا

"ديسمبر المر"- صدحت عناوين الأخبار
ووزير المالية يجري مقابلة في الأخبار:
الناس حمقى
ولذا الناس من يدفعون الثمن
ما يأتي بسهولة
سيتلاشى بالسهولة ذاتها
المواطن الصغير
سيدفع كلفة كبيرة لا محالة
وأنا تهمّني يارديننا أكثر من أي شيء
أمضي إلى قوات الاحتياط
وأعدّ المال.. ولا مال

المسيح لا يأتي
المسيح لا يتصل أيضًا

لا يتوقّف عند الإشارة الحمراء[١٣]

في قلب المدينة، في غضون المساء
يعبر بسيارة فاخرة-
بطلُ الشعب ملوّحًا بالوداع
احذروا- هو لا يتوقّف عند الإشارة الحمراء

أفسحوا الطريق؛ ها قد جاء السفاح
ثور هائج- لا يعبأ بالفرامل أبدًا
حافظ على حياتك! وهو لا يتوقف عن الإشارة الحمراء
حافظ على حياتك! هو لا يتوقف

فلتصمت أنت.. هو من سيتولى زمام الأمور
فلتنم أنت.. هو من سيسوس القطيع
وإذا استيقظت فجأة في هاوية لا قرار لها
فقد تأخر الوقت- هو لا يتوقف عند الإشارة الحمراء

مروحية تعبر سماء المدينة المحترقة
وعلى السرير ليس ثمّ غير فيلم رعب آخر
حافظ على حياتك! لا يتوقف عند الإشارة الحمراء
احذر! هو لا يتوقف..

الحمقى يحبون القوة
يصدّقونها ويمدّون لها يدًا لتتنامى
من ينقذكم حين تدركون فجأة
في وقت متأخر..
أنه لا يقف عند الإشارة الحمراء

الخروج من الضغط[14]

من أذرع الصحافة، من عيون السلطة
من مخالب الدين، من تهديد البطالة
من هتافات المؤيدين، من التسلية العابرة
من مؤسسة الزواج، من الرأي العام، من الذائقة العامة
من معركة الألوان، من مسوغات المعركة
من الخطاب القومي، من مشاعر الذنب، من مشاعر ا لذ نب
مرّة تلو المرة أهرب، مرّة تلو المرّة أنسلّ
أنهار من هذا الضغط، أنكسر منه
أموت توقًا للخروج من كلّ هذا الضغط.. للخروج من هنا

أنتِ تحتاجينني، أنا أحتاجك
لكن حين تكونين معي يصير الأمر معقّدًا.. يصير معقّدًا

مرّة تلو المرّة أهرب... مرّة تلو المرّة أنسلّ
أنهار من كلّ هذا الضغط.. أنكسر منه
وأموت توقًا للخروج.. للخروج من هنا

لكن في الأثناء نغلق أعيننا ونعود إلى البداية
وفي الأثناء نشرب الماء ونعاقر المرض

أنهار من هذا الضغط... أنكسر منه
وأموت توقًا للخروج من كلّ هذا الضغط.. للخروج من هنا

لا تسمّني شعبًا[15]

إذا مررت في حيّنا
سترى على الحائط نقشًا قديمًا
"ليحفظني الله نظيرَ إيماني"

ليس ثمّة "شعب مختار".. هناك أفراد فقط
ليس كلهم أغبياء ولا كلهم يعترفون
هؤلاء يهود وأولئك يهود
الإنسان يبقى إنسانًا
لا تسمّني شعبًا

أعبر المنفى ذاته هنا أيضًا عبثًا
كم من "غولاني" آخر أمام انتحاري وحيد
لا من الله
بل منك أنا قلق

مرّة أخرى تصعد حين يراق دم هنا
مرة أخرى تعتقد أنك ذكي
إن لم تلاحظ وجودي هنا
فما شأني بك وما شأنك بي
الإنسان يبقى إنسانًا
لا تسمّني شعبًا

عندما تتفتح الأزهار يفرح الأطفال
وأعداء الأمس يصيرون إخوة
والأبطال نائمون والحدود مفتوحة
والقافلة تعبر والكلاب تنبح

إذا مررت في حيّنا
سترى نقشًا قديمًا على الجدار
"الوجود أيضًا يحتاج إلى حماية
ليحفظني الله نظير إيماني"
يبقى الإنسان إنسانًا
لا تسمّني شعبًا

الحُكم[16]

لأن الحكومة غالبًا
تتحدث كثيرًا
وبالأصوات[17] المجلجلة
نسطّر الذاكرة
لأنه في المنحدر
ليس ثمة أفضلية
لا للأول.. ولا للأخير

ها قد بدأت الفوضى
تشبّث جيّدًا.. كن مستعدًّا
ها قد دخلت في حلم بلا ميعاد
إذا كان اليمين هنا واليسار هنا
إذًا أنت بالفعل هنا أيضًا؛
عالقًا في الشبكة.. معلّمًا بعلامة
أنت تعيش في فيلم حقيقي عن الحياة
على الهواء مباشرة.. مبنيّ على أحداث واقعية
سقطت في وضح النهار
وعلى أكاذيب ما زالت تحدث كل يوم-
في الظلام، تحت الطاولة.. أو البلاط
وفي كلّ جدّك واجتهادك لم تعرف
لم تصل

لأن الحكومة غالبًا
تتحدث كثيرًا(...)

من أجل ماذا
لعلّك تجيبني.. من أجل ماذا؟
كلّ ما فعلناه.. من أجل ماذا؟
عملنا وأردنا[18].. من أجل ماذا؟
بنينا لأنفسنا دولة
وتربّينا على التضحية في المعركة
احتللنا ودفعنا ثمن الأرض
انتظر حتى يحين الانتقام
مما لم نحسب له حسابًا

لأنه في المنحدر
ليس ثمة أفضلية
لا للأول.. ولا للأخير

وقوفًا في الطابور.. ادفعوا الفاتورة
واحدًا واحدًا... وكلكم معًا
العلماني والأسود
ملكة الجمال والسكران
المليونير والمفلس
وزيرة الخارجية والقزم
العاشق والمخادعة
رئيس الوزراء-
المؤلف الممثل المخرج
الملك الأعتى من الجميع[19]

وقت الحرب
وقت السلم
وقت الحب
وقت الحياة
كل شيء يمضي إلى مكان واحد:
من تراب مصهور.. إلى تراب منثور

الهوامش

١ مسجاف، أوري، **شالوم حانوخ هو الموسيقار السياسي الأكبر بين من كانوا هنا**، هآرتس، ٢٠٢٢/٢/١٥.

٢ بن، شلاف، **السلسلة الجديدة عن شالوم حانوخ لا تكشف تفاصيل مثيرة عنه**، هآرتس، ٢٠٢٢/٢/٢

https://www.haaretz.co.il/gallery/television/2022-02-05/ty-article-magazine/.premium/0000017f-debe-db22-a17f-febf46e20000

3 Perone, J. E. **Music of the counterculture era**, 2004, Greenwood Press..

4 Mankin, Bill, **We Can All Join In: How Rock Festivals Helped Change America**, 30/5/2013, No Depression: The Journal of Roots Music. https://www.nodepression.com/we-can-all-join-in-how-rock-festivals-helped-change-america/

٥ نوياه، كوخافي، **٢٥ سنة لـ"في انتظار المسيح".. شيء ما حدث لا محالة**، هآرتس، ٢٠١٠/٣/٢٦.

https://www.haaretz.co.il/gallery/2010-03-26/ty-article/0000017f-f863-d460-afff-fb6749490000

٦ "الليالي السبعة"، **أفضل ٥٠٠ أغنية إسرائيلية على الإطلاق**، يديعوت أحرونوت، ٢٠١٠/٨/٢٦. https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-3943753,00.html

٧ الإغنية الرئيسة في ألبومه الأشهر الصادر عام ١٩٨٥
https://www.youtube.com/watch?v=-0i3mev5EvQ

٨ هي استعارة من سفر التكوين (١١:١٦)، رغم أنها تفسّر هناك بعكس معناها الحرفي، إذ يخاطب ملاك الرب هاجر واصفًا ابنها إسماعيل: "يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه"، ومن هنا صارت تستخدم المقولة كناية عمن يتدخل في كل شيء ويسبب الضرر للجميع.

٩ قد يكون اسمًا لشخصيات تاريخية كثيرة، ربّما أقربها رمزًا هنا هو والد أزاريل قائد قبيلة دان- ثاني أكبر قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة.

١٠ قد يكون الاسم رمزًا أيضًا لقبيلة أخرى من قبائل بني إسرائيل هي يهوذا.

١١ اسم شخصية.

١٢ هي استعارة مشتقة من اسم ياردين ليفينسون، التي ذاع صيتها بعدما غادرت إسرائيل في تلك الحقبة إلى الولايات المتحدة، حيث امتلكت مطعمين وفتحت أمامها أبواب الثراء.

هندبرغر، حاييم، **يردينا الجميلة لا تزال تنتظر المسيح وفي الأثناء لديها مطعم في نيوجيرسي**، هآرتس، ٢٠٢١/١/١٤.

١٣ من ضمن ألبوم "في انتظار المسيح" نفسه، والرموز هنا كلها ترمي إلى حرب لبنان، وقيل إنه كان يقصد فيها شارون.
https://www.youtube.com/watch?v=maU4D_nkuBE

١٤ من ألبوم "في انتظار المسيح" أيضًا.
https://www.youtube.com/watch?v=BooKbXvLWfg

١٥ من ألبوم "مساء مساء" (١٩٩٧).
https://www.youtube.com/watch?v=xGpzVhXFVUo

١٦ نشرها في شباط ٢٠٢١، في الوقت الذي كانت تتحضر فيه إسرائيل لرابع انتخابات في غضون عامين.
https://www.youtube.com/watch?v=7NpzG56JmE0

١٧ قد تأتي بمعنى الأصوات الانتخابية أيضًا.

١٨ فيها ترميز إلى حركة العمل العبري قبيل قيام الدولة، وإلى حركة "إم ترتسو" (إن تريدوا) الاستيطانية العنصرية.

١٩ أو "أعتى من الجميع الملك"- اسم لمسرحية توراتية من تأليف الكاتب المسرحي الإسرائيلي نسيم ألوني، وقد عرضت لأول مرة في العام ١٩٥٥. تحكي المسرحية قصة نزاع بين ملك إسرائيلي طاغية اسمه رحبعام، وإسرائيلي آخر اسمه يربعام عاد من المنفى ليقود تمرّدًا على حكمه. أثارت المسرحية جدلًا في إسرائيل حول ما إذا كانت تحمل إيحاءات سياسية؛ وأي الشخصيتين في القصة ترمز إلى بن غوريون. يستخدم هذه الاستعارة هنا غالبًا على سبيل التهكم من نتنياهو الملقّب بـ"الملك بيبي".

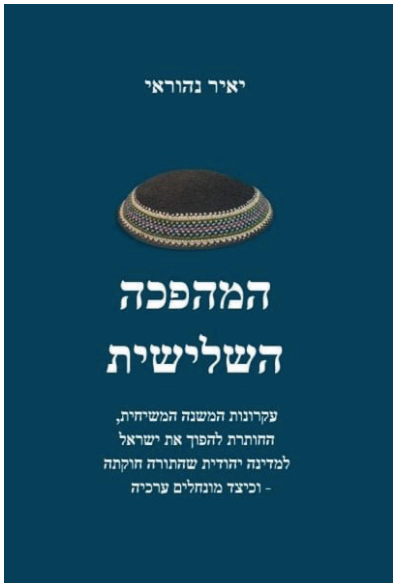

نبيه بشير *

«الثورة الثالثة» ليائير نهورئي..
عن مخطط الصهيونية الدينية لبلوغ «دولة الشريعة»

يائير نهورئي، الثورة الثالثة: أصول النظرية المسيانية الساعية إلى تحويل دولة إسرائيل إلى دولة يهودية دستورها التوراة، وكيف تورّث قيمها، [القدس]: إصدار شخصي، ٢٠٢٢، ٣٠٦ صفحات من القطع المتوسّط. [بالعبرية]

يضاف هذا الكتاب إلى قائمة إصدارات ترصد مساعي فئة أساسية في تيار الصهيونية الدينية (وهي مساعٍ دؤوبة، بعضها خفي وآخر صريح) لإحداث انقلاب في نظام الحكم في إسرائيل لتتحوّل إلى دولة دينية تستند كليًا إلى كل من التوراة والأحكام المستنبطة منها (المشناه) ومناقشة الحاخامات السلف لها (التلمود) ورجال الدين اليهود في عصرنا الحديث. لكن لكل إصدار من قائمة الأدبيات هذه إضافته النوعية، وسوف نتوقّف بصورة خاصة عند الإضافة النوعية لهذا الكتاب الذي نحن بصدد مراجعته.

رصدت أدبيات صحافية وأكاديمية البذور الأولى لمحور الكتاب الرئيس، منذ مطلع الثمانينيات وحتى مطلع التسعينيات، ككتاب داني روبنشتاين[1] وأطروحة دكتوراه لجدعون أران،[2] إلى جانب مقالات أكاديمية بالإنكليزية لباحثين أهمهم إليعازر دون يحيا ودوب شفارتس وآبي ساغي وإيهود شبرينساك، وركّزت جميعها على حركة غوش إيمونيم المسيانية الاستيطانية، وما يطلق عليه "ثورة الشباب" في

* باحث متخصص في الدراسات اليهودية، ومحاضر في الدراسات الإسرائيلية في جامعة بير زيت.

حـزب الصهيونيـة الدينيـة المركـزي (المفـدال) في مطلـع السـبعينيات. أمـا رصـد المحاولـة منـذ منتصـف التسـعينيات ومطلـع القـرن العشريـن فقـد جـرى عـلى يـدي صحافيّـين، وبصـورة خاصـة عـلى يـدي الصحـافي يائـير شـيلغ؛[٣] أمـا صاحـب هـذه المراجعـة، فقـد رصـد في أحـد كتبـه هـذه المحاولـة بعـد أن وضـع فصـولًا عـدة تطـرح السـياقات المختلفـة التـي سـاهمت في بلـورة تيـار الصهيونيـة الدينيـة والتحـوّلات الجوهريـة التـي مـرّ بهـا، وسـلّط الضـوء عـلى سـيرورات تطـوّر التيـار قيـد التشـكّل والمتمثّـل في مـا بـات يطلـق عليـه حاليًـا "الحريديـة الصهيونيـة" أو "الحريديـة القوميـة" (باختصـار: حـردل).[٤]

وقـد أكّـدت عـلى هـذا الموضـوع في أبحـاث عـدة، وقـد جـاء في آخرهـا مـا يأتـي:

وفـق العديـد مـن المراقبـين، يبـدو أن التيـار الصهيونـي الدينـي يعتمـد مخططًـا إسـتراتيجيًا، منـذ نهايـة السـبعينيات وحتـى يومنـا، يرمـي إلى التأثـير عـلى الوعـي اليهـودي بعامـة والإسرائيـلي بخاصـة، مـن خـلال أنشـطته وغـرس موظفـين ينتمـون إليـه في مراكـز صنـع القـرار في مختلـف المؤسّسـات وتوليـه وزارات محـدّدة، أهمهـا وزارة المعـارف، للتأثـير عـلى الأجيـال القادمـة عبر صياغـة المعـارف التـي تنكشـف إليهـا وبلـورة ذاكرتهـا التاريخيـة وهويتهـا، ووزارتـي الزراعـة والبناء والإسـكان لإقامـة المسـتوطنات وتعزيزهـا،[٥] ووزارة الداخليـة لأنهـا الطـرف الأهـم في كل مـا يتعلـق بتحويـل الميزانيـات المختلفـة والمنـح والتخطيـط للبلـدات والمسـتوطنات الجديـدة. عـلى سـبيل المثـال، جـاء في شـهادة الباحـث زئيـف دروري، خـلال مقابلتـه مـع أحـد مؤسّـسي حركـة غـوش إيمونيـم وعضـو الكنيسـت حنـان فـورات، أن هـذا التيـار قـد وضـع إسـتراتيجية جديـدة منـذ مطلـع الثمانينيـات ترمـي إلى دفـع الأبنـاء المنتمـين إلى التيـار القومـي الصهيونـي للانضمـام إلى الجيـش، والعمـل في أجهـزة الإعـلام، بغيـة إجـراء تغيـيرات عميقـة في مواقـع صنـع القـرار في مؤسّسـة الجيـش والإعـلام، كخطـوة نحـو تغيـير الوعـي والثقافـة السياسـية في إسرائيـل.[٦] وفي الحقيقـة، فقـد نجـح هـذا التيـار نجاحًـا باهـرًا في جميـع أهدافـه لا بـل وتخطّـى جميـع هـذه الأهـداف، كمـا سـنلمس في معـرض الدراسـة الحاليـة. فقـد حقّـق مـشروع الاسـتيطان نجاحـات كـبرى، ونجـح التيـار في تطعيـم الخطـاب السـياسي العـام في إسرائيـل بالقيـم والتصـوّرات والمفاهيـم الدينيـة، وجـرّ أجـزاء واسـعة مـن المجتمـع الحريـدي المناهـض مبدئيًـا للصهيونيـة إلى المشـاركة الفاعلـة في مشـاريع الاسـتيطان والتقـرّب مـن المجتمـع الإسرائيـلي العـام بواسـطة الخدمة العسـكرية أو الخدمـة المدنيـة، وفـرض الروايـات والتصـوّرات الدينيـة في مناهـج التربيـة والتعليـم الحكوميـة وغـير الحكوميـة، واحتـلال مناصـب مرموقـة في وسـائل الإعـلام المركزيـة وإنشـاء وسـائل وقنـوات إعلاميـة مؤثّـرة، واسـتجلاب الدعـم المـادي الهائـل مـن سـكان الولايـات المتحـدة اليهـود وغـير اليهـود مـن أجـل تمويـل أجـزاء واسـعة مـن نشـاطاتها.[٧]

عـلى الرغـم مـن ذلـك، يجـب التأكيـد عـلى أن هـذا التحليـل، ومثلـه مـن التحليـلات لباحثـين ومراقبـين آخريـن، لـم يسـتند إلى مـواد أوليـة واضحـة يمكـن أن تدعـم بصـورة قويـة الطـرح السـابق. وهـذا بالضبـط مـا يوفّـره لنـا الكتـاب الحـالي وهنـا تكمـن أهميتـه القصـوى.

قبـل الخـوض في الإضافـة النوعيـة لهـذا الإصـدار الجديـد، مـن المهـم بمـكان التوقـف عنـد الكاتـب والظـروف المحيطـة بإصـدار الكتـاب. يائـير نهورئـي هـو محـام وناشـط في مجـال الصحافـة الاسـتقصائية، لا سـيما في مجـال متابعـة نشـاطات الحـركات المسـيانية في إسرائيـل. وكمـا يمكننـا أن نتوقّـع، فـإن هـذه الحـركات لا تـتردّد في "معاقبتـه" عـبر اسـتنزاف قـواه ومـوارده الماليـة مـن خـلال تقديـم دعـاوى قضائيـة ضـدّه، وكان آخرهـا دعـوى قـذف وتشـهير رفعهـا "بطـل" الكتـاب (الحاخـام إيـلي سـدان) ومطالبتـه بتعويـض يصـل إلى مليـون شـيكل بحجـة انتهـاك قانـون الملكيـة الفكريـة، حيـث قـام الكاتـب بطباعـة مقتطفـات طويلـة لمحـاضرات سـدان ونشرهـا. ومـن الجديـر بالذكـر أن الكاتـب اختـار إصـدار كتابـه هـذا عـلى نفقتـه الخاصـة، بطباعـة ذاتيـة، حيـث لـم ينـشره في دار نـشر معينـة، وذلـك لخشـيته مـن الإمـلاءات والتدخّـلات التـي يمكـن أن تظهـر مـن طـرف دور النـشر، لاعتبـارات تسـويقية أو أيديولوجيـة وغيرهـا، كمـا وضّـح لي الكاتـب نفسـه في محادثـة هاتفيـة معـه.

يتمتّـع هـذا الإصـدار الجديـد بمسـاهمتين مركزيتـين. تتلخّـص الأولى في رصـد مـواد شـفهية لقيـادات مركزيـة

المساهمة الأهم والمحورية للكتاب، فتتمثّل في رصده لمسألة لطالما تردّد الباحثون في الإشارة إليها لعدم توفر مواد موثّقة حولها، وتفيد بوجود مخطّط في تيار الصهيونية الدينية يسعى إلى التغلغل في كافة المؤسّسات الحكومية، لا سيما في الجيش ووزارة التربية والتعليم ومواقع صنع القرار، من أجل إحداث "انقلاب في نظام الحكم"، كما يرد في الكتاب الحالي، وتحقيق الغاية المثلى المتمثّلة في "دولة الشريعة".

تنتمي إلى الجناح المسياني لتيار الصهيونية الدينية، وتتمثّل في دروس دينية يلقيها هؤلاء أمام طلابهم في جمعية "بني عيلي" ومتاحة على موقعها الرسمي. أما جمعية "بني عيلي"، فهي مدرسة دينية في مستوطنة "عيلي" تقوم بتحضير طلابها لمرحلة الخدمة العسكرية وما بعدها، أقامها الحاخام إيلي سدان والحاخام يغئال لفينشطاين في سنة ١٩٨٨، وتحوّلت لاحقًا إلى أحد أذرع وزارة التربية والتعليم عملًا بقانون "قانون المدارس الإعدادية قبل العسكرية" (لسنة ٢٠٠٨)[٨] وأنظمة "قانون المدارس الإعدادية قبل العسكرية" (لسنة ٢٠٠٨). يظهر التعريف الآتي في المادة الأولى للقانون: "المدرسة الإعدادية قبل العسكرية" هي "إطار تعليمي معدّ في الأساس للمرشحين لخدمة الأمن وللمكلّفين بالعسكرية يستهدف إعداد المتعلمين فيه لأداء خدمة كاملة في جيش الدفاع الإسرائيلي والتثقيف للمشاركة الاجتماعية والمدنية". تحصل المدرسة بمختلف دوائرها ومستوياتها منذ سن هذا القانون على ميزانيات سنوية هائلة من وزارة التربية والتعليم (١٠ ملايين شيكل سنويًا)، وفق ما جاء في الكتاب. أما في الموقع الرسمي، فلا يمكن معرفة عدد الطلاب الذين يدرسون في هذه المدارس، ولكن إذا عرفنا من نص القانون (المادة ٣، الفرقتان أ وَ ب) أن الوزارة تدفع ٢٣,٥٠٠ شيكل عن كل طالب (تتقاسم هذا العبء مناصفة مع وزارة الدفاع)، ينتج أن عدد طلابها سنويًا يصل إلى نحو ٤٢٥ طالبًا. وتقع مستوطنة "عيلي" في قلب تكتل القرى الفلسطينية في جنوب نابلس ومحيطها (قريوت والساوية واللّبن الشرقية وتلفيت وإسكاكا)، وأقيمت على أراضي بعض هذه القرى، لا سيما قريتي قريوت والساوية، بعد مصادرتها. كما تجدر الإشارة إلى أن مستوطنة "عيلي" تضم كذلك مدارس دينية للجنود وطلاب ما بعد الخدمة العسكرية. كذلك، نشهد أن هذا الصنف من المدارس نشأ منذ منتصف سنة ١٩٦٧، وتمثّل بداية في إقامة مدرسة "حوريب" (حزيران ١٩٦٧) ومدرسة "هكوتل" (حائط المبكى) (تموز ١٩٦٧). وقد بلغ عدد هذا الصنف من المدارس الدينية في السنة الدراسية الماضية (٢٠٢١/٢٠٢٢) ٥٤ مدرسة، منها ٢٤ مدرسة توراتية للبنين وَ ٣٠ مدرسة عامة ومختلطة للبنين والبنات موزّعة على كافة المدن والبلدات اليهودية في إسرائيل. ومن الملاحظ زيادة هائلة للفتيات في هذه المدارس، إذ نشهد زيادة في السنوات الأخيرة تصل إلى ٢١٨٪.

أما المساهمة الأهم والمحورية للكتاب، فتتمثّل في رصده لمسألة لطالما تردّد الباحثون في الإشارة إليها لعدم توفر مواد موثّقة حولها، وتفيد بوجود مخطّط في تيار الصهيونية الدينية يسعى إلى التغلغل في كافة المؤسّسات الحكومية، لا سيما في الجيش ووزارة التربية والتعليم ومواقع صنع القرار، من أجل إحداث "انقلاب في نظام الحكم"، كما يرد في الكتاب الحالي، وتحقيق الغاية المثلى المتمثّلة في "دولة الشريعة". إضافة إلى ذلك التغلغل الملموس في داخل حزب الليكود واحتلاله من الداخل بحيث يتحوّل إلى أداة طيعة بأيديهم. يعي العديد من الباحثين والصحافيّين وعيًا تامًا وجود مثل هذا المخطّط، وإن كان غير مصرّح به، لكن بصماته واضحة للعيان.

هنا تحديدًا تكمن أهمية اختيار دروس دينية متاحة على موقع جمعية "بني عيلي"، لأنها ملقاة أمام طلاب بصورة طبيعية ومتحرّرة من القيود. فعند إجراء المقابلات مع الأشخاص، أو تسجيل النشاطات، كإحدى أدوات البحث، يكون الشخص

مراجعات كتب: «الثورة الثالثة» ليائير نهورئي.. عن مخطط الصهيونية الدينية لبلوغ «دولة الشريعة»

الـذي تتـم مقابلتـه، أو الجمهـور الـذي يتـم تسـجيل نشـاطاته، عـلى وعـي كامـل بـأن كلماتـه أو سـلوكياته يتـم رصدهـا وتسـجيلها، لهـذا يتـم التحكّـم بمـا يتـم التصريـح بـه وانتقـاء الكلمـات والسـلوكيات بحـذر. بخـلاف ذلـك، عنـد اسـتخدام دروس أمـام الطـلاب وتسـجيلها بهـدف اسـتخدامها لاحقًـا لخدمـة مجتمـع أوسـع مـن الطـلاب، يكـون المحـاضر، وكذلـك الطـلاب، أكثـر تحـرّرًا مـن قيـود "الرقابـة"، لا سـيما والحديـث يـدور عـن جمهـور متجانـس فكريًـا وأيديولوجيًـا بدرجـة كبـيرة، وهـي أكثـر أدوات البحـث العلمـي صدقيـة وتقـترب أكثـر إلى شـكل التخاطـب المفتـوح والصريـح. كذلـك، لـو علـم المحـاضر، أو الطـلاب، مسـبقًا بـأن دروسـهم سـوف تُسـتخدم لأغـراض بحثيـة وترصـد لأغـراض غـير الأغـراض الموضوعـة لهـا مسـبقًا لـكان يمكـن القـول حينهـا إنهـا أداة لا تختلـف كثـيرًا عـن أداة إجـراء المقابـلات أو توزيـع الاسـتبيانات.

وفي الحقيقـة، كان كاتـب هـذه المراجعـة متابعًـا لـدروس يوميـة ونـشرات أسـبوعية للمدرسـة الدينيـة في مسـتوطنة بيـت إيـل منـذ سـنة ٢٠٠١ وحتـى سـنة ٢٠٠٤، ولا تـزال غالبيـة هـذه المـواد متوفـرة في الموقـع الرسـمي للمدرسـة.[٩] فقـد كان هـذا الموقـع الأول مـن نوعـه ضمـن نشـاطات مسـتوطنات الضفـة الغربيـة وقطـاع غـزة، وتبعتـه الكثـير مـن المواقـع لمـدارس دينيـة أخـرى، كالموقـع الرسـمي للمدرسـة الدينيـة في البلـدة القديمـة في القـدس "عطـيرت يروشـاليم"،[١٠] وكل موقـع كهـذا يضـم مئـات الـدروس الدينيـة. كذلـك، كان كاتـب هـذه المراجعـة متابعًـا للبرنامـج التلفزيونـي "فرشـت هشـفوع" (القصـة الأسـبوعية) الـذي كان يعـرض كل يـوم جمعـة السـاعة ١٦:٠٠ لمـدة سـاعة كاملـة في التلفزيـون الإسرائيـلي (١٩٩٥-٢٠٠٦)، وكان الحاخـام مردخـاي إيلـون هـو ضيـف الـشرف الدائـم فيـه.[١١] وأضيـف هنـا أنـه بفضـل متابعـة هـذا البرنامـج تحديـدًا، اتخـذ قـرارًا منـذ السـنوات الأولى بتوسـيع آفاقـه بالديانـة اليهوديـة، لا سـيما تأويلاتهـا الحديثـة واسـتخدامها لأغـراض سياسـية وأيديولوجيـة. النقطـة الأكثـر إثـارة في مثـل هـذا البرنامـج، وكذلـك في جميـع المحـاضرات التـي يستشـهد بهـا الكاتـب، هـو مـا يمكننـا أن نصطلـح عليـه تعبـير "تحـين" (actualization-)، ومفـاده اسـتخدام مـواد معينـة (توراتيـة في حالتنـا)، بعـد سـلخها عـن سـياقاتها وبيئاتهـا الأصليـة، وإعـادة صياغتهـا مـن جديـد بحيـث تتـلاءم مـع الظرفـين الزمانـي والمكانـي الحاليّـين المختلفـين كليًـا عـن الظرفـين اللذيـن ظهـرت فيهمـا هـذه المـواد. ويقـف خلـف هـذا الاسـتخدام مفهـوم التاريـخ الدائـري الـذي يعـود عـلى ذاتـه دومًـا. فالتاريـخ الدينـي أو الأسـطوري هـذا هـو دائـري بالـضرورة، وغـير أفقـي كمـا نشـهد في فكـر الحداثـة والتحديـث.

فـكل قصـة أو شـخصية توراتيـة يمكـن سردهـا أو عرضهـا وكأنهـا قصـة معـاصرة وشـخصية تعيـش بيننـا. فحـين يتنـاول الحاخـام إيلـون أي قصـة توراتيـة، تبـدو هامشـية وغـير مهمـة في السـياق التوراتـي، يمنحها لمحـات وعنـاصر قصصيـة وأدبيـة حديثـة بحيـث تعـود إلى الحيـاة مـن جديـد وتحمـل معانـي مهمـة لنـا ولحياتنـا في هـذا المـكان وفي هـذا الزمـان، إضافـة إلى عرضهـا بصـورة رومانسـية وكاريزميـة تسـتحوذ عـلى المشـاهد والمسـتمع. والأهـم مـن ذلـك كلّـه، أن تفاصيـل القصـة وحبكتهـا وكيفيـة عرضهـا تأتـي لخدمـة هـدف أسـاس يتلخّـص في إقنـاع المشـاهد والمسـتمع بإنـه هـو نفسـه، هـذا المتلقّـي الخامـل، هـو نفسـه شريـك بصـورة فعّالـة في القصّـة مـن بدايتهـا إلى نهايتهـا. وهنـا تندمـج شـخصية بطـل القصـة مـع شـخصية المتلقّـي بحيـث لا يمكـن الفصـل بينهمـا البتـة. يخـرج المتلقّـي مـن مشـاهدة الحلقـة بطـلًا توراتيًـا ويحمـل رسـالة لإنهـاء مـا لـم ينهـه أبطـال التـوراة القدامـى، إضافـة طبعًـا إلى تصويبـه للأخطـاء التـي ارتكبهـا السـلف، بحيـث تصبـح قصـة منقّحـة ومعدّلـة وحديثـة ملائمـة لـروح العـصر بكافـة تفاصيلهـا ومعانيهـا. أعتقـد أن المتلقّـي غـير النقـدي الـذي يسـتمع إلى رجـال الديـن هـؤلاء، ويشـاهد اسـتخداماتهم للغـة الجسـد ويلامـس انفعالاتهـم، سـيكون هدفًـا سـهلًا يتـم الاسـتحواذ عليـه.

يتألّـف الكتـاب مـن ١٣ فصـلًا إضافـة إلى مقدمـة وخاتمـة وقائمـة المصـادر والمراجـع (٣٠٦ صفحـات مـن القطـع المتوسـط). يعتـبر الفصـل الأول هـو جوهـر الكتـاب وحـاوي الطـرح المركـزي لـه، حيـث يتوقّـف بإسـهاب عنـد ملامـح مخطّـط قلـب نظـام الحكـم في إسرائيـل وتفاصيلـه، وآلياتـه، والأسـاليب والسياسـات المعتمـدة لتحقيقـه، كل ذلـك يتلخّـص في تعبـير "منهجيـة ألقانـة". أمـا ألقانـة هـذا فهـو "ألقانـة بـن يروحـام بن أليهـو بـن توحـى بـن صـوف" مـن "رامتايـم سـوفيم

فهناك مساهمة نوعية للكتاب بصفته تقريرًا، لأنه يوفّر للباحث مادة ومصادر أولية يصعب على كل باحث أن يصل إليها بقواه الذاتية، حيث إن جمعها وترتيبها يحتاج إلى سنوات من الرصد والمتابعة ومئات الساعات من الاستماع إلى هذه الدروس الدينية.

من جبل أفرايم"، كما يخبرنا مطلع سفر صموئيل الأول. كان صموئيل، نجل ألقانة، تقيًا جدًا بخلاف بقية أبناء الشعب ورجالات الدين في عصره. منح الرَّب ألقانة ابنه هذا كثواب على تفانيه في عبادة الرَّب، حيث كان داعية سعى بحزم وإصرار كبيرين إلى تقريب الشعب إلى عبادة الرَّب، فكان أسلوبه في الدعوة هو العمل البطيء والمثابر. يبدأ بشخص واحد، وتكبر الدائرة إلى أن تصل إلى العشرات فمئات حتى ينجح في تقريب جميع الشعب إلى الدين، كما يخبرنا مدراش صموئيل. أما العبرة التي أخذها مؤسّسا جمعية "بني دافيد"، الحاخام إيلي سدان والحاخام يغئال لفينشطاين، فهي أنه يجب اعتماد هذه المنهجية من أجل بلوغ غاية تحويل إسرائيل من دولة "ديمقراطية يهودية" إلى دولة يهودية تكون التوراة دستورها (٢٠-٢١).

كيف يترجم الحاخام إيلي سدان والحاخام يغئال لفينشطاين هذه المنهجية على أرض الواقع في إسرائيل المعاصرة؟ والجواب الصريح الواضح في جميع فصول الكتاب هو: التغلغل في جميع المؤسّسات المركزية في إسرائيل والسعي إلى قيادتها، أهمها مؤسّسة الجيش ووزارات التربية والتعليم والإسكان، وجميع المؤسّسات الأخرى التي تعتبر مؤثّرة على المجتمع ويمكنها المساهمة في دعم التوجهات الاستيطانية وتعزيز الدراسة الدينية على أمل بلوغ الهدف المنشود المتمثّل في قلب نظام الحكم.

يجب لتحقيق هذا الهدف "خلق انقلاب اجتماعي يعتمد على أنموذج عميق وجدّي"، كما يطلعنا سدان على تفاصيل كيفية إجراء هذا الانقلاب (٢٥):

"فالأشخاص المتماثلون (مع هذا الانقلاب) يدفعون به إلى الأمام ككرة ثلج تتّسع شيئًا فشيئًا. (...) كيف يتحقّق هذا الانقلاب الروحاني-الاجتماعي من الأسفل؟ كيف ندفع بالشعب إلى تكرار القول: هل ننضم إليكم؟ فيجيبون بنعم، لنذهب سوية (مدراش صموئيل)؟ والجواب هو أن نحقّق ذلك بواسطة تشكيل فئة من الأشخاص تكبر شيئًا فشيئًا كمًّا وكيفًا، بحيث كل من يشاهدهم يسعى للانضمام إليهم في مسيرتهم".

هذا هو المبدأ الأول والرئيس: تشكيل فئة من النخبة تحمل هذا الهدف، وتتمثّل في إقامة بؤر توراتية تتوزّع في كافة المدن والبلدات الإسرائيلية وتعمل في مختلف المجالات التربوية والتطوير والاستيطان وغيرها (ص ٢٥).[١٢] كيف يتم استغلال الخدمة العسكرية من أجل إحداث تغييرات جوهرية في الجيش وفي المجتمع الإسرائيلي؟ الجواب: أولًا، التأثير على الجيش لتغيير ثقافته وملاءمتها لتوجهات الجنود المتدينين؛ ثانيًا، التأثير على الجندي العلماني باتجاه التقرّب من الدين بتأويلاته الصهيونية؛ ثالثًا، استغلال الجيش من أجل "احتلال قلب المجتمع الإسرائيلي وتغييره"؟ (٢٣٩).

في معرض أحد دروس الحاخام سدان (في سنة ٢٠١٤)، يحاول أن يقرّب هذه المنهجية إلى قلوب الطلاب، فيخاطبهم بالكلمات الآتية:

قامت ١٢ أسرة هنا (مستوطنة عيلي) بتنظيم أنفسها من أجل إقامة بلدة جديدة في النقب (...) وهنالك ٢٠ أسرة أقامت بلدة في وادي عارة (المقصود مستوطنة حريش الجديدة) (...)

مراجعات كتب: «الثورة الثالثة» ليائير نهورئي.. عن مخطط الصهيونية الدينية لبلوغ «دولة الشريعة»

أنتم تعلمون بوجود بؤر لأغراض محدّدة. في اللد وأور عكيفا، وفي عشرات الأماكن الأخرى في أنحاء البلاد، هناك عشرات مثل هذه البؤر. هناك هدف جليل يتمثّل في العمل في حقل التربية والتعليم. نعم! وقد بلغ الأمر أن انتقل العديد من خريجينا إلى تل أبيب للعمل في التربية والتعليم، لأن هذا الحقل يعتبر مستقبل الدولة (٢٦).

يستطرد سدان فيقول:

أريد أن أرى ألفًا أو ألفين من الخريجين (من مدرسة "بني عيلي") مشبعين بالشريعة والتقوى بكل معنى الكلمة، يتوزّعون في جميع أنحاء البلاد ويحتلّون المواقع المفتاحية في كل مكان، في كل حقل، فيقومون بالعمل بروح الشريعة، حينها ستنجح منهجية ألقانة (...) وبالتالي فإن هذا سيتحقّق بفضل الجمع بين الكيفية والكمية. ليس لدينا كمية كافية (من الخريجين) ولا بالجودة المطلوب لدينا ما يكفي، لهذا علينا بذل الجهود. تعزيز الكمية والكيفية. أين تكمن نقطة ضعفنا؟ هنا، في هذه الغرفة (٢٦).

إضافة إلى "الكمية والكيفية"، كيف يمكن الوصول إلى أن يحتل خريجو مدرسة "بني عيلي" "المواقع المفتاحية" في مؤسّسات الدولة؟ يخبرنا أحد المدرسين، زميل سدان، وهو الحاخام أوفير ولاس، أن أحد الأدوات تكمن في استخدام المحسوبية: "يجب تأهيل أشخاص عمليّين لتحقيق أهداف قومية في المجالات الاجتماعية الاقتصادية ولكل حقل عملي آخر". ويوضّح ذلك في درس آخر (بعنوان: الفساد، والرشوة واستخدام المحسوبيات في القطاع العام)، فيقول: "في ظل الواقع القائم في القطاع العام، مسموح لا بل وفرض علينا استخدام الفساد والرشوة واستخدام المحسوبيات". لماذا؟ لأن هناك ظرفين يكمّل الواحد منهما الآخر. الأول، هو أن القطاع العام يعاني من التسييس، ولهذا: "أنت تفهم من تلقاء نفسك أن الجميع يستخدمون المحسوبيات، وأنت تعلم كذلك أن الكفة لن تميل إلى صالحك إذا لم تستخدم المحسوبية. لهذا يُسمح لك استخدامها" (ص ٢٧).

أما الظرف الثاني فيتلخّص في "أنك تستحق ذلك بالفعل"، لماذا؟

لأنك تعلم أنه ليس هناك أشخاص آخرون من مدرستك، فتقوم بصورة عفوية بدفع أجندة ترى بها، بحسب رأيك ورأي رجال الدين الذين تعتمد عليهم، وسيلة لإدارة الدولة استنادًا إلى الشريعة، فتعزّز حكم الشريعة وقيمها أكثر فأكثر (في عمل المؤسّسة)، كما نفعل ذلك نحن كذلك هنا في هذه المدرسة (...) فبصورة عفوية تدرك أنك الأفضل، أو أنك أقدر الأشخاص على فعل ذلك حاليًا" (ص ٢٧). ويضيف مدرّس آخر للطلاب القول بأن "المهنية مهمة بالطبع ولكن عالم القيم أهم، هو عالم الأخلاق والتقوى.

أنوّه خشية الانخداع بلفظة "أخلاق"، فهو لا يريد الأخلاق العالمية أو الاجتماعية أو الأساسية المتعارف عليها في غالبية المجتمعات، فبرأيه كما هو رأي العديدين المنتشرين في مثل هذه التيارات الدينية، فإن الأشخاص غير المتدينين بالطريقة نفسها ولا يحملون التأويلات نفسها لا أخلاق لهم البتة، فهم يعيشون داخل كذبة كبيرة توهمهم بأنهم سعداء أو مثقفون أو متحرّرون ولكنهم في الواقع عبيد يفتقرون إلى أدنى القيم الأخلاقية. لهذا، فإنه يريد الأخلاق التوراتية والدينية كيفما يفهمها هو، وهذا هو موضوع الفصل الثاني: العلماني والعلمانية (٣٥-٤٧). وقد عبّر عن ذلك أحد المدرّسين في هذه المدرسة بقوله: "لقد تلقينا التوراة من السماء، من هناك فقط، ومن هناك فقط نستمدّ الحقيقة والأخلاق والمقدّس" (١٩٥).

ما هي نظرة هذه الشريحة من الصهيونية الدينية إلى العلمانيّين ومساهمتهم في إنشاء دولة إسرائيل؟ الموضوع مركّب، لكنه يستند بشكل خاص إلى اللاهوت السياسي الذي طوّره أبراهام كوك، المؤسّس الحقيقي والأهم لهذا التيار. وفق هذا اللاهوت فإن هناك جوهرًا مقدّسًا متأصّلًا في كل

يهودي وينتقل بالوراثة، ولكن تكسوه قشرة تكون أحيانًا رخوة وأحيانًا تكون قاسية، وهي تعبير مجازي عن التأثيرات الخارجية الناتجة عن مخالطة غير اليهود وثقافاتهم. فالذين تتغلّب قشرتهم القاسية على جوهرهم من اليهود هم أولئك اليهود العلمانيون الذين يعرقلون مشروع "إعادة المجد التليد" المتمثّل في "إعادة بناء مملكة إسرائيل القديمة من جديد على أسس توراتية". وفي تأويل ثان، إلى جانب الجوهر اليهودي المقدّس، هناك "الاختيار الحر" لكل فرد يهودي، يختار "أخلاقياته" وسلوكه (وهو تعبير آخر للتأثيرات الخارجية غير اليهودية). الحالة المثلى هي حين ينتج انسجام تام بين هذا الجوهر وبين الاختيار الحر، هذه هي هوية "اليهودي الأصيلة"، الساعية، كما يخبرنا أحد أساتذة مدرسة "عيلي": "إلى بناء الهيكل. هذا هو هدفنا. إننا نحارب من أجل إعادة السكينة الإلهية إلى صهيون. نسعى إلى أن تظهر التوراة بكاملها. فنحن لا نحارب من أجل الحفاظ على الهدوء على الحدود الجنوبية فقط. بل نرغب بأن الشرّ بكامله كانقشاع الدخان، لكي تسود سلطة الربّ، لتظهر ملكوت الربّ على وجه الأرض" (٥٤، كذلك في ٦٢). أما حين نحصل على تنافر بينهما ينتج لنا عمليًا هوية يهودية "مشوّهة"، نحصل حينها على "خونة" من داخل اليهود يعتبرون "سكّينًا في ظهر الأمة" (٣٦-٤٧)، وهو موضوع الفصل الثالث أيضًا (٤٨-٦٣). وفي تأويل آخر، يتمتّع بنو البشر بنفسين، نفس بهيمية ونفس ربّانية. النفس البهيمية مهمة جدًا لأنها مسؤولة عن الأبعاد التقنية في حياتنا، ولكن تجذبنا هذه النفس إلى الأسفل، تنحط أهدافنا لتركّز على الأمور الدنيوية فحسب. أما النفس الربّانية، وهي النفس السائدة بين اليهود لأسباب وراثية ولاهوتية، فإنها تسمو بنا دومًا إلى الأعلى لنهتم بأمورنا الروحانية. وخلاصة الأمر أن إسرائيل والصهيونية وفق هذا التأويل هما من بين أدوات النفس البهيمية هذه فقط، فهي مجرد أدوات لخدمة النفس الربّانية (٥٥).

المثير جدًا في فكر أبراهام كوك، هي تلك الجدلية التي تميّز لاهوته، والتي تعتبر الركيزة التي يستند إليها هذا التيار الذي يتوقف الكتاب الحالي بصدد مناقشة أفكاره. ينتج من لاهوت كوك أنه لتحقيق الرسالة الإلهية التي يحملها اليهود، يتعيّن عليهم الاستعانة بالقشور والقوى العلمانية، كالعلوم والتكنولوجيا وكل ما هو عصري، والصهيونية ومؤسّساتها تعتبر جزءًا مركزيًا من هذه القشور، أو "الحمار الذي يمتطيه المسيح". فينظر هذا التيار إلى الصهيونية وإسرائيل والعلوم وكل ما هو حديث بصفتها أدوات فقط تساعد في تحقيق الغاية المقدّسة المنشودة.

يضيق بنا المجال هنا لاستعراض مضامين بقية الفصول الأخرى للكتاب، لكننا سنتوقف عند بعض ما جاء فيه بخصوص العرب والمسلمين والمسيحيّين واليهود الشرقيّين والمذكورة في الفصلين السادس (ما هي اليهودية؟) السابع (فلسطينيون وأقليات) بشكل رئيس. إضافة إلى التصوّرات الاستشراقية الفظّة الكثيرة في الكتاب، كتعبير "الشرق الأوسط المخبول" (١٠٤)، تشير العديد من هذه الدروس، بأن الحداثة بثقافتها وأخلاقياتها إنما هي مسيحية بجوهرها تنتشر بصفتها ثقافة علمانية، وهو جوهر لا تقل خطورته عن "السمّ القاتل" واليهود العلمانيون واليسار الصهيوني يعتبرون عملاءه (١٠٥-١٠٩). أما يهودية الشرق "الدخيلة على الواقع اليهودي"، بحسب أحد المدرّسين، فهي يهودية مشوّهة تأثّرت بثقافة الخرافات و"الأرواح والشياطين والسحر" الإسلامية (١١٧).

أما بخصوص العرب والمسلمين، فتتغذّى الملامح الرئيسة لتصوّرات هؤلاء المدرّسين من قصة هاجر وإسماعيل بشكل واضح وملخّصها أنه يجب أن يكون العرب والمسلمون عبيدًا لدى اليهود، لا لتعزيز مصالح اليهود والحفاظ على فوقيتهم وسيادتهم، بل من أجل مستقبل ناجح للعرب والمسلمين، فهؤلاء لا عقل لهم، فهم يفكرون بصورة مشوّهة لأن "جيناتهم مريضة" و"جوهرهم مشوّه" و"لا قدرة له على لتغلب على النزعات المتأصّلة فيهم". لهذا، لمصلحتهم هم عليهم الخضوع لسيطرة اليهود عمومًا وإسرائيل خصوصًا، لضمان ازدهار مستقبلهم! (١٢٤-١٢٦).

نتوقف بإيجاز عند بعض النقد للكتاب. فهو بالمجمل لي سوى تقرير يعرض أمام القارئ اقتباسات طويلة مأخوذة من دروس دينية لمدرّسين

في إحدى المدارس الدينية بصفتها حالة دراسية. وبهذا المعنى، فالكتاب ليس بحثًا أكاديميًا، لا يوفّر لنا الأرضية التي تغذّي المضامين التي يعرضها، ولا الإطار تاريخي الذي من شأنه توضيح أبعاد عديدة للمضامين، ولا الإطار النظري الذي من المفترض أن يؤطّر مضامين الكتاب وينظّمها من خلال استخدام الاصطلاحات النظرية، الأمر الذي يمكن أن يوضّح العديد من الجوانب الواردة فيه. كذلك، يتجاهل هذا الكتاب الكم الكبير من الأبحاث والدراسات المنشورة بالعبرية والإنكليزية بشكل رئيس، وبالتالي فهو لم يستفد منها ولم يناقشها لتوضيح نقاط ضعفها ومساهمته في تصويب نقاط الضعف هذه. ولكن، على الرغم من كل ذلك، فهناك مساهمة نوعية للكتاب بصفته تقريرًا، لأنه يوفّر للباحث مادة ومصادر أولية يصعب على كل باحث أن يصل إليها بقواه الذاتية، حيث إن جمعها وترتيبها يحتاج إلى سنوات من الرصد والمتابعة ومئات الساعات من الاستماع إلى هذه الدروس الدينية.

نشير في الختام إلى ملاحظة مهمة بخصوص تجاهل الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني هذا التطوّر المستمر منذ عقود عدّة على المشهد الإسرائيلي والذي سيترك بلا شك إسقاطات عدة بعيدة المدى على طبيعة الصراع العربي-الفلسطيني الإسرائيلي. يبدو أن هناك اتفاقًا ضمنيًا إسرائيليًا-عربيًا-فلسطينيًا، وربما دوليًا أيضًا، لتجاهل هذا التطوّر وتسليط الضوء عليه، فكلا الجانبين، لا سيما ما يطلق عليه تعبير "اليسار" الإسرائيلي والمهيمنين على خطاب السلطة الفلسطينية، يتخوّفان من الإشارة إلى تحوّل طبيعة الصراع إلى صراع ديني لخطورة الأمر، فالخطاب الديني لا يقتصر على تلك التيارات والحركات الدينية اليهودية، بل هو هيمن ولا يزال على معظم أحزاب اليمين، لا سيما على حزب الليكود. كذلك، ترى السلطة الفلسطينية أن الإشارة إلى هذا التطوّر من شأنه أن يضعف خطابها السياسي ويعزّز خطابات تيارات وحركات معارضة لها. لهذا نلمس المصلحة المشتركة بين الطرفين تجاهل هذا التطوّر، ولكن من البديهي الافتراض أن تجاهله لا يعني غيابه أو إضعافه، بل هو في تطوّر دائم ومستمر منذ أربعة عقود على أقل تقدير، وهناك ضرورة بالغة لتطوير خطاب عربي-فلسطيني بمقدوره التعامل مع هذا التطوّر بصورة مجدية.

الهوامش

١ داني روبنشـتاين، غـوش إيمونيـم (عـمان: دار الجليـل للنـشر، ١٩٨٣ [صـدر بدايـة بالعبريـة في سـنة ١٩٨٢]).

٢ جدعـون أران، مـن صهيونيـة دينيـة إلى ديـن صهيـوني (أطروحـة دكتـوراة، الجامعـة العبريـة في القـدس، ١٩٨٧).

٣ يائير شـيلغ، المتدينـون الجـدد، رام اللـه مـدار، ٢٠٠٢ (صـدر بدايـة بالعبريـة في سـنة ٢٠٠٠).

٤ نبيـه بشـير، عـودة إلى التاريـخ المقـدّس: الحريديـة والصهيونيـة، دمشـق: قدمـس، ٢٠٠٥؛ نفـس الكاتـب، جدليـة الديني السـياسي في إسرائيـل (رام اللـه: مـدار، ٢٠٠٦).

٥ حـول الـدور الهائـل لهـذه الـوزارة في إقامـة المسـتوطنات وتعزيزهـا، يُنظـر: إيـرز مغـور، "الدولـة، السـوق، والمسـتوطنات: سياسـة وزارة البنـاء والإسـكان والانتقـال مـن البـؤر المسـيحانية للنمـو المدينـي في مطلـع الثمانينيـات"، سوتسـيولوجيا يسرائيليـت، العـدد ١٦ (٢٠١٥)، ١٤٠- ١٦٧.

٦ زئيـف دروري، "المنطقـة الفاصلـة بـين الكُمَّـة والبيريـه: كيـف يتعامـل الجيـش الإسرائيلـي مـع عمليـة التديّـن؟"، ضمـن كتـاب رؤوبـين غـال وتمـير ليبـل (محـرّران)، مـا بـين الكُمَّـة والبيريـه: ديـن وسياسـة وجيـش في إسرائيـل، دار النـشر مـودن م.ض، بـن شـيمن، ٢٠١٢، ١١٥- ١٥٠، ١٣١- ١٣٢.

٧ نبيـه بشـير، "صهيونيـة التيـار الدينـي الاسـتيطاني: السـياق التاريخـي، الأيديولوجيـا، والمؤسّسـات الرسـمية في إسرائيـل"، قضايـا إسرائيليـة، العـدد ٧٩ (٢٠٢٠)، ٧٥-٩٥.

٨ نـشرت صيغـة القانـون "قانـون المـدارس الإعداديـة قبـل العسـكرية لسـنة ٥٧٦٨- ٢٠١٨" يـوم ١٢ آب ٢٠٠٨ ضمـن الوقائـع الإسرائيليـة، كتـاب القوانـين رقـم ٢١٨٢، ص ١٢٨٧-١٢٨٨ (بالعربيـة)، وصـدر مـشروع قانـون الكنيسـت ونـشر ضمـن مشـاريع القوانـين رقـم ٢٤٤ (لسـنة ٢٠٠٨). وتجـدر الإشـارة إلى أنـه في أعقـاب اسـتحداث وزارة جديـدة تحمـل اسـم "وزارة الاسـتيطان" (أيـار ٢٠٢٠) انتقلـت هـذه المـدارس مـن وزارة التربيـة والتعليـم إلى وزارة الاسـتيطان. ينظـر التعديـل الثـاني للقانـون الـذي يحـوّل المسـؤولية عـن هـذه المـدارس إلى وزارة الاسـتيطان (التشريعـات الرسـمية، كتـاب القوانـين رقـم ٢٨٧٨ - ١٥ كانـون الأول/ ٢٠٢٠- ص ١٦٠ (بالعربيـة).

٩ يُنظر: https://www.yeshiva.org.il/midrash.

١٠ يُنظـر: https://ateret.org.il. وهـي مدرسـة للدراسـات العليـا أنشـأتها الجمعيـة الاسـتيطانية "عطـيرت كوهنيـم" في سـنة ١٩٨٣ في قلـب البلـدة القديمـة في القـدس لتشـجيع الاسـتيطان في البلـدة القديمـة؛ يُنظـر كذلـك المواقع الرسـمية الآتيـة لأهـم هـذه المـدارس الدينيـة العسـكرية والمدنيـة: (مدرسـة حـورب التابعـة لمؤسّسـة "حـورب" التربويـة (المقامـة منـذ ١٩٣٤ ومركزهـا في القـدس): http://horev.co.il)؛ مدرسـة "أور عتسـيون" للدراسـات العليـا (منـذ سـنة ١٩٧٧): http://oretzion.com؛ والمدرسـة الدينيـة العسـكرية (يشـيبت هسـدر) "هكوتـل" (آب ١٩٦٧): www.hakotel.org.il. وجميـع هـذه المـدارس والمعاهـد تابعـة لأكـثر الأطـراف تعصبًـا في تيـار الصهيونيـة الدينيـة. أما المدرسـة الدينيـة "يشـيبت هـراب"، التـي تعتـبر "حاملـة لـواء الصهيونيـة الدينيـة"، والتـي أقامهـا الحاخامأبراهـام كـوك الشـهير في سـنة ١٩٠٩ في يافـا وأغلقـت بعـد بضـع سـنوات، وأعيـد إقامتهـا مـن جديـد في سـنة ١٩٢٤ بمحـاذاة شـارع يافـا في القـدس وقريبـة مـن أسـوار البلـدة القديمـة، فقـد تخـرّج منهـا جميـع غـلاة الحاخامـات الصهاينـة المعروفـين في أيامهـا، وهـم الذيـن أسّسـوا الأحـزاب والمـدارس الدينيـة والمؤسّسـات التربويـة والثقافيـة والاسـتيطانية والمـدارس العسـكرية الدينيـة التابعـة لتيـار الصهيونيـة الدينيـة (وموقعهـا الرسـمي: https://mercazharav.org.il).

١١ مردخـاي (موطـي) إيلـون، هـو نجـل نائـب رئيـس سـابق للمحكمـة الإسرائيليـة العليـا وقاضيًـا فيهـا (١٩٧٧-١٩٩٣). سـطع نجـم مردخـاي إيلـون منـذ مطلـع التسـعينيات بصفتـه مـن ألمـع الخطبـاء في تيـار الصهيونيـة الدينيـة، وربمـا مـن أخطرهـم، لأنـه كان يقـوم بإسـقاط تفسـيراته للتـوراة وآثـار الخاخامات السـلف (حاخامـات المشـناه والتلمـود) عـلى الواقـع المعـاصر، ويصـوّر هـذه التفسـيرات عـلى أنهـا فـوق تاريخيـة، قائمـة منـذ الأزل وباقيـة إلى الأبـد، لا تتبـدّل ولا تتغيّـر. وهنـا يكمـن ربمـا سرّ شـعبيته البالغـة بـين فئـات الشـبيبة، فهـو يتحـدث بلغتهـم، ويصـوّر لهـم حيواتهـم كعاكسـة لقصـص توراتيـة، ويمنحهـم الشـعور بصفتهـم "أبطـالًا" توراتيّـين، مسـاهمين لإعـادة بنـاء الأسـاطير والقصـص التوراتيـة مـن جديـد. اسـتضافه البرنامـج التلفزيـوني "فرشـت هشـفوع" (القصـة الأسـبوعية) عـلى مـدار أحـدى عـشرة سـنة متواصلـة (١٩٩٥-٢٠٠٦)، وكان برنامجًـا ناجحًـا جـدًا. شـغل منصـب رئيـس المدرسـة الثانويـة الدينيـة "حريـب" في الشـطر الغـربي مـن القـدس، ورئيـس المدرسـة الدينيـة العسـكرية (يشـيبت هسـدر) "هكوتـل" (حائـط المبـكى) في البلـدة القديمـة في القـدس (٢٠٠٢-٢٠٠٦)؛ ومؤسّـس جمعيـة "مبريشـيت" لأغـراض تربويـة منهجيـة وغـير منهجيـة تركّـز عـلى التعليـم الديني ولكـن تعتمـد مناهـج دراسـية معـاصرة وغـير تقليديـة تسـتند إلى كشـف الطـلاب لتجـارب مشـاعرية تدمـج بـين القصـص والمقـولات التوراتيـة وبـين الحيـاة المعـاصرة واحتياجاتهـا. أمـا في تمـوز ٢٠٠٥، فقـد بـدأت مجموعـة مـن الحاخامـات بمعالجـة بعـض الشـكاوى التـي قدّمهـا بعـض طلابـه مـن الفتيـة والأطفـال بالتحـرّش الجنـسي بهـم واغتصـاب بعضهـم، واسـتمرت هـذه الشـكاوى بالتدفّـق عـلى مـدار سـنين، حتـى سـنة ٢٠١٣ إذ أديـن في المحاكـم الإسرائيليـة بالتهـم الموجّهـة ضـدّه.

١٢ حـول هـذه المسـألة، يُنظـر: نبيـه بشـير، "التهويـد المسـتحدث - الاسـتطباق الإثنـي بقيـادة الدولـة في عـصر النيوليبراليـة - مراجعـة أطروحـة دكتـوراه: يعيل شـمرياهو يشـورون، سياسـة اسـتيطان البـؤر (التوراتيـة) في بلـدات الأطـراف والمـدن المختلطـة في إسرائيـل: مـا بـين القوميـة والنيوليبراليـة، أطروحـة دكتـوراه، قسـم السياسـة العامـة والإدارة، كليـة الإدارة والأعـمال، جامعـة بـن غوريـون في النقـب (٢٠٢١)"، قضايـا إسرائيليـة ٨٣ (خريـف ٢٠٢١)، ٧٠-٨٣

عبد الغني سلامة *

مراجعة نقدية لرواية "الثالث"

صدرت رواية "الثالث" للروائي الإسرائيلي "يشاي سريد" عام ٢٠١٥، ومؤخراً ترجمها عن العبرية هشام نفاع، وأصدرها المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار (٢٠٢٢)، مع تعقيب للمختص في الشأن الإسرائيلي "أنطوان شلحت". تقع الرواية في ٢٤٣ صفحة.

تنتمي الرواية إلى "أدب النهايات"، أو أدب الخيال والرعب، أو أدب المدينة الفاسدة والديستوبيا.. وتدور أحداثها في زمن مستقبلي مُتخيّل، بعد أن تتعرض تل أبيب لقنبلة ذرية تبخّر سكانها، وتحيل مدن الساحل إلى خراب.. ليأتي شخص يعيش في النقب اعتاد ممارسة هوايته في مراقبة النجوم ويتمكن من إعادة توحيد من تبقى من اليهود حوله، وتأسيس مملكة يهودا الجديدة في الجبال (في إشارة إلى مناطق الضفة الغربية) وعاصمتها أورشليم، وطرد الفلسطينيين منها (الذين يسميهم العماليق)، ثم استعادة "تابوت العهد"، وإقامة الهيكل الثالث (يسمي هذه المرحلة حرب الخلاص).

هذه المملكة عبارة عن دولة دينية يهودية خالصة (ثيوقراطية)، متفرغة تماماً لعبادة الرب، وتطبيق الشريعة، وأحكام التوراة.. يحكمها ملك مستبد، تشبه تماماً الممالك الدينية التاريخية القديمة، التي شاهدنا مثلها في الأفلام السينمائية وكتب التاريخ، حيث نظامها وراثي أوتوقراطي، وحاكمها مطلق الصلاحيات، وتمارس طقوساً دينية شكلانية كتلك التي مارستها الديانات الأيقونية والوثنية القديمة، والتي تتركز حول المعبد والمذبح، وتقديم القرابين والأضحيات والتقيد بالشعائر.

تصور الرواية هذه المملكة على أنها ديستوبيا

---

*باحث وكاتب رأي.

تأتي الرواية على لسان "يونتان"، وهو ابن الملك.. يكتبها على شكل مذكرات أثناء مكوثه في الأسر حيث يسمح له الفلسطينيون بكتابة شهادته عن تلك الحقبة، قبل أن يسوقوه إلى الإعدام.

(الجحيم، والمكان الذي لا يصلح للعيش)، بطل الرواية الملك "يوعاز"، وهو شخص كان مرتداً عن الدين، لكنه سيستخدم الدين في حربة لاستعادة حكم اليهود، فتعيده لحظة تجلٍ إلهية أثناء إقامته في النقب إلى دين أجداده، وينجح في توحيد صفوف من تبقى من شعبه حوله، تدوم مملكته قرابة ٢٥ سنة، لكنها تتعرض لحصار وعزلة دولية، وتتحوّل حياة سكانها إلى بؤس وشقاء وفقر، ويقودهم ملكهم في نهاية المطاف إلى هزيمة مذلة، بعد أن يخوض حرباً ضد العرب والفلسطينيين، ينتج عنها خراب الهيكل الثالث.

تأتي الرواية على لسان "يونتان"، وهو ابن الملك.. يكتبها على شكل مذكرات أثناء مكوثه في الأسر حيث يسمح له الفلسطينيون بكتابة شهادته عن تلك الحقبة، قبل أن يسوقوه إلى الإعدام.

الرواية مليئة بالترميز.. فمثلاً يونتان، وهو آخر من بقي من أبناء الملك يتعرض في طفولته لحادث تفجير ضمن محاولة من العماليق لاغتيال الملك، ينجو من الانفجار لكنه سيعاني من إعاقة في رجله، ويفقد فحولته.. (هل كانت تلك إشارة من الكاتب إلى النهاية المحتمة للدولة الدينية اليهودية؟).

يوكل الملك لابنه يونتان مهمة إدارة المعبد المقدس، فهو لا يصلح للحرب، ولا لشيء آخر في مجتمع عسكرتاري ذكوري، ولا حتى للزواج، مع أن تعاليم التوراة تحرم على المعاق والمخصي (والنساء) دخول المقدس، هذا الأمر يجعل يونتان ممتناً لأبيه الذي أوكل إليه هذا المنصب الرفيع، وفي الوقت نفسه سيعيش أزمة نفسية حادة، وإحساساً عميقاً بالذنب لأنه خدع الإله يهوه.. وبهذا الإحساس المركب يعيش يونتان طيلة عمره مغيباً عقله تماماً، ومنقاداً كلياً للمقدس، مقتنعاً بكل الخرافات، ومخلصاً للملك حتى آخر لحظة.. (وهذه سمات المجتمعات الدينية العسكرتارية المغيبة عن الواقع، والمنفصلة عن العصر، المخدرة عقول أفردها كلياً، والمنقادين للسلطة بولاء مطلق، مع انصياع صارم لسطوة المعتقد والغيبيات).

يصف لنا "يونتان" العلاقة الزائفة بين السنهدرين (المجمع الديني الذي يتولى القضاء وتطبيق الشريعة) والكهنوت والملك وأفراد أسرته، مثلاً: تزوج والده من زوجة ثانية، بينما والدته تقفل على نفسها منزلها بعد هجر زوجها لها، يصف علاقة الملك المشبوهة بأحد الأثرياء، ومخالفته الشريعة لإرضائه، ويروي خداع والده ووزير حربه الجمهور حين زعما بتمثيلية تلفزيونية أنهما ظهرا في المعركة لدعم معنويات الجنود، وهنا يصدمه شقيقه "يوئيل" بحقيقة الأمر، قائلاً: "هذا الشعب الجاهل يشتري كل حكاياتهم الخرافية، أنا لم أعد أصدّق الوالد، وقد حان الوقت لأن تنضج وتكبر أنت أيضاً".. لكن "يونتان" يجيبه بعناد: "أنا أؤمن بعمق أنَّ الرب أرسل والدنا ليقودنا نحو الخلاص، وأنَّ ما تقوله كفر وتدنيس لاسم الرب، وستجلب علينا كارثة".

يكتشف أنّ شقيقه ديفيد (وزير الدفاع) لم يكن مقاتلا بارعاً، بل هرب من البلاد حين اشتعر بدنو الهزيمة، ويصف العمل في المعبد بأنه ممل ودون جدوى، ويتحدث عن الفقراء الذين يقتطعون من حصة أطفالهم ويقدمون القرابين للمعبد، بينما طبقة الكهنوت يلتهمونها بنهم، ولا يشبعون.. وهنا ينزع الكاتب على لسان "يونتان" القداسة عن "المقدس" وبلا مواربة، فالذبائح تدنس المعبد بروثها وبولها، كما أن سدنته يغضون الطرف عن التعاليم التوراتية المشددة مقابل المال والامتيازات، ورشوة الأثرياء..

وحسب المعتقد الشائع للمجتمع الأورشليمي فإن القنبلة الذرية التي دكت تل أبيب كانت عقاباً من الرب لسكانها اليهود الآثمين، لأنهم تخلوا عن التوارة والشريعة، وعاشوا حياة علمانية بلا دين ولا أخلاق.. لذلك، لم تُقِم مملكة يهودا أي نصب تذكاري لهم، بل ظلت تعتبرهم هم الذين جلبوا الدمار لإسرائيل.

يأتي المشهد الأخير مروعاً، ومرمزاً.. في يوم الغفران، وهو آخر يوم في حياة مملكة يهودا، كان الفلسطينيون

حسب المعتقد الشائع للمجتمع الأورشليمي فإن القنبلة الذرية التي دكت تل أبيب كانت عقاباً من الرب لسكانها اليهود الآثمين، لأنهم تخلوا عن التوارة والشريعة، وعاشوا حياة علمانية بلا دين ولا أخلاق.. لذلك، لم تُقِم مملكة يهودا أي نصب تذكاري لهم، بل ظلت تعتبرهم هم الذين جلبوا الدمار لإسرائيل.

على أبواب العاصمة، ويدكونها بالقذائف.. يلقي الملك خطاباً عاطفياً، ثم يأمر بإطلاق رشقة من الصواريخ النووية على المدن العربية البعيدة، ولكن هذا لا يغير شيئاً، وفي خطوة أخيرة يائسة، يأمر الكهنوت الملك بأن يضحي بابنه الصغير قرباناً للمذبح، لعل "يهوه" ينقذهم من نهايتهم البائسة. وهنا إشارة إلى حالة الهيجان الجمعي بعد أن يتملك السكان الخوف واليأس، فيفقدون بصيرتهم وإنسانيتهم، ويعتقدون أن ذبح الرضيع هو فقط ما يسكن غضب الرب، ويدفعه للتصرف لإنقاذ شعبه المختار! لكن "يونتان" يرفض ذلك، ثم يهجم على والده الذي كان يحمل صغيره بيدٍ والسكّينة باليد الأخرى ويهم بذبحه، ويقوم بطعن والده وقتله، ثم يهرب مع شقيقه الصغير، ليقع في الأسر، وهناك يخصص الفلسطينيون مرضعة للطفل..

تظهر الرواية حدية الصراع على هوية الدولة والمجتمع، خاصة بين العلمانيين (تل أبيب/ الساحل) والمتدينين (القدس/ الجبل)، والمفارقة أنّ كلتيهما تنتهيان بالدمار والخراب.. هل أراد الكاتب القول بأن نهاية إسرائيل محتمة وفاجعة مهما كانت هويتها، لأنها مشروع استعماري بحت؟ أم أراد تسليط الضوء على خطر تحول إسرائيل إلى دولة دينية يحكمها اليمين المتطرف؟ ربما الخيار الثاني ما أراده الكاتب، خاصة وأن حضور الفلسطينيين في الرواية شبحي ومتوارٍ.

وفي مشهد آخر يصف محاكمة السنهدرين لزعيم العلمانيين "سوركيس"، الذي يُحاكم بتهمة الخيانة (العلمانية تصبح خيانة)، والذي يقول رغم تعرضه للسجن والتعذيب: "ملعون هذا الملك المستبد الذي توجتموه عليكم، وملعون "يهوه" ربكم قاسي القلب، انظروا إلى البلاد، إلى الفقر، والبؤس، والمدن المتهاوية، وإلى كل الدم الذي سفكتموه".. وفي النهاية يُعدم أمام الجمهور. (في إشارة ضمنية إلى مصير اليسار والعلمانية في المجتمع الإسرائيلي).

المؤلف "يشاي سريد"، ابن "يوسي سريد"، الوزير السابق وعضو الكنيست، ومن زعماء حزبي العمل وميرتس، وأحد رموز ما يسمى "اليسار الإسرائيلي". لذا يمكن فهم الرواية على أنها تحذير قاسٍ وواضح يتعلق بمآلات إسرائيل المحتمة، إذا ما استمرت في سياسة التهود والتدين واليمينية والتطرف.. فهي تعبر بوضوح كبير عن المخاوف العميقة والرهيبة الكامنة في العقل العلماني الإسرائيلي، الذي يمثله مجتمع تل أبيب، تجاه تغوّل الدين والاستيطان والتطرف في المجتمع والدولة والجيش، وتحوله إلى فاعل مؤثر وقوي، بحيث يرتد في النهاية على صانعيه، وتوضح الرواية كيف يتحوّل الدين والتدين المتطرف وتهويد الوعي والحياة إلى حاضنة للفساد والتضليل والقتل.

لا يسلط الكاتب الضوء على مخاوف العلمانيين من مصير إسرائيل المستقبلي وحسب، بل ويستشعر خطورة البنى التحتية الحالية والتي تمهد لتحويلها إلى دولة ثيوقراطية (قانون القومية اليهودية مثالا)، يطلق عليه تعبير "الهيكل الثالث"، مستخدماً لغة التوراة بعباراتها الدينية، بدءاً من العهد القديم فالمشناه والتلمود وكتاب التسابيح والصلوات، وبالهوس العرقي والتعصب والعنصرية، من أجل تأكيد طبيعة هذه البنى الظلامية وقدرتها على التدمير. فهو في الوقت الذي يرسم فيه صورة ديستوبية مرعبة للكابوس القادم، يرسم أيضا ما هو قائم في إسرائيل الآن.

وبحسب "أنطوان شلحت" فإن "ساريد" ليس أول من كتب في الديستوبيا الإسرائيلية، فقد سبقه "عاموس كينان" في روايته "الطريق إلى عين حارود" في مستهل الثمانينيات، وتبعه آخرون، معظمهم من خلفية يسارية، ودافعهم الرئيس خشيتهم مما يمكن أن يكون عليه مصير إسرائيل طالما أن اليمين والتدين يتغولان في المجتمع، وذلك عبر أعمال روائية برؤية سوداوية تحمل نذير سوء.

أسلوب الكاتب سلس ومهني وشيق، يسير بأحداث الرواية بوتيرة متناسقة، والترجمة رائعة ومتمكنة.

إعداد: عبد القادر بدوي

اسم الكتاب: العقد الذي ولد فيه «عرب إسرائيل»: إسرائيل ومواطنوها العرب- الفلسطينيون ١٩٦٦-١٩٧٦

تأليف: دروون ماتسا

الناشر: ريسلينغ

سنة النشر: ٢٠٢٢

عدد الصفحات: ٣٠٥

يبحث الكاتب في هذا الكتاب كيفية تطبيق السياسة الإسرائيلية تجاه المواطنين العرب-الفلسطينيين من خلال تحليل مجال الخطاب السياسي المؤسسي، والطريقة التي يتم بها الحديث عن الأقلية من خلال النظم المفاهيمية، والتعريفات اللغوية والمصطلحات مثل «عرب إسرائيل»، «الطابور الخامس»، «الولاء» وغيرها، باعتبار هذه المصطلحات تشكّل أداة سياسية وتضع الخطط المستقبلية، وتساعد في بناء شبكة الخبراء والمختصين في الشؤون العربية الذين طوروا المعرفة حول الأقلية العربية، والتي تم من خلالها تشكيل الخطاب تجاههم ونشره وتفسيره في المجال العام وبين صانعي القرار أيضًا.

برز في هذه العملية، بحسب الكاتب، مستشار الشؤون العربية في مكتب رئيس الوزراء «الملك الفيلسوف» شموئيل توليدانو الذي عرف كيفية توظيف الدراسات الاستشراقية في الأكاديميا الإسرائيلية، وأصبح النواة لشبكة الخبراء في مجال الإعلام الذي يتناول القضية «العربية-الإسرائيلية».

يربط هذا الكتاب بين الخطاب والمعرفة واللغة والسياسة والخبراء، وتكمن أهميته ليس في الكشف عن آليات صياغة السياسات من خلال الخطاب، وإنما أيضًا في الكشف عن منطقها الداخلي.

اسم الكتاب: الهيمنة والاستراتيجية الاشتراكية: نحو سياسة ديمقراطية راديكالية
تأليف: أرنستو لكلاو وشنتل موف
الناشر: ريسلينغ
سنة النشر: ٢٠٢٢
عدد الصفحات: ٢٧٠

يُحاول هذا الكتاب إعادة تعريف الماركسية من خلال مفهوم «ما بعد الماركسية» المتجّذر بعمق في تفكيكية الثمانينيات من العقد المنصرم، وكونه يحاول إعادة التفكير في الأعراف الأساسية للفكر الماركسي دون التخلّي عن التهمة الراديكالية فيه، فإن للكتاب تأثير شديد، حيث استطاع إحداث جدال حاد منذ نشره لأول مرة في العام ١٩٨٥، من حيث الأحداث التي أضفت أهمية إضافية لوجهة النظر النظرية التي يقدمها، مثل تفكّك الكتلة السوفياتية؛ العولمة وتحديها للهويات التقليدية والمواضيع الجماعية للحداثة؛ ظهور هويات اجتماعية وسياسية جديدة مرتبطة بالاضطرابات في الرأسمالية المتأخرة، وأزمة أهداف اليسار وغيرها.

يسعى لكلاو وموف في هذا الكتاب إلى انتهاك الإمكانات النقدية والراديكالية السياسية للتقاليد الماركسية من خلال دمجها مع عناصر التفكير ما بعد البنيوي، وكذلك، من خلال تبنّي الرؤى السياسية لنضالات الحركات الاجتماعية المختلفة: الحركة النسوية، والبيئية وحركة السلام.

يُقدّم الكاتبان مفهومًا غير جوهري لـ«الهيمنة» من أجل فهم المجال السياسي المعاصر، ومن أجل التفكير في ممارسة سياسة راديكالية وديمقراطية.

اسم الكتاب: حرب المئة عام القادمة
تأليف: عيرن نيتسان
الناشر: ماتر
سنة النشر: ٢٠٢٢
عدد الصفحات: ١٩٢

يتناول الكتاب الصراع المتنامي بين الولايات المتحدة والصين، وهي القصة الأكبر في عصرنا- العلاقة المعقّدة والمتوترة بين الصين القوة القديمة الجديدة التي تتألق من جديد على المسرح العالمي، والولايات المتحدة القوة العظمى التي أجبرت على الدفاع عن موقعها.

يتناول الكتاب هذا الصراع بعيدًا عن المناقشات النظرية وكليات العلوم السياسية، وإنما من جانب تأثير ذلك على كل جانب من جوانب حياتنا تقريبًا؛ المناخ والأسلحة الذرية، الاقتصاد العالمي وحركات التجارة، والأسواق المالية، والتطورات التكنولوجية، وقضايا الخصوصية وحرية التعبير- كل هذه وأكثر أجزاء من لغز واحد كبير تُكثّفه حالة التوتر المتزايدة باستمرار بين القوتين العظميين.

كتاب حرب المائة عام القادمة هو كتاب عن التغيير؛ تغيير اتجاه التاريخ، بعد أن بات الحاضر الذي نعيشه نتاج نظام عالمي تاريخي تم تشكيله في منتصف القرن العشرين في الحروب العالمية.

اسم الكتاب: إسرائيل الثانية
تأليف: أفيشاي بن حاييم
الناشر: يديعوت أحرنوت
سنة النشر: ٢٠٢٢
عدد الصفحات: ٤٠٨

يتناول هذا الكتاب تاريخ اليهود الشرقيين في «إسرائيل الثانية» من حيث الاضطهاد والقهر المرير والخطوات المتخذة لقمعهم من ناحية، والشفاء من ناحية أخرى. إن «نظرية إسرائيل الثانية» من وجهة نظر بن حاييم، كما يستعرضها في هذا الكتاب، هي رحلة من الاضطهاد إلى الشفاء؛ من المرّ إلى الحلو، إنها بحسبه وثيقة تاريخية معاصرة، مكتوبة من القلب والعقل، وهي تعبير عن شعور العديد من الأجيال اليهودية في إسرائيل، والتي لم يتم حتى الآن صياغتها في الأبحاث والكتب المختلفة.

اسم الكتاب: بين هتلر وتشرشل
تأليف: يعقوب بلكوف
الناشر: ماغنيس
سنة النشر: ٢٠٢٢
عدد الصفحات: ٣٥٣

يكشف هذا الكتاب عن وجه غير معروف في تاريخ الحرب العالمية الثانية: محاولة مسؤول كبير في الحكومة البولندية المنفية التحدث مع قيادة الرايخ الثالث ومجهود ناجح من قبل وكالات الاستخبارات البريطانية لإفشال هذه المحادثة.

تم وصف هذا الحدث في الكتاب من خلال القصص الشخصية لبطلين رئيسين، وهما يهوديان من مواليد بولندا، أحدهما توسط في الاتصالات المذكورة، والآخر ساعد البريطانيين في القبض على الوسيط أحد أفراد شعبه، وإحضاره إلى إسرائيل وقتله فيها دون محاكمة. بفضل التحليل الدقيق لتقارير الجواسيس والدبلوماسيين البولنديين والبريطانيين والألمان والروس، والتي يُكشف عنها هنا لأول مرة، سيتعرّف القرّاء على اتصالات الحكومة البريطانية السرّية مع كل من ألمانيا النازية والاتحاد السوفيتي الشيوعي. وبذلك، يتحدّى الكتاب وجهة النظر المقبولة، التي تعتبر احتلال النازيين لبولندا مقدّمة معينة للحرب العالمية الثانية.

في السنة والنصف الأولى بعد الأول من أيلول ١٩٣٩، انخرط قادة أوروبا، بمن فيهم كبار المسؤولين في بولندا وبريطانيا العظمى، في مناورات سياسية محمومة تهدف إلى حماية مصالحهم الوطنية والشخصية، لإنهاء القتال في القارة، قبل أن تصبح أكبر كارثة في تاريخ البشرية.

يقدم الكتاب مساهمة مهمة وفريدة من نوعها للمهتمين بنظرية العلاقات الدولية وممارستها.

اسم الكتاب: عن الحكم
تأليف: عدي أوفير
الناشر: ريسلينغ
سنة النشر: ٢٠٢٢
عدد الصفحات: ٢٩٣

يكشف هذا الكتاب عن ثلاثة مفاهيم أساسية للفكر السياسي: الدولة، الحكومة والسياسية، من خلال إيقاعات مختلفة. حيث يُجيب الكتاب على سؤال ما هي الدولة في الواقع؟ وما هي الحكومة؟ على افتراض أنه ليس كل حكومة دولة، وما الذي يجعلها، أي الحكومة، سياسية؟ (على افتراض أنه ليس كل شيء في هذه البُنى هو سياسي). هذه المفاهيم مستقاة من تقليد طويل للنظرية السياسية الأوروبية.

يسعى الكتاب لدفع القارئ لإعادة التفكير في ذلك، من خلال استعراض أمثلة ملموسة، من منطلق الوعي بتاريخية المفاهيم بشكل عام، وتلك التي تُشكّل موضوعًا للكتاب (الدولة، الحكومة، السياسة)، ومن حيث اعتمادها على اللغة والثقافة التي يتم النظر فيها ومن خلالها. هذا الظهور المتجذّر بالعبرية كما يظهر في الكتاب، وفي ظروف اليهود المثقفين- بحسب الكاتب- في إسرائيل/فلسطين. ويرى الكاتب أن شروط هذه الكتابة تساهم في تشكيل الخيال السياسي وخلق أفق محدود للفكر يجب اختراقه ونقاط عمياء لا بدّ من إزالتها، من خلال الكتابة بلغة ليست لغة الدولة، أو لغة الحكومة التي تُعرّف نفسها «الدولة هي أنا»، ودون معرفة مسبقة بأن الكتابة هي فعل سياسي.

يدّعي الكاتب أن سياسة الكتابة تعتمد على القرّاء وليس على الكاتب فقط؛ حيث أن لغة الدولة هي الوسيط الذي تتواجد فيه الدولة كمشروع للخيال الموجّه، ولا شيء في هذا المشروع نهائي، فعلى الرغم من أن الحكومة لها القدرة على وضع حدّ لذلك، لكنها في النهاية تستند إلى طاعة المحكومين الذين لا يُمكن ضمان طاعتهم بشكل نهائي، حيث أن هذا الأمر بحسب الكاتب غير مضمون.

Editorial

Introduction

Once again, *Qadaya Israeliya* attempts to address the old and new issue of Israel in the region. Shifts over the past few years have made this issue more contemporarily relevant. This contemporary relevance stems from several factors that took place, and continue to take place, in the region as well as in the international system in general, overshadowing regional alignments. There is undoubtedly a sense of some fluidity across the region, which both requires and promises new alignments. It is not clear, however, how these will end up and what formations they will produce in the region.

In the first place, these shifts include a relative exit of the USA from the region, allowing room for regional forces to fill in the consequent relative vacuum. For example, Saudi attempts to be at a certain distance from the USA can be understood in this context. Second, the Arab Spring has drawn most States and societies across the region into devastating and weary wars. This has led to the breakdown of remaining Arab unity and coordination, which Egypt and Saudi Arabia had controlled since the 1990s. Third, having turned into a constant item on the regional agenda, the Iranian nuclear issue has been invested by the USA, Israel, and Iran itself to shape the distribution of roles in the region. Fourth, Turkey has played a more and more important role in the region in an attempt to assume a distinctive position on the regional and global map. This would take Turkey, even relatively, out of the NATO umbrella through attempts to build relations with Iran at times and with Russia at others. Added to this, normalisation projects have reached a level of strategic alliance between some Arabian Gulf States and Israel.

Combined, these changes are affecting the nature of potential alliances, the position of Israel within these alliances, impact on the question of Palestine, and type of probable partners in the period ahead. It seems that the region is experiencing a highly fluid stage, but it is unclear how alliances will turn out.

This issue of *Qadaya Israeliya* features articles on the Iranian, Turkish, and Egyptian roles, Israeli-Chinese relations, Russian role in the region, and conflict in the Red Sea and relevant implications on the region as a whole. We hope that this reading contribute to understanding the nature, risks, and possibilities of the current stage.